المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(٠٣٢)
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية



دَوْلَةُ الأُوْيْغُوْر الْقَرَاخَانِيِّةِ في تُرْكِسْتَان وَجُهُوْدُها فِي نَشْرِ الإسْلامِ

(٣١٥-٦٠٩هـ/٩٢٧-١٢١٢م)

رسالة علمية مقدمة للحصول على درجة العالمية العالية (الدكتوراه)

من الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية المملكة العربية السعودية

إعداد: د/ يعقوب يوسف التركستاني

العام الجامعي: ١٤٤٠-١٤٤١هـ



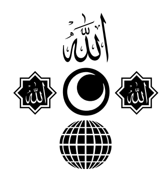
الإهداء

أهدي هذه الرسالة إلى كل مِن:

* إلى روح والدي رحمه الله الذي كان سببا بعد الله، للوصول إلى هذه المنصة في العلم، في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن منيته عاجلته قبل تحقيق حلمه، أسأل الله أن ينور مرقده ويبعثه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

* وإلى والدتي حفظها الله، التي قامت بتشجيعي لتحقيق حلم والدي في تحصيل العلم، وتخلت عن خدمتي رغم حاجتها، وصبرت على فراقي على مدى عشرين سنة، حتى اجتمع شملنا في طيبة الطيبة.

* وإلى قومي وجماعتي: الأويغور المهاجرين في العالم، والمحاصَرين في داخل البلاد، تحت قبضة الشيوعية، الذين طالما تتطلعوا لمعرفة تاريخهم المشرقة الصحيحة، وَدَوْرَ أجدادهم في الدعوة إلى الله، وتاريخ دولتهم الإسلامية (تركستان الشرقية)، في نشر الإسلام وخدمة أهله عبر العصور.



شكر وتقدير

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على هادي البشرية إلى سُبُلِ الخيرات، وعلى آله وأصحابه وأتباعه أولي الفضل والمكرمات، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد.

أما بعد:

فأشكر الله عز وجل على ما وفقني لأنهل العلم من معينه الأصيل، في دار حبيبه ﷺ، حتى يسر لي إنجاز هذا العمل بمنه وكرمه، فله الحمد أولاً وآخراً. ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(١). واجعلني ممن شكر نعمك واستحق الزيادة. وأقول متمثلا بما قال القحطاني:

فَلَكَ الْمَحامِدُ وَالْمَدائِحُ كُلُّها ... بِخَواطِرِيْ وَجَوارِحِي وَلِسانِي

وَلَقَدْ مَنَنْتَ عَلَيَّ ربِّ بِأَنْعُمٍ ... مالِي بِشُكْرِ أَقَلِّهِنَّ يَدانِ

وَلَأَذْكُرُنَّكَ قائِمًا أَوْ قاعِدًا ... وَلَأَشْكُرَنَّكَ سائِرَ الأَحْيانِ

وأثني بالشكر لوالدي رحمه الله الذي كان سببا بعد الله في الوصول إلى هذه المنصة، حيث كان شديد الحرص لتعليم ابنه في مهبط الوحي ومهاجر خير البرية، لكنه قبل تحقيق حلمه انتقل إلى الرفيق الأعلى، واستجاب داعي ربه تاركا نجله في سن الطفولة واليتم، حتى إذا ترعرع الغلام ويفع تذكر حلم والده، وشمر عن ساعد الجد في طلب العلم ووصل إلى هذه المرحلة.

ثم أشكر والدتي حفظها الله التي حثتني في تحقيق حلم والدي، وتنازلت عن خدمتي لها، رغم حاجتها الماسة، شكر الله لها، وبارك في عمرها وألبس عليها لباس الصحة والعافية.

كما أشكر أخي الكبير على كفالته بعد وفاة والدي صغيرا، ودعمه أيام دراستي كبيرا، وحثه وتشجيعه على مواصلة دراستي إلى هذه المرحلة، أسأل الله عز وجل أن يبارك في عمره، ويوفقه وأولاده جميعا لما يحبه ويرضاه.

---

(١) سورة النمل:١٩.

ثم لا يفوتني أن أزجي باقة من الشكر لرفيقة حياتي وأم فلذة كبدي، على خدمتها الدؤوب طوال إنجاز هذا البحث، أسأل الله عز وجل أن يجزيها خير الجزاء. ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[1].

ثم أشكر الدولة السعودية اعترافا بالفضل لأهله، على احتضانها ودعمها اللامحدود لمثل هذا الصرح العلمي، وغيرها من المؤسسات العلمية، استشعارا بالمسئولية تجاه الدعوة ونشر الإسلام في ربوع العالم، منذ عهد المؤسس رحمه الله إلى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز أيده الله وولي عهده، فجزاهم الله خير الجزاء، ووفقهم إلى كل خير، وجعل اللاحقين منهم خير خلف لمن سلفهم. وحفظ الله هذه البلاد وجميع بلاد المسلمين، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ثم أشكر الجامعة الإسلامية التي طالما تفيأت في ظلالها الرحبة، وارتشفت من نميرها العذبة، خلال دراستي فيها، على ما هيئت لطلابها سبل تحصيل العلم، وسخرت لهم أساتذة جهابذة من أنحاء المملكة في شتى التخصص العلمي، وحتى من خارج حدودها من الدول الشقيقة، وأشكر القائمين عليها ممثلة بمديرها المكلف فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الله العتيبي، وجميع الوكلاء والعمداء والموظفين في الجامعة.

ثم أتقدم بواجب الشكر على كلية الدعوة وأصول الدين ممثلة بعميدها، فضيلة الأستاذ الدكتور بدر الظفيري حفظه الله، وأخص بالشكر جميع أساتذتي الفضلاء بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية، وعلى رأسهم رئيس القسم الدكتور خالد الهبيدي، على موافقتهم هذا المشروع العلمي، وإبداء ملحوظاتهم القيمة في تصحيح وتصويب الخطة، فجزاهم الله خير الجزاء.

أنا تلميذهم براً وفيّاً ... بِهِمْ فَخْرِي إذا افتخر الأنامُ
وإن كانوا بخير كنتُ فيه ... ويُرْضِيْنِي رِضَاهُمْ وَالسَّلامُ
لَهُمْ مِنِّي الدُّعاءُ بِكُلِّ أَرْضٍ ... وَنَشْرُ الذِّكْرِ ما ناحَ الحمامُ

---

(١) سورة الفرقان. الآية: ٧٤.

ثم يطيب لي أن أشكر شيخي ومشرفي على البحث فضيلة الأستاذ الدكتور إبراهيم بن إدريس حجاي حفظه الله، عملا بقول النبي ﷺ «لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»(١).

على ما منحني من وقته القيمة، وصوب البحث بآرائه السديدة، وتوجيهاته النيرة، والذي كان سببا بعد الله لإنجاز هذا البحث بهذه الصورة، والله أسأل أن يجزيه عني خير الجزاء، كما أسأله سبحانه أن يجعلني منه خير خلف لخير سلف، فله من الله الأجر والمثوبة، ومني كل تقدير وتبجيل، حفظ الله شيخي وأولاده ومتّعهم جميعا بالصحة والعافية، ووفقهم لما يحب ويرضاه.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من أستاذي الفاضلين: فضيلة الأستاذ الدكتور سليمان بن عبد الله الرومي حفظه الله، وفضيلة الأستاذ الدكتور عثمان بن صالح العامر حفظه الله، على قبولهما مناقشة هذه الرسالة، وإسهامهما في إتمام نقصها واستدراك فواتها، بإسداء ملحوظاتهما القيمة فيها، وسأجعل كل ما أتحفني أستاذَيَّ من ملحوظاتهما العلمية القيمة بعين الاعتبار والتقدير، لعلمي أن تلك الملحوظات دُرَرٌ يتحفانها إلي أستاذيَّ بصورة المناقشة، وإنها لتشد عضدي في ميدان العلم، وترفع شأن بحثي وقيمته العلمية، ولهذا أقول: تقديرا لجهودهما.

ولـــو أَنَّــنِي أُوتِيـــتُ كُـــلَّ بَلاغَـــةٍ ... وأَفنيــتُ بحـر النُطـق في الـنظمِ والنَثـرِ

لمــا كنــتُ بَعــد القــولِ إلا مُقَصِّــرًا ... ومُعترِفـا بالعجـزِ عـن واجـبِ الشـكرِ

والله أسأل أن يجزيهما عني خير ما جازى به عباده الصالحين.

ثم أشكر أولئك الأخيار الذين مدوا لي يدَ المساعدة، خلال إنجاز هذه الرسالة، وفي مقدمتهم: الأستاذ رحمة الله عناية الله التركستاني، رئيس إدارة الدراسات والبحوث، في رابطة العالم الإسلامي، والشيخ أنس عالم التركستاني، الباحث في وقف السليمانية في إسطنبول، والأستاذ عبد الجليل توران (صاحب دار تكلمكان للطباعة)، والأستاذ سراج الدين عزيزي، على تشجيعهم لهذا البحث، وسعيهم لتوفير المراجع العلمية له، ودلالتهم على مظانها.

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب الأدب باب في شكر المعروف، برقم:٤٨١١، والترمذي في أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، برقم:١٩٥٤. وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

والشكر موصول لكل من أسدى إليّ أيَّ مساعدة خلال إنجاز هذا البحث بدلالةٍ على مصدرٍ أو بإعارة كتاب، فجزاهم الله خيرا وأحسن لهم الجزاء.

وفي الختام أسأل الله أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، ويضع له القبول بين المسلمين وينفعهم به، كما أسأله سبحانه أن يلهمني الصواب فيما زلَّ قلمي وألاّ يُزِلَّ عن الصراط قدمي! فما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطاءٍ وتقصير فمن نفسي، لقصر باعي وقلة زادي في العلم.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة:٢٨٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُه وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾(١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾(٢). ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾(٣).

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْىُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ»(٤).

لقد أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الأديان الباطلة كلها، كما قال جل شأنه: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ﴾(٥). وقال: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ﴾(٦).

وقال رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ

---

(١) سورة آل عمران:١٠٢.

(٢) سورة النساء:١.

(٣) سورة الأحزاب:٧٠-٧١.

(٤) أخرجه مسلم كتاب الصلاة باب تخفيف الصلاة والخطبة حديث رقم:٢٠٤٢.

(٥) سورة الفتح:٢٨.

(٦) سورة النساء:١٥٩.

النَّارِ»[1]. وقَالَ صلى الله عليه وسلم أيضا: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ، يَقُولُ: " قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمُ الْخَيْرُ وَالشَّرَفُ وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ وَالصَّغَارُ وَالْجِزْيَةُ»[2].

وقد وصل هذا الخير إلى أقصى بقاع الأرض في العالم، حيث من الله على عباده في تركستان الشرقية، إذ هداهم إلى الإيمان به وبرسوله، وأنعم عليهم بالأمن والاستقرار حتى مكنهم في الأرض وولاهم عليها، ولقد صدق الله وعده ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ﴾[3].

ومن هؤلاء الأئمة: القراخانيون الأويغور الذين حكموا تركستان الشرقية والغربية، زهاء ثلاثة قرون ما بين (٣١٥-٦٠٩هـ/٩٢٧-١٢١٢م) وأقاموا دولة إسلامية بعد إسلام ملكهم (ستوق بغراخان)، وأسلم معظم أهل البلاد تبعا لحاكمهم، ومنذ ذلك الحين سخر القراخانيون جهودهم في خدمة الدين، ونشروا الإسلام على جانبي جبال تنغري تاغ (تيان شان) وعملوا على توغل الإسلام وحضارته حتى حدود الصين، وقد كانت إسهاماتهم في نشر وحماية الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية كبيرة في عموم تركستان شرقها وغربها، ويشهد عليه ما تركت الدولة أكبر الأثر في تاريخ الأتراك الشرقيين.

وقد تميز أغلب حكام هذه الدولة بالتدين والعدل وتجنب المحرمات، لذلك حاربوا البدع والمظالم، وبنوا المدارس والمساجد في كافة مدن الدولة ومحافظاتها، وتعلم الناس خلالها تعاليم الإسلام والعقيدة الإسلامية الصحيحة، وأكسبوا حكمهم طابعا شرعيا بتطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمع. ودخلوا في طاعة الخليفة العباسي "القادر بالله" وضربوا العملة باسمه، ودعوا له على المنابر، وعُرفوا في التاريخ بجهادهم لنصرة الإسلام.

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام، حديث رقم:١٥٣.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده برقم:١٦٩٥٧، قال شعيب الأرنؤط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) سورة القصص:٥.

وبسبب جهودهم الدؤوب في خدمة الدين، انتشر الإسلام في أرجاء البلاد خلال فترة حكمهم، ولم يزالوا ينشرون الدين ويدافعون عنه إلى آخر عهدهم، حيث قاتلوا كفار الخطا مع آخر ملكهم (السلطان عثمان) حتى أخرجوهم من بلادهم[١].

كما قال المستشرقون الثلاثة: "اسكراين" و"روز" و"فرنسي هنري"، في كتبهم، (قلب آسيا) «إنه بعد سقوط الدولة السامانية لقي الدين دفعة جديدة في المشرق على يد القراخانيين، حيث انتشر الإسلام في جهات عديدة من تركستان، ويرجع هذا الانتشار السريع إلى الحماس المستمر الذي كان عند حكام الدول الإسلامية هناك..»[٢]

وقال ابن الأثير: «إنّ بلاد تُرْكُسْتان... كانت بيد التُّرك الخانيَّة، وهم مسلمون من نَسْلِ فراسياب، وسبب إسلامهم جدّهم الأول أنه رأى في منامه كأن رجلًا ينزل من السماء، فقال له بالتُّركية: أسلِمْ تسلم في الدنيا والآخرة. فأسلم في منامه، وأصبح فأظهر إسلامه، ولما مات قام بعده ولدُه موسى بن ستق، ولم يزل المُلْك بتُركستان في أولاده إلى أرسلان خان محمد بن سليمان بن داود بغراخان بن إبراهيم طمغاج بن أيلك أرسلان بن عليّ بن موسى بن ستق..»[٣].

وكان لحرص خلفاء الدولة العباسية على إشراك أهل البلاد المفتوحة في إدارة شئون بلادهم وتأكيد وجوب معاملتهم معاملة عادلة، ما شرح صدورهم للدخول في دين الله

---

(١) الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، كيلفورد.١. بوزورث، بالإنجليزية، تعريب: حسين علي اللبودي، مؤسسة الشراع العربي – الكويت، ط: الثانية، ١٩٩٥م، ص:١٦٣-١٦٤. وينظر: ئويغور نامه، تأليف: سابت عبد الرحمن ئويغوري، الناشر: ناشمر نه شرنياتي ئالموتا –كزاخستان، ط: الأولى، ٢٠٠٥م، ص:٢١٥.

(٢) Skrine. And Ross: The Heart of Asia.Newyork, Arno Press, 1973م, p.119,.

(٣) الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج٩/ص:٣٢٠.

أفواجًا، وانخرط أبناؤهم في شتى مجالات الحياة الفاعلة، فكان منهم الجنود وكبار القادة والحكام العظام والعلماء الجهابذ.

ويرجع آل عثمان إلى الأتراك الشرقيين، الذين استطاعوا توسيع رقعة الإسلام في أوروبا، وحماية أقطار الإسلام من الغزو الصليبي والاستعمار الأوربي لفترة طويلة. وخلال القرون العشرة التي تلت ظهور العنصر التركي في التاريخ الإسلامي، كان الأتراك الشرقيون القادمون من أرض توران هم العنصر المسيطر الذي أنقذ الأمة الإسلامية من الانهيار، وأوقف الزحف الصليبي، وكان بذلك من أعظم الشعوب الإسلامية دفاعًا عن الحضارة الإسلامية، وتمسكًا بصفاء العقيدة الإسلامية، ومحافظاً على التراث الإسلامي، ويرجع هذا الفضل بعد الله إلى القراخانيين الذين كانوا هم النواة الأولى لهذا الغرس البهيج.

ورغم تلك المكانة للدولة القراخانية، إلا أنها لم تحظ جهودها للتدوين حتى كادت البلاد تُنْسى أنها من ديار المسلمين في عصرنا الحاضر. ومن هنا نهضتُ- مستشعرا بواجبي تجاه ديني ووطني- أن أسطر تلك الجهود الفذة في بحث الدكتوراه، بعنوان: "جهود الدولة القراخانية في نشر الإسلام والعقيدة الإسلامية الصحيحة"[١] مستعينا بالله عز وجل في تحريره ومبتهلا إليه بأن يجعله ذخرا لي في الآخرة، إنه ولي ذلك والقادر عليه. ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾[٢].

لقد تحدثت في ثنايا البحث عن أصول القراخانيين وألقابهم، بأنهم أتراك الأويغور، ولغتهم: اللغة الأويغورية، إحدى فصائل اللغة التركية، عدد حروفها (٣٢) حرفا، وكلها حروف عربية ما عدا سبعة أحرف، وهي: الثاء والحاء والذال والصاد والضاد والطاء والظاء. ودخلت مكانها الحروف الأعجمية الأويغورية، كما زيدت عليها حروف أخرى منها، وأكثر من ٣٠ % من مفرداتها كلمات عربية و١٠٪ كلمات فارسية. وهذا ما ينبئ عن قوة صلة الأويغور بالأمة العربية الإسلامية.

وتُعَدُّ الدولة القراخانية أول دولة تركية إسلامية أسسها أتراك الأويغور في شرق آسيا،

---

(١) تم تعديل العنوان لاحقا إلى دولة الأويغور القراخانية في تركستان وجهودها في نشر الإسلام.

(٢) سورة هود. الآية:٨٨.

واتخذوا مدينة كاشغر عاصمة لها، ثم وسعوا نطاقها حتى شملت معظم آسيا الوسطى وتركستان، وقد لعب القراخانيون الأويغور مدة حكمهم دورا متميزا في نشر الإسلام بين القبائل التركية الضاربة في أنحاء السهوب، كما لعبوا دورا مهما في استمرارية الحضارة الإسلامية وازدهار علومها.

وثَنَّيْتُ بذكر عقيدة القراخانيين، بأن عقيدتهم سُنِّيَةٌ على مذهب أهل السنة والجماعة، بالإضافة إلى بيان موقفهم من الخلافة العباسية، وأن موقفهم كان موقف ولاء وطاعة، يشهد عليه ماااتخذه حكام الدولة من ألقاب (مولى أمير المؤمنين) وسكة نقودهم باسم الخليفة.

وبينتُ أيضا علاقتهم مع الدول الإسلامية المجاورة لهم من الدولة: الغزنوية والسلاجقة والخوارزمية، بأنهم تعاونوا معهم في نشر الدين، وصاهروا من أجل بناء العلاقة القوية، وإن اختلفوا فيما بينهم في بعض الأحيان.

وتناولت أيضا معتقدات القراخانيين قبل الإسلام، بأنهم وأجدادهم قد تقلبوا بين الأديان المختلفة: من البوذية، والمانوية، والشامانية، والنسطورية، والزراداشتية، حتى شرح الله صدرهم للإسلام فثبتوا فيه وبذلوا النفس والنفيس لنشره، حتى انتشر الإسلام في ديارهم.

وأشرت إلى أهم الملامح الرئيسة لتطور الحياة العلمية في عهدهم، ووضحت ذلك من خلال اهتمام عدد من الملوك والأمراء منهم بالعلم والعلماء. حيث أولى عدد من حكام الدولة عناية بالنواحي العلمية ببناء المدارس، واستقدام العلماء لها من العالم الإسلامي، بالإضافة إلى تشجيعهم على الرحلة في طلب العلم، وكونهم قدوة في هذا السبيل بترك بعضهم منصبه في الدولة.

كما وضحت مراحل دعوتهم في بداية أمرهم، والأسس التي قامت عليها دعوتهم، وأصناف المدعويين في عهدهم، والأساليب والوسائل التي استخدموها في دعوتهم وطريقة توظيفهم لها، مع ذكر المعوقات التي واجهتهم خلال دعوتهم، كما بينت العوامل التي أدت إلى نجاح دعوتهم، والنتائج التي ترتبت على تلك النجاحات.

كما أشرت إلى سقوط الدولة القراخانية والأسباب التي أدت إلى ذلك، ليكون فيه درس للمتعظين وعبرة للمتوسمين. وسيأتي كل ما ذكر في أماكنه بالتفصيل.

– أهمية الموضوع.

تُعد المدة التي عاشها المسلمون في ظل الدولة القراخانية مهمة للغاية، حيث عز فيه الإسلام وأهله، بعد إسلام ملك الدولة سلطان ستوق بغرا خان، وتبعه معظم قومه في هذا الخير، وساندوا مَلِكَهم في قتال المحاربين للدعوة الإسلامية، حتى فتحوا أغلب مدن البلاد، ودخل أهلها في دين الله أفواجا، وصار الإسلام دين الدولة. ولعل أهمية الموضوع تتلخص في الآتي:

١- يُطلع الناس على رقعة من ديار المسلمين المنسية

٢- يتعلق بذكر الجهود الدعوية إلى الله في الزمن الماضي.

٣- يذكر تاريخ الدعوة وحياة الدعاة السابقين في الدعوة إلى الله.

٤- يقدم دروسا وعبرا من الماضي في ميدان الدعوة.

٥- يبين أهمية الدولة الإسلامية في نشر الدعوة.

٦- يذكر آثار تطبيق شرع الله في الأرض، وأن الله ينصر مَنْ ينصر دينه في كل زمان ومكان.

٧- يذكر أثر السمع والطاعة والاجتماع وعواقب التشاحن والاختلاف.

– أسباب اختيار الموضوع.

وقع الاختيار على الموضوع للأسباب التالية:

١- اخترت الموضوع، كوني من ذرية أولئك الأفذاذ، رجاء أن يوفقني الله أن أحي ما اندثرت من آثارهم الدعوية.

٢- التعرف على الجهود الدعوية التي بذلها الأجداد من الأمراء والدعاة إبان حكم الدولة القراخانية.

٣- معرفة العوامل التي أدت إلى انتشار الدعوة ونجاحها بين القبائل في الدولة.

٤- تسليط الضوء على الحضارة الإسلامية التي أسسها الأويغور في تركستان الشرقية والغربية.

٥- إعلام العالم بأن تركستان الشرقية جزء من ديار الإسلام، وليست جزءا من أرض

الصين المعتدية المحتلة.

٦- تذكير الأجيال القادمة بمكانة الأجداد وجهودهم في الدعوة الإسلامية وحثهم على الاقتداء بهم.

٧- إثراء المكتبات العلمية بمؤلف علمي يعرف الجذور التاريخية لتركستان وحقيقة التركستانيين الذين كانوا هم النواة الأولى لبروز العنصر التركي في ساحة العالم الإسلامي كالسلاجقة والعثمانيين.

- **صعوبات البحث.**

لقد واجهني أثناء إعداد البحث جملة من المشكلات والعقبات التي كادت أن تعيق عن الإنجاز لولا توفيق من الله العلي القدير، وهي:

١- عدم وجود المصادر الأصيلة المؤلفة من قبل العلماء التركستانيين المعاصرين للدولة القراخانية، أما قديما فذكر أن بعض القدماء من علماء البلاد ألفوا عن الدولة ودونوا تاريخها، أمثال: عبد الغافر بن الحسين الألمعي الكاشغري، ينسب إليه كتاب (تاريخ كاشغر)، وكتاب (معجم الشيوخ) والكتابان مفقودان، وأمثال: الإمام مجد الدين السُرْخَكتى، ينسب إليه كتاب (تاريخ الملوك الخانية) ذكر فيه أمم الترك وغرائب تركستان، وقدمه للملك إبراهيم طفغاج خان، ملك ما وراء النهر، وهو كذلك مفقود.

٢- ندرة المصادر التاريخية الأصيلة والحديثة، التي تعنى بدراسة الدولة القراخانية دراسة خاصة مستفيضة.

٣- تناثر المعلومات في طيات المصادر التاريخية، وهذا ما تطلب إلى بذل جهد كبير لجمع تلك المعلومات وتمحيصها.

٤- اضطراب الروايات التاريخية في وقائع الدولة القراخانية، وكثرة الألقاب الفخرية لملوكها، واشتراك عدد منهم في لقب واحد، واقتصار المؤرخين على ذكر اللقب فقط دون الاسم ودون التاريخ، وهذا ما أخذ وقتا طويلا في الوصول إلى الصواب.

لقد تم التغلب على المشكلات والصعوبات بفضل من الله وتوفيق منه، ثم بالاستعانة بالمصادر العربية الأصيلة، كالكامل لابن الأثير، والبداية والنهاية لابن كثير، والمختصر في

أخبار البشر لابن شاهنشاه، وغيرها من المصادر الأصيلة.

واعتمدت أيضا على المصادر الفارسية الأصيلة، مثل: تاريخ بخارى للنرجشي مترجم بالعربية، وتاريخ فاتح العالم جهان كشاي، علاء الدين الجويني، كما اعتمدت على كثير من المصادر التاريخية الأويغورية القديمة والحديثة، وبعض المصادر الصينية المترجمة إلى اللغة الأويغورية، واعتمدت أيضا على بعض المصادر التركية وقليل من المصادر الإنجليزية، وبعض المقالات العلمية المحكمة في الجامعات الإسلامية، وبهذا ذلت الصعوبات وانحلت المشكلات، الحمد لله أولا وآخرا.

- الدراسات السابقة.

لم تحظ الدولة القراخانية لتسجيل جهودها الدعوية ووقائعها في البحث العلمي إلى يومنا، ومرد ذلك يرجع إلى أمرين: قلة المراجع العلمية في اللغة العربية، وقلة الباحثين من أبناء الدولة، المهتمين بهذا الأمر المتخصصين فيه. ويمكن تقسيم الدراسات السابقة إلى قسمين:

أ- دراسات مباشرة: وهذه لم أجد لها مماثلا في الرسائل العلمية خلال البحث والتتبع عن الموضوع في رسائل الجامعات الإسلامية أو الكتب المصنفة في الدعوة، إلا ما كان من مقالات في المجلات العلمية، ومن ذلك:

١- علاقات القراخانيين بتركستان وبلاد ما وراء النهر بالدول الإسلامية المجاورة، ودورهم في نشر الإسلام (٣٨٢-٤٨٢هـ)، بحث محكم منشور في مجلة جامعة أم القرى السنة ٣ العدد٥. عام ١٤١١. للدكتور مسفر بن سالم الغامدي.

٢- القراخانيون في تركستان- تاريخ منسي وحضارة باقية- (٣٤٩-٦٠٩هـ)، الموافق: (٩٦٠-١٢١٢م)، بحث محكم منشور في بحوث المؤتمر الدولي للرابطة العالمية الإسلامية، (مسلمو آسيا الوسطى وأثرهم الحضاري) عام ١٤٢٩هـ. للدكتور زياد محمد هواش، الأستاذ في جامعة محمود الكاشغري بشكك - قرغزستان.

٣- الحركة الفكرية في عهد الدولة القراخانية، بحث محكم منشور، مجلة دراسات العلوم الإنسانية بغداد، العدد٢ عام ١٩٩٣م. للدكتور حسين علي الداقوقي.

هذه البحوث الثلاثة عبارة عن وريقات تحدث أصحابها عن نقطة معينة، ولا يمكن مقارنتها ببحث الدكتوراه.

ب- دراسات غير مباشرة: وسأذكر فيها ما تيسر لي الاطلاع عليها من الرسائل والبحوث المحكمة. ومن ذلك:

الأول: تركستان الشرقية والصين صراع حضارتين، رسالة دكتوراه، جامعة الزقازيق بمصر للباحث عز الدين الورداني، طبعها مركز الحضارة العربية عام ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م. تتألف الرسالة من جزأين: الجزء الأول في الأصل عبارة عن رسالة ماجستير، بعنوان: (تطور قضية تركستان الشرقية في الفترة (١٧٦٠-١٩٤٩م) أدمجه الباحث مع بحث الدكتوراه لتناسقه، وطبع البحثان في مجلد واحد، شمل هذا الجزء على أربعة فصول وتمهيد. تحدث الباحث في التمهيد عن تاريخ تركستان بالإيجاز منذ ما قبل الميلاد إلى عام١١٧٤هـ/١٧٦٠م. وتحدث عن القراخانيين في صفحتين فقط، أشار إلى تأسيس دولتهم وجهودهم في نشر الإسلام ثم سقوط الدولة بيد القراخطاي الوثنيين.

وتحدث في الفصل الأول أحداث تركستان من أول سيطرة الصين على تركستان الشرقية بقيادة الجنرال الصيني (يارها شين) عام(١١٧٤هـ/١٧٦٠م) حتى عام(١٣٣٠هـ/١٩١١م) العام الذي قامت فيه ثورة الجمهورية بقيادة صن يات صن، أدت إلى اضطرار الإمبراطور المنشوري الطفل (فويي) للتنازل عن العرش في العام الذي يليه.

وفي الفصل الثاني: تحدث عن أحداث ووقائع تركستان منذ قيام الثورة الجمهورية الصينية إلى قيام الدولة الإسلامية بتركستان الشرقية عاصمتها كاشغر، عام (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م).

وفي الفصل الثالث: تحدث عن النفوذ السوفيتي في البلاد من إطاحة الجمهورية الإسلامية بقتل وتهجير وزرائها كمساعدة للصينيين إلى عام (١٩٤٤م)

وفي الفصل الرابع: تحدث في الفترة (١٩٤٤-١٩٤٩م) وهو العام الذي نجحت فيه ثورات الولايات الثلاث بزعامة علي خان تُوْرَمْ، وأعلنت جمهورية تركستان الشرقية الإسلامية وعاصمتها مدينة غولجا، إلى أن سقطت البلاد على يد الشيوعية عام (١٩٤٩م).

والجزء الثاني: هو عبارة عن بحث الدكتوراه، تضمن هذا الجزء ستة فصول: تحدث الباحث فيها أوضاع تركستان الشرقية من عام(١٩٤٩م) إلى العهد الحاضر، أشار خلالها، أهمية البلاد من ناحية الاستراتيجية والاقتصادية، وسياسة الحكم الشيوعي الصيني في تركستان من الناحية الإدارية، وأثر الحكم الشيوعي على التركيبة السكانية لتركستان الشرقية من سياسة التهجير وتحديد النسل، والتأثرات الثقافية للحكم الشيوعي الصيني لتركستان الشرقية، وموقف التركستانيين الشرقيين تجاه الحكم الشيوعي الصيني، والموقف الدولي تجاه تركستان الشرقية.

هذا ما اشتملت عليه رسالتا الباحث، ومحتوياتهما لا تمت بصلة لبحثي الدكتوراه.

الثاني: إسهامات الأيغور الأتراك في الحضارة الإسلامية. رسالة الدكتوراه للباحث أبو القاسم سعد الله كلية العلوم الإنسانية – قسم التاريخ من جامعة الجزائر، عام ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م. تحدث الباحث تقريبا في الفترة التي تحدثت عنها، وهو العهد القراخاني في تركستان الشرقية من عام (٣٣٥-٦٠٨هـ/٨٥٠-١٢١٢م)[1].

احتوى البحث على مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وتحتها مباحث: تحدث في التمهيد عن تعريف الأويغور وموطنهم وانتماءاتهم العرقي، وبنية المجتمع وطراز الحياة. وأتت عناوين الفصول كالتالي: الفصل الأول: الوضع الديني والسياسي للأويغور قبل اعتناقهم الإسلام.

ذكر فيه معتقداتهم الدينية، وذكر أنهم كانوا يعتقدون الوثنية والبوذية والمانوية والمسيحية.

الفصل الثاني: التفاعل السياسي للأويغور بعد إسلامهم.

ذكر فيه تأسيس الدولة القراخانية، وهجرة بعض الأويغور من منغوليا إلى تركستان الشرقية، والنظام الإداري والسياسي والعسكري والاجتماعي والاقتصادي للدولة، وعلاقة الدولة سياسيا بالقوى المجاورة، وسيطرة القراخطاي على الدولة القراخانية.

الفصل الثالث: إسهاماتهم في المجال الديني.

ذكر فيه أثر إسلام ملك الدولة لإسلام معظم الرعية، وتمسكهم بالإسلام ونشرهم له في

---

(١) خطأ حيث لا يتطابق التاريخ الهجري مع الميلادي، والصحيح ما أثبته أنا، أبقيته كما كان للأمانة.

أرجاء البلاد، وإسهاماتهم في بناء المنشآة الدينية، واهتمامهم بالعلم والعلماء، وتواصلهم مع الخلافة العباسية.

الفصل الرابع: إسهاماتهم في المجال الثقافي.

تحدث فيه عن اللغة الأويغورية واستعمال الحروف العربية فيها، وتطور الطباعة والترجمة لدى الأويغور القراخانيين، والإنتاج الأدبي للأدباء وذكر نماذج منهم ومن مؤلفاتهم.

الفصل الخامس: إسهاماتهم في مجال العمارة والفن.

ذكر فيه بناءهم العمائر والمدن وتشييدهم القصور، واختراعهم الموسيقي وفن التصوير.

هذه ما اشتملت عليه رسالة الباحث بالإيجاز، والفرق بين البحثين واضح مثل السابق لاختلاف التخصص.

حدود الموضوع.

أ- الحدود الزمانية للبحث:

يهدف البحث إلى الحديث عن الجهود الدعوية الإسلامية للدولة القراخانية، لذلك يتحدد الإطار الزمني للدراسة بالمدة الواقعة بين عامي (٣١٥هـ/٩٢٧م - ٦٠٩هـ/١٢١٢م) أي: ثلاثمائة سنة إلا ستة أيام.

ب- الحدود المكانية للبحث:

شملت الدراسة المناطق التي كانت واقعة تحت حكم الدولة القراخانية منذ تأسيسها إلى سقوطها، وبالتحديد تركستان الشرقية وبلاد ماوراء النهر، آسيا الوسطى.

تقسيم البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وسبعة فصول وخاتمة. وذلك على النحو التالي:

المقدمة: وتشتمل على:

- أهمية الموضوع.
- أسباب اختيار الموضوع.
- صعوبات الموضوع.
- الدراسات السابقة للموضوع.

- حدود الموضوع.
- خطة البحث.
- منهج البحث.

التمهيد: (تعريفات ومدخل)

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: نشأة الدولة القراخانية وموقعها الجغرافي.

المبحث الثاني: أبرز ملوك الدولة ودعاتها.

المبحث الثالث: عقيدة القراخانيين واتجاهاتهم.

المبحث الرابع: موقف الدولة القراخانية من الخلافة العباسية

المبحث الخامس: النهضة العلمية والثقافية في عهد الدولة القراخانية.

المبحث السادس: سقوط الدولة القراخانية وانهيارها.

الفصل الأول: جهود العلماء القراخانيين في نشر الدعوة ومراحل دعوتهم.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: جهودهم في الدعوة في تركستان الشرقية وبلاد ما وراء النهر.

المبحث الثاني: مراحل الدعوة في عهد الدولة القراخانية.

الفصل الثاني: أسس الدعوة في عهد الدولة القراخانية.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: العقيدة.

المبحث الثاني: العبادات.

المبحث الثالث: الأخلاق والتزكية.

المبحث الرابع: المعاملات.

الفصل الثالث: أصناف المدعوين في الدولة القراخانية.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الوثنيون الكفار.

المبحث الثاني: أهل البدع.

المبحث الثالث: عوام المسلمين.

الفصل الرابع: أساليب الدعوة في عهد الدولة القراخانية.

وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول: الحكمة.

المبحث الثاني: الموعظة الحسنة.

المبحث الثالث: النصيحة بين الراعي والرعية.

المبحث الرابع: الترغيب والترهيب.

المبحث الخامس: إرسال الوفود.

المبحث السادس: الصلح.

المبحث السابع: المصاهرة.

المبحث الثامن: الحوار والمناظرات.

المبحث التاسع: الهبة والهدايا.

الفصل الخامس: وسائل الدعوة في عهد الدولة القراخانية.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعليم.

المبحث الثاني: التأليف.

المبحث الثالث: الحسبة.

المبحث الرابع: الجهاد.

الفصل السادس: معوقات الدعوة في عهد الدولة القراخانية.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الجهل واتباع البدع والأهواء.

المبحث الثاني: الصراع الداخلي في الدولة.

المبحث الثالث: المؤامرات الخارجية على الدولة.

الفصل السابع: نتائج الدعوة وعوامل نجاحها في عهد الدولة القراخانية.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: ظهور قيادات علمية وسياسية.

المبحث الثاني: الفتوحات واتساع رقعة البلاد.

المبحث الثالث: الإقبال على التعلم وانتشار العلم.

المبحث الرابع: العوامل التي أدت إلى نجاح الدعوة.

الخاتمة. وتشتمل على:

ملخص البحث وأبرز نتائجه وتوصياته.

الفهارس: وتشتمل على:

١- فهرس الآيات

٢- فهرس الأحاديث

٣- فهرس الآثار

٤- فهرس الأعلام

٥- فهرس المصادر والمراجع

٦- فهرس الموضوعات

منهج البحث

استخدمت خلال كتابة هذا البحث كلاً من المنهج الوصفي التحليلي[١]، والمنهج التاريخي الاستردادي[٢]، والمنهج الاستنباطي الاستدلالي[٣]، مقتفيا الخطوات المنهجية التالية:

---

(١) «هو دراسة وتحليل ما حصل عليه الباحث من معلومات تحليلا كميا أو تحليلا كيفيا». المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، د/صالح بن حمد العساف، مكتبة العبيكان، ط: الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص:٢٠٦.

(٢) «وهو ما يقوم باسترداد الماضي تبعا لما تركه من آثار، أياً كان نوع هذه الآثار». مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، ط: الثالثة، ١٩٧٧م، وكالة المطبوعات – الكويت، ص:١٩.

(٣) «وهو ما يقوم على التأمل في أمور جزئية ثابتة؛ لاستنتاج أحكام منها». البحث العلمي حقيقته

- عزو الآيات القرآنية إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية مع كتابتها بالرسم العثماني.

- تخريج الأحاديث النبوية من مظانها، فما كان في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بعزو الحديث إلى مصدره مع ذكر الكتاب ورقم الحديث فقط. وما كان في غيرهما فإني أعزوه إلى مصادره الأصيلة مع نقل كلام أهل العلم في بيان درجته.

- توثيق الأقوال والنصوص بعزوها إلى مصادرها الأصيلة.

- ترجمة الأعلام غير المشهورين - الذين لهم علاقة في صلب البحث - ترجمة موجزة.

- شرح المفردات الغريبة الواردة في البحث.

- التعريف الموجز بالأماكن والبلدان، وكل ما يحتاج إلى تعريف.

- الالتزام بعلامات الترقيم وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

- تذييل البحث بالفهارس التفصيلية على النحو المبين في الخطة.

=

ومصادره ومناهجه..، د/ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن علي الربيعة، مكتبة العبيكان، ط: السادسة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ج١/ص:١٧٨.

التمهيد

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: نشأة الدولة القراخانية وموقعها الجغرافي

المبحث الثاني: أبرز ملوك الدولة ودعاتها.

المبحث الثالث: عقيدة القراخانيين واتجاهاتهم.

المبحث الرابع: موقف الدولة القراخانية مع الخلافة العباسية.

المبحث الخامس: النهضة العلمية والثقافية في عهد الدولة القراخانية

المبحث السادس: سقوط الدولة القراخانية وانهيارها.

المبحث الأول: نشأة الدولة القراخانية وموقعها الجغرافي.

أولا: جذور القراخانيين وأصولهم.

اختلفت أراء الباحثين في تحديد الأصول للقراخانيين، وذلك نظرا لندرة المصادر التاريخية التي تناولت سيرتهم، ولهذا قيل في أصولهم أراء كثيرة، موجزها ما يلي:

١- قيل: إنهم من قبيلة "جِكِلْ". وهم الأتراك الشرقيون الذين يقطنون في بلاد ما وراء النهر قرب مدينة طراز[١]، ويمتازون بحسن طباعهم وشفقتهم على الآخرين، وبمحبة الاختلاط مع غيرهم، وامتلاكهم على ثروات طائلة وأماكن واسعة[٢].

٢- وقيل: إنهم من قبيلة "تُغُزْغُزْ" معناه القبائل التسعة، القاطنين في المناطق المحيطة بمدينة كاشغر[٣] وشرق فرغانة[٤]، وبلادهم أكبر بلاد الترك، وكانوا قديما أكثر الأقوام فيها، كما كان ملوك جميع بلاد الترك قديما من التغزغز، وسكانها أغنياء أقوياء مقاتلون مدججون بالسلاح. وسكنوا تركستان قبل الإسلام وبعده، ولهم قبائل كثيرة تصل إلى ألف وسبعمائة قبيلة معروفة عندهم. وتفرع منهم الخزلخية والغز والياغما، ومن الغُزِّ تفرع

---

(١) طراز: بلد قريب من إسبيجاب من ثغور الترك، ينسب إليه عدد من العلماء، وطراز أيضا: محلة بأصبهان. معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر، بيروت، ط: الثانية، ١٩٩٥م، ج٤/ص:٢٧.

(٢) حدود العالم من المشرق إلى المغرب، لمؤلف مجهول، تعريب وتحقيق: السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر – القاهرة. ط: الثانية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص:١٠٣. معجم البلدان، ج٢/ص:١٤٨.

(٣) وهي إحدى أكبر مدن تركستان، وأول ما فتح من أرض الترك على يد العرب، ثم كانت أول عاصمة للدولة القراخانية، كما أنها استقرت فيها في النهاية، وهي مركز للتجارة مع روسيا وباكستان. موقع تركستان تايميز، وينظر: معجم البلدان، ج٤/ص:٤٣٠.

(٤) مدينة عامرة كبيرة ذات نعم وفيرة. توجد فيها أنواع من الفواكه والورود وأنواع الرياحين بدون مالك لها، ولا أحد يمنع الآخذ منها، بينها وبين سمرقند خمسون فرسخا، ومن ولايتها خجندة. وهي باب تركستان. وفي جبالها معادن الذهب والفضة والنحاس، وغيرها بكثرة. حدود العالم، ص:١٣٠. معجم البلدان، ج٤/ص:٢٥٣.

السلاجقة والهياطلة. وهم أصحاب كرم وشهامة، لذلك لم يكن من عادتهم قتل الأسارى ولا التجهيز على الجرحى، وإذا أسروا عدوهم في الحرب وهو جريحا داووه وحملوه إلى منزله وأهله[(١)].

وهذا ما رجحه بعض المؤرخين الأويغور المعاصرون، استنادا إلى المخطوطات الأويغورية، والمصادر الصينية القديمة، حيث ذكروا أن المؤرخ الصيني "ديو" في عهد أسرة تانج، ذكر في كتابه "القاموس العام" عام (٨٠١م) أن سكان كاشغر وما حولها، وهم "ياغميت"[(٢)]. وهذا بحسب اللهجة الصينية، وهم نفس "الياغما"، ولا دليل لهم في أنهم مؤسسو الدولة القراخانية، بل كانوا مجاورين مع الأويغور في كاشغر وساندوهم على طرد القرغيز من المملكة.

٣- قيل: إنهم من قبيلة الأويغور الذين عاشوا في تركستان الشرقية وأسسوا دولة الهون قبل الميلاد ٢١٠ سنة[(٣)]. هذا هو الراجح، لما ذهب إليه جم غفير من المؤرخين الغربيين والشرقيين، منهم: المؤرخ الروسي (بير نشتام)، والمؤرخ الياباني (يوتيانخغ)، والمؤرخ

---

(١) ينظر: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الإشبيلي، دار الفكر بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٥/ص:٤٢٦. البدء والتاريخ، للمطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد. بدون تاريخ. ج٤/ص:٢٢. حدود العالم، ص:٩٣، وص:٩٦. زين الأخبار، لأبي سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود الكرديزي، تعريب: أ. د/ عفاف السيد زيدان، ص:٣٧٥، الناشر: المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة، ط: الأولى، ٢٠٠٦م.

(٢) ينظر: قه ديمكي ئويغورلا وه قاراخانيلا، باللغة الأويغورية، تأليف: هاجي نور هاجي، الناشر: شنجانك خه لق نه شرياتي، ئورومچي، ط: الأولى، ٢٠٠٩م، ص:٢٢٧. وينظر: شنجاكدىكي مىلله تله رنىك تاريخي، تأليف: أنور بايتور، وخيرنسا سديق، مىلله تله ر نه شرياتي، بيجين، ط: الثانية، ١٩٩٩م. ج٢/ص:٦٤٣-٦٤٤.

(٣) تركستان الشرقية تحت الاحتلال الصيني، تأليف: بولاتْ تورفاني، باللغة التركية، تعريب: د/ إسلام صلاح عبد الفتاح، دار اليسر- القاهرة، ط: الأولى، عام ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص:٢١.

الفرنسي (مولير)، وغيرهم[١].

وممن قال بهذا القول: أيضا المؤرخ الصيني "سون غشيان" حيث قال: «وفي القرن العاشر الميلادي ظهرت بمنطقة شنجيانغ الصينية أول سلطة إسلامية أسسها قومية الويغور الصينية المسلمة بمدينة كاشغر، وبذلك فإنه إذا تحدثنا عن أول نسخة مطبوعة أو مخطوطة من القرآن الكريم في الصين، فإنها يجب أن ترجع إلى مدينة كاشغر، حيث خرج من كاشغر آنذاك الكثير من العلماء المسلمين الذين قطعوا المسافات الطويلة قاصدين بغداد عاصمة الدولة الإسلامية آنذاك طلبا للعلم، كما أن مؤلف كتاب "ديوان لغات الترك" الأديب الصيني الويغوري المسلم محمود الكاشغري، أحد العلماء الصينيين من أبناء قومية الويغور في القرن الحادي عشر الميلادي»[٢].

ومحمود الكاشغري – كما سيأتي – من الأسرة المالكة ومن أحفاد مؤسس الدولة، وهذا أقوى دليل على أن مؤسسي الدولة القراخانية قومية الأويغور، وهناك أقوال كثيرة في انتساب القراخانيين، أكتفي بما ذكرت تجنبا من الإسهاب.

وكلمة "أويغور" كلمة تركية قديمة تعني الاتحاد والتحالف، سميت عدة قبائل تركية بهذا الاسم بعد الاتحاد الذي حدث بينهم في قصتين منفصلتين:

الأولى: تشير الروايات التاريخية إلى أن أوغوزخان أبا الأتراك كان يؤمن بالله ويعتقد بوحدانيته، لكن أباه وأعمامه كانوا كفارا خالفوا عقيدته، وأرادوا القضاء عليه، فانضم إليه بعض أقاربه لمناصرته، فأطلق عليهم أوغوزخان اسم "أويغور" ثم قامت الحرب بين الفريقين، فانتصر عليهم أوغوزخان وأتباعه، ومن هذه الجماعة تناسل جميع الأويغور. فصار أوغوزخان حاكما عليهم، ومدة حكومته كانت (١١٦) سنة، ويقدر زمان ظهوره (٣٤٠٠) سنة قبل

---

(١) ينظر: ئورخون ئويغور خانلىقىنىڭ قسقىچە تارىخى، تأليف: أحمد سليمان قوتلوق، شنجاڭ خەلق نەشرىياتى، ئورومچي، ط: الثانية، عام ٢٠٠٦م، ص:٥١.

(٢) موجز تاريخ التبادلات الثقافية بين الصين والعالم العربي، تأليف: سون غشيان باللغة الصينية، تعريب: د/حسانين فهمي حسين، دار جامعة الملك سعود للنشر – الرياض، ط: الأولى ١٤٣٧هـ، ص:٨٩.

الهجرة[١].

وقيل: إن أوغوزخان وأفراسياب اسمان لشخص واحد، وهو الأقرب إلى الصواب لما فيه من التقارب في تاريخ الظهور، كما سيأتي عند ترجمة أفراسياب، وكأنه سمي عند الأتراك أوغوزخان، وعند غيرهم أفراسياب، والله أعلم.

الثانية: كان للأتراك في قديم الأزمنة تسع عشرة دولة مستقلة، عشرة منها في غرب تركستان، وتسعة كانت في شرقها، وفي وقت من الأوقات اجتمع حكام الدول العشرة في الغرب وقرروا تكوين دولة قوية، واختاروا من بينهم خانا لهذه الدولة ولقبوه بلقب "إيل أُلْتُزْ"[٢] وسموا هذا الاتحاد باسم "الأويغور العشرة" وفيما بعد اتحدت الدول التسعة في الشرق في دولة موحدة سموه "الأويغور التسعة" ولقبوا زعيمهم بـ"كُوْلْ إِرْكِنْ"[٣].

واستمر الحال بنظام الدولتين زمنا طويلا ثم اتحدت الدولتان وأصبحت أعظم دولة في العالم، ولُقب الحاكم الأعظم في هذه الدولة بلقب "قراخان". وأفراسياب[٤] أحد هؤلاء

---

(١) ينظر: المغول في التاريخ، فؤاد عبد المعطي الصياد، دار النهضة العربية بيروت- لبنان، ط: بدون، ١٩٨٠م. ج١/ ص:٢١-٢٢. حاشية تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قازان وبلغار وملوك التتار، تأليف: محمد مراد الرمزي، تعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج١/ص:٣٤١.

(٢) قال الشيخ محمود الكاشغري: اِيل بمعنى الولاية، ويطلق "إيل" أيضا: على الصلح بين الملكين، و"أُلْتُزْ" تعني الصلة بين شيئين وربطهما. ديوان لغات الترك، محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري، دار الخلافة العلية، إسطنبول، ط: الأولى، ١٣٣٣هـ، ج٢/ص:٤٩-٥٠. وج١/ص:١٨٣. فالمعنى: اتحاد الولايتين بمصالحة الأميرين بعضهما مع بعض، وتنازل أحدهما عن سلطته لصالح الآخر.

(٣) لقب فخر يتخذه أكابر قبيلة القارلوق التركية، معناه: أن عقله مجتمع كالغدير الممتلئ. ديوان لغات الترك، ج٢/ص:٩٩.

(٤) هو أَفْرَاسِيَابَ بْنَ فَشْنَجَ بْنِ رُسْتَمَ بْنِ تُرْكٍ، الَّذِي يُنْسَبُ إِلَيْهِ الْأَتْرَاكُ مِنْ وَلَدِ طُوجَ بْنِ أَفْرِيدُونَ. عاش في عهد نبي الله يُوشَعُ بْنُ نُونٍ عليه السلام. واتسع ملكه حتى حكم عَلَى أَقَالِيمِ بَابِلَ وَمَمْلَكَةِ الْفُرْسِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ بعد موت ملك فارس مِنُوجِهْرَ. الكامل لابن الأثير، ج١/ص:١٤٧-

القراخانيين. وكان ذلك قبل الميلاد (٢٨٥٠) سنة[١].

وعلى هذا يكون عهد الأويغور على ساحة الأرض في موطنهم (تركستان) أطول من الصينيين بثمانمائة وخمسين سنة تقريبا، حيث يعود تاريخ أقدم حكومة للهان في الصين قبل الميلاد بألفي سنة، على أرجح الروايات التاريخية[٢].

وبعض المؤرخين ذهبوا إلى أبعد من ذلك، وأثبتوا وجود الأتراك في آسيا الوسطى قبل الميلاد بخمسة آلاف سنة، مؤكدين أن المدنية والثقافة والفنون انتقلت من الأتراك إلى الصينيين وغيرِهم في العالم، ثبت ذلك في المصادر الأويغورية وغيرها، كما ذكر وِل ديورَانت ذلك قائلا: «والظاهر أن ثقافة تركستان سنة ٥٠٠٠ ق. م كانت قد قطعت من الزمن أشواطا.. من هذا المركز هاجر الناس- يلوذون فراراً مما أصاب أرضهم من جفاف في المطر وجفاف في تربة الأرض- فساروا في اتجاهات ثلاثة، يحملون معهم ما لهم من فن ومدنية؛ فبلغت فنونهم- إن لم يبلغوا بفضيلتهم- أرض الصين ومنشوريا وأمريكا الشمالية من جهة الشرق؛ وبلغت شمال الهند في سيرها إلى الجنوب؛ ثم أدركت في طريقها نحو الغرب»[٣].

=

.١٧٩-١٧٣

(١) تاريخ تركستان الشرقية، لمحمد أمين بغرا، تعريب: محمد قاسم أمين تركستاني، مطابع بهادر- مكة المكرمة، ط: الأولى،١٤٢٩هـ، ص:٨٠، بتصرف واختصار يسير.

(٢) تعتبر الأوساط الأكاديمية الصينية مملكة "شيا" أقدم مملكة في التاريخ الصيني، بيد أنه لا توجد معطيات تاريخية حولها سوى التسجيلات في الوثائق التاريخية التي وضعت بعدها. أسس هذه الأسرة الحاكمة "دا يوه". وترجع إلى ما بين القرنين ٢١-١٦قبل الميلاد تقريبا، واستمرت حوالي ٥٠٠ سنة. أول ملكها "دايوه" وآخرها "جيه" ثم تعقبت في الحكم أسرة شانغ ٦٠٠ سنة إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد، ثم حكمت أسرة تشو ٨٠٧، سنة إلى عام ٢٢١ سنة قبل الميلاد، شهد هذا العهد الطويل بناء السور العظيم، وولادة الكنفوشيوس. ثم حكمت أسرة تشين إلى عام ٢٠٦ قبل الميلاد، ثم حكمت أسرة هان إلى ١٩٥ للميلاد. ينظر: تاريخ الصين، تأليف: جياو جيان، دار مجلة "بناء الصين" بكين، ط: الأولى، ١٩٨٦م. ج١/ ص:١٠-٤٠.

(٣) قصة الحضارة، وِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت - لبنان، عام ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، ج١/ص:١٨٨. ئويغور يلنامسي،

خلاصة القول: إن الأسرة المالكة القراخانية تنحدر من صلب الملك التركي أفراسياب، وتنتمي إلى قبيلة الأويغور التركية. وإن تعددت القبائل المنسوبة إليها فكلها صحيحة؛ لأن هؤلاء قد دخلوا في اتحاد مع الأويغور عام (١٢٦هـ/٧٤٤م) لصد هجوم الإمبراطور تانج، واستطاعوا تأسيس دولة جديدة (٧٤٥م) بعد سقوط دولة "قوتلوق" التركية التي استمرت ٦٥ سنة[١]. ثم اندمجوا مع الأويغور لاحقا وتأوغروا، حيث لا ذكر للقبائل المتعددة الغابرة في عصرنا الحاضر في المجتمع التركستاني ما عدا الأويغور، ويوجد حاليا في تركستان قليل من الأوزبك والقيرغيز والقازاق، وهم أيضا اندمجوا مع الأويغور.

ثانيا: الموقع الجغرافي للقراخانيين.

عاش القراخانيون وأجدادهم "الهُونْ" و"كوكْ تُرُكْ" في تركستان عبر القرون الطويلة[٢].
و"تركستان" مصطلح تاريخي يتكون من مقطعين "ترك" لفظ عربي و"ستان" كلمة فارسية تعني أرض الترك، قال ابن خلدون: «هذا الإقليم هو مملكة الترك الأولى قبل الإسلام وأسلم

=

تأليف: محمد تورسون زنون ئوقيا، الناشر: ئويغور تلي ته تقڤاتي، لندن – بريطانيا، ط: الأولى، ٢٠١٧م، ص:٦.

(١) الكامل، ج٩/ص:٣٢٠. ئويغور يلنامسي، ص:٩٩.

(٢) يسجل تاريخ الصين القديم بشكل مفصل أن الهون أجداد الأتراك هم الذين أسسوا إمبراطورية كبيرة عام ٢١٠ ق.م في تركستان الشرقية، حتى عام٢٢١ بعد الميلاد، وبعد سقوط إمبراطورية الهون، بقيت مناطق البلاد متفرقة إلى عام٥٥٢م، كل قبيلة تحكم جزءا من البلاد، ثم قامت إمبراطورية "كوك ترك" من عام ٥٥٢ إلى عام٧٤٠م، بقيادة بومين قاغان، متمركزين حول جبال آلتاي في تركستان الشرقية، وسقطت دولتهم بسبب الانقسامات الداخلية في المملكة عام ٧٤٠م، وعلى إثرها قامت مملكة ئورخون الأويغورية، وما إن أكملت هذه المملكة قرنها إلا وقد تعرضت للهجوم من القرغيز فسقطت على أيديهم، عام٨٤٠م، فاستعاد القراخانيون مملكتهم باتحاد مع قبيلة قارلوق وتركش والياغما وسائر القبائل التركية، واتخذوا مدينة كاشغر عاصمة لهم، واستمروا في الحكم إلى عام ١٢١٢م. تركستان الشرقية تحت الاحتلال الصيني، ص:٢١-٢٢. وينظر: ئويغور يلنامسي، ص:١١١.

ملوكهم على تركستان وكاشغر فأقاموا بها»[١].

وقال ياقوت: «هو اسم جامع لبلاد الترك وحدّهم الصين والتّبّت... وأول حدّهم من جهة المسلمين فاراب[٢].. ومدائنهم المشهورة ست عشرة مدينة»[٣].

وقال ابن الأثير: «إِنَّ بِلَادَ تُرْكِسْتَانَ، وَهِيَ كَاشْغَرُ، وَبَلَاسَاغُونَ،[٤] وَخُتَنْ،[٥] وَطِرَازُ، وَغَيْرُهَا مِمَّا يُجَاوِرُهَا مِنْ بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ كَانَتْ بِيَدِ الْمُلُوكِ الْخَانِيَّةِ الْأَتْرَاكِ، وَهُمْ مُسْلِمُونَ مِنْ نَسْلِ أفراسياب التُّرْكِيِّ، إِلَّا أَنَّهُمْ مُخْتَلِفُونَ»[٦].

وقال المسعودي: «وملكهم أيرخان.. وهم أهل بلاد فرغانة، والشاش[٧] وما يلي ذلك

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ج٥/ص:٥٣١.

(٢) ولاية وراء نهر سيحون في تخوم بلاد الترك، قريبة من بلاساغون، وقد خرج منها جماعة من الفضلاء، منهم: إسماعيل بن حمّاد الجوهري مصنف الصحاح في اللغة، وخاله أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم صاحب ديوان الأدب في اللغة وغيرهما، وإليها ينسب أبو نصر محمد بن محمد الفارابي الحكيم الفيلسوف صاحب التصانيف في فنون الفلسفة. معجم البلدان، ج٤/ص:٢٢٥.

(٣) معجم البلدان، ج٢/ص:٢٢-٢٤.

(٤) بلد عظيم في ثغور الترك وراء نهر سيحون قريب من كاشغر، ينسب إليه جماعة من أهل العلم. معجم البدان، ج١/ص:٤٧٦. نقلت إليها عاصمة الدولة القراخانية بعض الوقت.

(٥) وهي من أهم مدن تركستان، تقع في القسم الجنوبي للبلاد، وتحدها كشمير والتبت، وطالما استعصى فتحها على الحكام القراخانيين، حتى تم فتحها في عهد أقوى رجل في تاريخ الدولة القراخانية (يوسف قادرخان) لشدة تمسك أهلها بعقيدتهم البوذية، ومازال في أهلها صفة شدة الثبات على العقيدة، ومنذ فتح المدينة وهم أشد الناس تمسكا بمادئي الإسلام إلى يومنا، وينسب إليها قديما وحديثا علماء أجلاء، كما قال المؤرخون: وَهِيَ بِلَادٌ كَثِيرَةُ الْعُلَمَاءِ وَالْفُضَلَاءِ. معجم البلدان، ج٢/ص:٣٤٧. الكامل، ج٧/ص:٦٤٣.

(٦) الكامل لابن الأثير، ج٩/ص:١١٦.

(٧) مدينة بما وراء النهر (نهر سيحون) متاخمة لبلاد الترك وأهلها شافعيّة المذهب، وإنّما شاع بها هذا المذهب مع غلبة مذهب أبي حنيفة في تلك البلاد، لأن أبا بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفّال الشاشي فارقها من أجل العلم وتفقّه على المذهب الشافعية، ثمّ لما عاد إليها فصار أهل تلك

الصقع، وفيهم كان الملك، ومنهم خاقان الخواقين، وكان يجمع ملكه سائر ممالك الترك، وتنقاد إليه ملوكها، ومن هؤلاء الخواقين فراسياب التركي الغالب على بلاد فارس»[1].

أما مساحتها فبينها محمود الكاشغري بقوله: «فَجُلُّ بلاد الترك من لدن الروم إلى ماصين[2] خمسون ألف فرسخ عرضا، فجملة ذلك يكون ثمانية ألاف فرسخ، فإني قد بينت كل ذلك في الدائرة التي هي شكل الأرض ليعرف ذلك»[3]

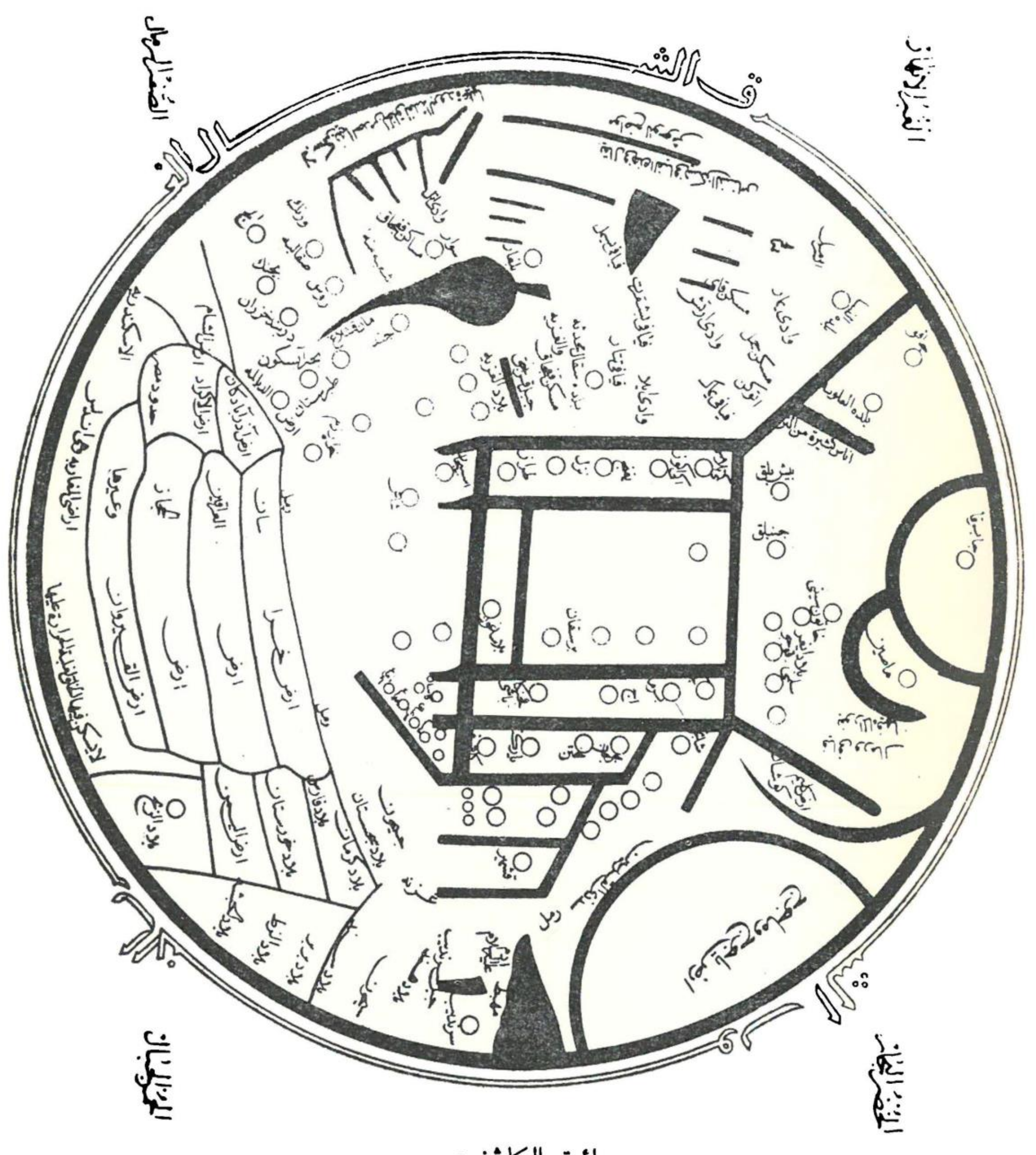
=

البلاد على مذهبه. معجم البلدان، ج٣/ص:٣٠٨.

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، المطبعة العصرية بيروت – لبنان. ط: الأولى،١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ج١/ص:١٠٤.

(٢) اسم موضع من بلاد الأتراك في أقصى الحدود، لم أقف على اسمه الجديد.

(٣) ديوان لغات الترك، ج٢/ص:٣١.



دائرة الكاشغري

ديوان لغات الترك Aleaddin Kral Basimevi

انقره ١٩٤١

والصورة المرفقة للدائرة التي ذكرها الكاشغري تعطي لنا فكرة واضحة عن الموطن الأصلي للأتراك. ويؤيد ذلك ما ذكره بروكلمان «أن الأتراك دخلوا في طور التاريخ بعد أن شرعوا في

الاندفاع من جبال تيان شان إلى بوادي آسيا الوسطى»(١).

وتقع تركستان (بقسميها الغربي والشرقي) في وسط آسيا بين الصين وروسيا، تبلغ مساحتها (٥,٥٨٠,٤١٨)(٢). ويؤيد – أن هذا القدر الكبير من المساحة للعرقية التركية — ما جاء في الموسوعة العربية العالمية أن «تركستان منطقة جغرافية واسعة تقع في آسيا. وهي منطقة ليس لها حدود واضحة إذ تمتد من سيبريا شمالا إلى إيران وباكستان والهند والتبت جنوبا. وتقع الصحراء المنغولية إلى الشرق منها، بينما يقع بحر قزوين إلى الغرب. ويشير لفظ تركستان إلى القبائل الناطقة باللغة التركية... كانت تركستان تربط أوروبا بشرق آسيا لمئات من السنين»(٣).

وعرفت تركستان الغربية في التاريخ الإسلامي ببلاد ما وراء النهر(٤)، وهي موطن الأتراك في آسيا الوسطى، تشتمل على أقاليم ما وراء النهر والصغد(٥) وخوارزم(٦) وجزء من

---

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، تعريب: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: الخامسة، ج٢/ص:١٠٩.

(٢) ينظر: الجمهوريات الإسلامية من الظلمات إلى النور، عابد قاري محمد جان، جمعية أتراك السعودية — جدة، عام ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص:٢٥.

(٣) الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض– المملكة العربية السعودية، ط: الثانية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ج ٦/ص:٢٢٨.

(٤) يراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان، فما كان في شرقية يقال له بلاد الهياطلة، وما كان في غربيّة فهو خراسان وولاية خوارزم، وتمتد حدود بلاد ما وراء النهر إلى نواحي مختلفة، تحيط بها من الشرق حدود التبت والهند؛ ومن الجنوب حدود خراسان، ومن الغرب حدود الصغانيان؛ ومن الشمال حدود أسروشنة. حدود العالم، ص:١٣٥. معجم البلدان، ج٥/ص:٤٥.

(٥) الصغد أوالسغد: من أطيب أرض الله، كثيرة الأشجار غزيرة الأنهار، وقُراها متصلة بالأشجار والبساتين من سمرقند إلى قريب من بخارى، لا تبين القرية حتى تأتيها لالتحاف الأشجار بها، أهلها ظرفاء متدينون ودودون يقرون الضيف وقيل: جنان الدنيا أربع: غوطة دمشق، وصغد سمرقند، ونهر الأبلّة، وشعب بوّان،. حدود العالم، ص:١٢٧. معجم البلدان، ج٣/ص:٤٠٩.

(٦) خوارزم ليس اسما للمدينة إنما هو اسم للناحية بجملتها، التي تقع في الجهة الغربي من بلاد ما وراء

خراسان[١]. يجري فيها نهران عظيمان وهما نهر جيحون "أموداريا" ونهر سيحون "سير داريا" ومن الأنهار أيضاً نهر زرافشان، وهو يروي وادياً باسمه ويمر بسمرقند[٢] وبخارى[٣]. كما توجد بعض البحيرات كبحيرة بالقاش في كازاخستان، وبحيرة إيسيق كول في قيرغيزستان، وبحيرة شرواك الاصطناعية في أوزبكستان، وبحيرة باغراش في حوض تاريم بالقرب من مدينة كورلا،[٤] في تركستان الشرقية، وبحيرة سايرام في ولاية غولجا،[٥] وبحيرة بوغدا على الشرق من مدينة أرومجي[٦].

=

النهر، يسمى ملكهم خوارزم شاه. معجم البلدان، ج٢/ص:٣٩٥. حدود العالم، ص:١٣٧.

(١) بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند، وتشتمل على أمّهات من البلاد منها: نيسابور، وهراة، ومرو، وبلخ، وطالقان، ونسا، وسرخس. معجم البدان، ج٢/ص:٣٥٠.

(٢) بلد قديم معروف بما وراء النهر، وهو قصبة الصغد، يقال بناها إسكندر ذو القرنين، يجتمع فيها التجار من الآفاق، فيها قلاع وآثار. معجم البلدان، ج٣/ص:٢٤٦. حدود العالم، ص:١٢٧.

(٣) من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلّها، بينها وبين نهر جيحون يومان، وكانت قاعدة ملك السامانية، وليس بما وراء النهر وخراسان بلدة أهلها أحسن قياما بالعمارة على ضياعهم من أهل بخارى ولا أكثر عددا على قدرها في المساحة. معجم البلدان، ج١/ص:٣٥٣.

(٤) وهي مدينة تقع في الجزء الشمالي من تركستان، قريبة من عاصمة البلاد، (أرومجي) أهلها مزيج من الأويغور والمغول بالإضافة إلى قومية الهان، فيها مراعي شاسعة لذلك يكثر فيها الثور الجبلي والوعول، وفيها أجود أنواع الكمثرى. تعريف الطالب الباحث.

(٥) إحدى أكبر مدن تركستان، تقع في غربها بحدود كزاخستان، يكثر فيها الأمطار، وفيها مراعي شاسعة، والبساتين الكثيرة للتفاح وغيرها من الفواكه، وأهلها مزيج من قومية الأويغور والقازاق والهوي، كانت تسمى قديما بـ" ئيلي. تعريف الطالب الباحث.

(٦) وهي عاصمة تركستان، كانت تسمى قديما بـ"بَشْبالِقْ"، وسميت في عهد المغول بهذا الاسم، معناها عندهم المراعي الجميلة. أغلب سكانها حاليا من قومية الهان. وتم طرد كثير من الأويغور منها منذ عام ٢٠١٧م، كما تم نقل كثير من أهل البلاد إلى داخل المدن الصينية للعمل الإجباري في المصانع.

أُحْتُلت تركستان إبان سريان الوهن للخلافة العثمانية وانقسمت إلى قسمين:

أ. تركستان الغربية.

عرفت بذلك بعد استيلاء الروس عليها تماما عام١٨٨٥م، ويحدها من الشرق "جبال تيان شان" ومن الغرب "جبال الأورال" وبحر قزوين، ومن الشمال سلاسل جبلية قليلة الارتفاع. وقسمت البلاد بعد الثورة البلشفية، وبعد قيام اتحاد الجمهوريات الاشتراكية الروسية عام (١٣٤٠هـ/١٩٢٢م). إلى خمس جمهوريات سوفيتية وهي كازاخستان، قرغيزستان، أوزبكستان، تركمنستان، طاجكستان. ويتكلم أهلها الجغتائية "التركية القديمة" والفارسية(١).

ب. تركستان الشرقية، أو الصينية شنجيانغ، معناه باللغة الصينية (الحدود الجديدة).

سميت بذلك بعدما أُحْتُلَّتْ من قبل سلالة منجو الصينية عام (١٢٩٣هـ/١٨٧٦م). وتقع في قلب قارة آسيا، وتمتد من تركستان الغربية إلى صحراء جوبي والتبت. وتحد هذه المنطقة سلسلة جبال تيان شان من الشمال وجبال كونلن- التي يزيد ارتفاعها عن ستة آلاف متر- من الجنوب.. وسكانها من أصل تركي يسمون الأويغوريين(٢).وهي الآن تُعد إحدى أقاليم الصين، وموقعها كما توضحه الصورة التالية:

---

(١) ينظر: الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز الحاضر والمستقبل، تأليف: أ.د/ أحمد فؤاد متولي، والدكتور هويدا محمد فهمي، مركز الدراسات الشرقية –جامعة القاهرة، ط: الأولى، عام ٢٠٠٠م. ص:٨٨. جغرافية العالم الإسلامي، د/ محمد خميس الزوكة، دار المعرفة الجامعية- القاهرة، ط: بدون، عام ٢٠٠٠م، ص:٢٠٤.

(٢) الموسوعة العربية العالمية، ج ٦/ص:٢٢٨. بتصرف.



كما وضحت الخريطة أن تركستان تقع في شمال غرب الصين الشيوعية، تحدها من الشمال منغوليا، ومن الغرب قازاقستان وقيرغيزستان وطاجيكستان، ومن الجنوب باكستان، والهند، وأفغانستان. وعاصمتها مدينة أورومجي، وفي عهد القراخانيين كانت العاصمة كاشغر، وكانت تسمى بخارى الصغرى لكثرة علمائها، ويتكلم سكانها اللغة الأويغورية، إحدى فصائل اللغة التركية. وأكثر فصائل اللغة التركية صلة بها: اللغة الأوزبكية، وأقلها التركمانية. تبلغ مساحتها (١,٨٢٨,٤١٨) كيلومتر مربع، وهي بذلك تشكل خمس مساحة الصين كلها، بما فيها مستعمرات الصين الشعبية، مثل: التبت ومنغوليا الداخلية. مساحة الصحراء فيها (٦٥٠) ألف كيلومتر مربع وأما مساحة الغابات (٩١) ألف كيلومتر مربع[١].

(١) قضية تركستان الشرقية، عيسى يوسف آلب تكين، باللغة التركية، تعريب: إسماعيل حقي شن

يبلغ عدد سكانها من أتراك الأويغور حاليا، على أرجح الأراء إلى ثلاثين مليون مسلم، أما عدد عرقية الهان – المهاجرين الشيوعيين إلى المنطقة– فَيَفوق على السكان الأصليين الأويغور. ويسكنون في المناطق ذات الأهمية جغرافيا وتجاريا.

ثالثا: دخول الإسلام في المنطقة.

دخل الإسلام منطقة تركستان في وقت مبكر، حيث كانت الفترة من سنة (٨٦هـ/٧٠٥م)، إلى سنة (٩٦هـ/٧١٤م)، بداية تحول جديد في تاريخ العلاقات بين العرب والترك، وفي سنة (٨٦هـ/٧٠٥م) وَلّى الحجاجُ بن يوسف قتيبةَ بْن مُسْلِم الباهلي خراسان، وهذه المدينة كقاعدة عربية لعبت دورا مهما في التمهيد لنجاح الفتوح العربية في منطقة ما وراء النهر بين الأتراك، وكانت تخرج منها غزوات خاطفة في موسم الصيف ثم تعود إلى القاعدة الرئيسية في موسم الشتاء، قبل أن يتولى أمرها قتيبة، وفي عهد قتيبة رحمه الله، تحولت هذه الغارات إلى الجهاد الإقدامي المعلن وأدى إلى فتوح منظمة[1].

وقد استغرقت حملات قتيبة رحمه الله في بلاد ما وراء النهر نحو عشر سنوات حافلة بالتوفيق والنصر، وجاءت تلك الجهود طوال تلك السنوات العشر على أربعة مراحل، كل مرحلة منها تختص بفتح إقليم من أقاليم ما وراء النهر.

المرحلة الأولى: سنة (٨٦هـ/٧٠٥م). وفيها استعاد العرب منطقة طخارستان[2] السفلي وأخمدوا الثورات التي نشبت فيها، كما استولوا على طالقان وبلخ[3].

=

كولر، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام– مكة المكرمة، بدون تاريخ. ص:١٢.

(١) ينظر: الإسلام في آسيا الوسطى (بين الفتحتين العربي والتركي)، د/حسن أحمد محمود، بدون ناشر، ص:١٣٩، وما بعدها.

(٢) وهي ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد، ولها العليا والسفلى، فالعليا شرقي بلخ وغربي نهر جيحون، وبينها وبين بلخ ثمانية وعشرون فرسخا، وأما السفلى فهي أيضا غربي جيحون إلا أنها أبعد من بلخ، ومن مدنها طالقان. معجم البلدان، ج٤/ص:٢٣.

(٣) ينظر: تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري، دار التراث، بيروت، ط: الثانية، عام ١٣٨٧هـ. ج٦/ص:٤٢٥. بلخ: من أجل مدن خراسان،

المرحلة الثانية: من عام (٨٧-٩١هـ/٧٠٥-٧٠٨م). وفيها استطاع قتيبة بن مسلم اقتحام إقليم بخارى، فقد أبرز مدى قوة العرب في هذه المرحلة. فسارع ملك سمرقند (غوزك) بالاتصال بقتيبة لوضع شروط للصلح وتجديد المعاهدة القديمة. قيل إنه شرط عليهم في الصلح مائة ألف فارس وبيوت النيران وحلية الأصنام، فقبض قتيبة ذلك، وأتي بالأصنام فكانت كالقصر العظيم، وأخذ ما عليها وأمر بها فأحرقت، فجاءه غُوزَكْ فقال: «إن شكرك على واجب لا تتعرض لهذه الأصنام، فإن منها أصناما من أحرقها هلك. فقال قتيبة: أنا أحرقها بيدي فدعا بالنار فكبر ثم أشعلها فاحترقت، فوجدوا من بقايا مسامير الذهب خمسين ألف مثقال»[(١)]. وزاد البلاذري «فلما حرقها قتيبة بيده أسلم منهم خلق»[(٢)] .

المرحلة الثالثة: من عام (٩١-٩٣هـ/٧٠٩-٧١١م). وفيها امتد النفوذ العربي إلى وادي جيحون وبلاد الصغد. وصالح مع ملك كثير من البلاد على فدية، مثل: شومان[(٣)]، وخارزم، وجوزجان[(٤)][(٥)].

المرحلة الرابعة: من عام (٩٤-٩٧هـ/٧١٢-٧١٤م). وفيها اتجهت الحملات العربية

=

وأكثرها غلة، تحمل غلتها إلى جميع خراسان، وإلى خوارزم، يحيط بها سور منيع، وكانت مقر الأكاسرة قديما، وكانت تسمى الإسكندرية قديما، لما قيل: إن إسكندر بناها. معجم البلدان، ج١/ص:٤٧٩. حدود العالم، ص:١٣١.

(١) الكامل، ج٤/ص:٢٧٥. فتوح البلدان، أحمد بن يحى بن جابر بن داود البلاذري، دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط: بدون،١٩٨٨م. ص:٤٠٦. وينظر: الإسلام في آسيا الوسطى بن الفتحتين، ص:١٤٨.

(٢) فتوح البلدان، ص:٤٠٧.

(٣) شُومانُ: بلد بما وراء نهر جيحون، وهو من الثغور الإسلامية وفي أهله قوة وامتناع عن السلطان يكثر فيه الزعفران. معجم البلدان، ج٢/ص:٣٧٣-٣٧٤.

(٤) جوزجان: اسم للناحية ومن مدنها: شبورقان، وفارياب، وأنبار. المسالك والممالك، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري، دار صادر – بيروت، د. ط: عام ٢٠٠٤م، ص:١٣٢.

(٥) ينظر: فتوح البلدان، ص:٤٠٥-٤٠٦. تاريخ الرسل والملوك للطبري، ج٦/ص:٤٢٤، وما بعدها. والكامل، ج٤/ص:٢٤١.

إلى إخضاع المقاطعات الواقعة على نهر سيحون، بل أوغل قتيبةُ في غزواته حتى كاشغر في تركستان الشرقية مقتربا من حدود الصين عام (٩٦هـ/٧١٤م)، «وَبَعَثَ جَيْشًا مَعَ كَبِيرِ بْنِ فُلَانٍ إِلَى كَاشْغَرَ، فَغَنِمَ وَسَبَى سَبْيًا، فَخَتَمَ أَعْنَاقَهُمْ، وَأَوْغَلَ حَتَّى بَلَغَ قَرِيبَ الصِّينِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَلِكُ الصِّينِ (زوان تسونغ، من أسرة تانغ) أَنِ ابْعَثْ إِلَيَّ رَجُلًا شَرِيفًا يُخْبِرُنِي عَنْكُمْ وَعَنْ دِينِكُمْ. فَانْتَخَبَ قُتَيْبَةُ عَشَرَةً لَهُمْ جَمَالٌ وَأَلْسُنٌ وَبَأْسٌ وَعَقْلٌ وَصَلَاحٌ، فَأَمَرَ لَهُمْ بِعُدَّةٍ حَسَنَةٍ وَمَتَاعٍ حَسَنٍ مِنَ الْخَزِّ[(١)] وَالْوَشْيِ[(٢)] وَغَيْرِ ذَلِكَ وَخُيُولٍ حَسَنَةٍ، وَكَانَ مِنْهُمْ هُبَيْرَةُ بْنُ مُشَمْرَجٍ الْكِلَابِيُّ، فَقَالَ لَهُمْ: إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَيْهِ، فَأَعْلِمُوهُ أَنِّي قَدْ حَلَفْتُ أَنِّي لَا أَنْصَرِفُ حَتَّى أَطَأَ بِلَادَهُمْ، وَأَخْتِمَ مُلُوكَهُمْ وَأَجْبِيَ خَرَاجَهُمْ. فَسَارُوا وَعَلَيْهِمْ هُبَيْرَةُ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِمْ دَعَاهُمْ مَلِكُ الصِّينِ، فَلَبِسُوا ثِيَابًا بَيَاضًا تَحْتَهَا الْغَلَائِلُ[(٣)]، وَتَطَيَّبُوا وَلَبِسُوا النِّعَالَ وَالْأَرْدِيَةَ، وَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَعِنْدَهُ عُظَمَاءُ قَوْمِهِ، فَجَلَسُوا، فَلَمْ يُكَلِّمْهُمُ الْمَلِكُ وَلَا أَحَدٌ مِمَّنْ عِنْدَهُ، فَنَهَضُوا. فَقَالَ الْمَلِكُ لِمَنْ حَضَرَهُ: كَيْفَ رَأَيْتُمْ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالُوا: رَأَيْنَا قَوْمًا مَا هُمْ إِلَّا نِسَاءٌ...

فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ دَعَاهُمْ، فَلَبِسُوا الْوَشْيَ وَالْعَمَائِمَ الْخَزَّ وَالْمَطَارِفَ[(٤)]، وَغَدَوْا عَلَيْهِ، فَلَمَّا دَخَلُوا قِيلَ لَهُمْ: ارْجِعُوا، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: كَيْفَ رَأَيْتُمْ هَذِهِ الْهَيْئَةَ؟ قَالُوا: هَذِهِ أَشْبَهُ بِهَيْئَةِ

---

(١) الخَزُّ: ثِيَابٌ تُنْسَج مِنْ صُوف وإِبْرَيسم، وَهِيَ مُبَاحة، أو تنسج مِنَ الْإِبْرَيْسَمِ الخالص فيكون حراما. النهاية في غريب الحديث، مجد الدين أبو الساعادات المبارك بن محمدبن .. عبد الكريم الشيباني الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطانجي، المكتبة العلمية – بيروت، عام ١٣٩٩هـ، ج٢/ص:٢٨.

(٢) الوَشْيُ: نقش الثوب ويكون من كل لون ونوع من الثياب الموشية. المعجم الوسيط، تأليف: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة – مصر. بدون تاريخ. ج٢/ص:١٠٣٦.

(٣) غَلائل الدُّروع: مَسَامِيرُهَا المدخَلة فِيهَا، الْوَاحِدُ غَلِيل. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الإفريقي، دار صادر -بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. ج١١/ص:٥٠٢.

(٤) المِطْرَفُ: وَاحِدُ المطارِفِ وَهِيَ أَرْدِية مِنْ خَزٍّ مُرَبَّعة لَهَا أَعْلام، وَقِيلَ: ثَوْبٌ مُرَبَّعٌ مِنْ خَزٍّ لَهُ أَعلام. المرجع السابق، ج٩/ص: ٢٢٠.

الرِّجَالِ مِنْ تِلْكَ. فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ دَعَاهُمْ، فَشَدُّوا سِلَاحَهُمْ وَلَبِسُوا الْبَيْضَ وَالْمَغَافِرَ، وَأَخَذُوا السُّيُوفَ وَالرِّمَاحَ وَالْقِسِيَّ وَرَكِبُوا. فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ مَلِكُ الصِّينِ فَرَأَى مِثْلَ الْجِبَالِ، فَلَمَّا دَنَوْا رَكَزُوا رِمَاحَهُمْ وَأَقْبَلُوا مُشَمِّرِينَ، فَقِيلَ لَهُمْ: ارْجِعُوا، فَرَكِبُوا خُيُولَهُمْ وَأَخَذُوا رِمَاحَهُمْ وَدَفَعُوا خَيْلَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَتَطَارَدُونَ. فَقَالَ الْمَلِكُ لِأَصْحَابِهِ: كَيْفَ تَرَوْنَهُمْ؟ قَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَؤُلَاءِ. فَلَمَّا أَمْسَى بَعَثَ إِلَيْهِمْ: أَنِ ابْعَثُوا إِلَيَّ زَعِيمَكُمْ. فَبَعَثُوا إِلَيْهِ هُبَيْرَةُ بْنُ مُشَمْرَجٍ، فَقَالَ لَهُ: قَدْ رَأَيْتُمْ عِظَمَ مُلْكِي وَأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مَنَعَكُمْ مِنِّي، وَأَنْتُمْ فِي يَدِي بِمَنْزِلَةِ الْبَيْضَةِ فِي كَفِّي، وَإِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ أَمْرٍ، فَإِنْ لَمْ تَصْدُقُونِي قَتَلْتُكُمْ.

قَالَ: سَلْ، قَالَ: لِمَ صَنَعْتُمْ بِزِيِّكُمُ الْأَوَّلِ الْيَوْمَ الْأَوَّلَ وَالثَّانِيَ وَالثَّالِثَ مَا صَنَعْتُمْ؟ قَالَ: أَمَّا زِيُّنَا الْيَوْمَ الْأَوَّلَ فَلِبَاسُنَا فِي أَهْلِنَا، وَأَمَّا الْيَوْمَ الثَّانِي فَزِيُّنَا إِذْ أَمِنَّا أُمَرَاءَنَا، وَأَمَّا الثَّالِثَ فَزِيُّنَا لِعَدِوِّنَا. قَالَ: مَا أَحْسَنَ مَا دَبَّرْتُمْ دَهْرَكُمْ، فَقُولُوا لِصَاحِبِكُمْ يَنْصَرِفُ، فَإِنِّي قَدْ عَرَفْتُ قِلَّةَ أَصْحَابِهِ، وَإِلَّا بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ مَنْ يُهْلِكُكُمْ.

قَالَ: كَيْفَ يَكُونُ قَلِيلُ الْأَصْحَابِ مَنْ أَوَّلُ خَيْلِهِ فِي بِلَادِكَ وَآخِرُهَا فِي مَنَابِتِ الزَّيْتُونِ؟ وَأَمَّا تَخْوِيفُكَ إِيَّانَا بِالْقَتْلِ، فَإِنَّ لَنَا آجَالًا إِذَا حَضَرَتْ فَأَكْرَمُهَا الْقَتْلُ، وَلَسْنَا نَكْرَهُهُ وَلَا نَخَافُهُ، وَقَدْ حَلَفَ أَنْ لَا يَنْصَرِفَ حَتَّى يَطَأَ أَرْضَكُمْ، وَيَخْتِمَ مُلُوكَكُمْ، وَيُعْطَى الْجِزْيَةَ.

فَقَالَ: فَإِنَّا نُخْرِجُهُ مِنْ يَمِينِهِ وَنَبْعَثُ تُرَابَ أَرْضِنَا فَيَطَأَهُ، وَنَبْعَثُ إِلَيْهِ بِبَعْضِ أَبْنَائِنَا فَيَخْتِمَهُمْ، وَنَبْعَثُ إِلَيْهِ بِجِزْيَةٍ يَرْضَاهَا. فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِهَدِيَّةٍ وَأَرْبَعَةِ غِلْمَانٍ مِنْ أَبْنَاءِ مُلُوكِهِمْ، ثُمَّ أَجَازَهُمْ فَأَحْسَنَ، فَقَدِمُوا عَلَى قُتَيْبَةَ، فَقَبِلَ قُتَيْبَةُ الْجِزْيَةَ، وَخَتَمَ الْغِلْمَانَ وَرَدَّهُمْ، وَوَطِئَ التُّرَابَ»(١).

ثم استقر الإسلام في المنطقة وانتشر على يد السامانيين في كافة أنحاء تركستان الشرقية، حتى أسلم الملوك والأمراء فتحولت المنطقة إلى دولة إسلامية بحتة بفضل من الله عز وجل، بعد أن كانت تحارب الإسلام.

---

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبري، ج٦/ص:٥٠١-٥٠٢. وأورد القصة كلٌ من ابن الأثير وابن كثير باختلاف يسير من الطبري، الكامل ج٤/ص:٦٧-٦٨. البداية والنهاية، ج١٢/ص:٥٨-٥٩.

رابعا: نشأة الدولة القراخانية الإسلامية.

نشأت الدولة القراخانية وتأسست عام (٢٢٥هـ/٨٤٠م) بعد سقوط دولة الأويغور السابقة (ئورخون) على يد القرغيز، وعُيِّنَ "بيلغه غول قادرخان" كأول ملك للدولة، وحكم إلى عام (٢٦٦هـ/٨٨٠م) ثم خلفه ابنه (باريز أرسلان خان) وبعده ابنه الثاني (أوغولچاق)[١].

وكان باريز أرسلان خان أوصى الولاية بعده لابنه (سُتُوقْ تِكِنْ) لكن لصغر سن الأمير عند وفاة الأب اعتلى العرش أخوه أوغولچاق، عم الأمير، وتزوج بأرملة أخيه متعهدا بتسليم السلطة لابن أخيه إذا بلغ سن الرشد، ولكنه لم يف بوعده فيما بعد. عندما سمع بإسلام ولي العهد أراد أن يزيحه عن السلطة، ويجعل الولاية لابنه بدلا من ابن أخيه، باريز أرسلان خان، وكان الأمير ستوق تِكِنْ قد أسلم عندما لقي في مدينة أرطوش[٢] الشيخ أبو نصر الساماني مع عدد من التجار، رآهم يصلون فسألهم عن الإسلام، فشرح الشيخ أبو نصر له أسماء الله الحسنى وصفاته، وشيئا من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم فأسلم الشاب خفية من حاشيته ثم دعا بعض خواصه فأسلموا، واستطاع سِتُوقْ تِكِنْ خلال أشهر قليلة أن ينشر الإسلام بين عدد من الشباب، ما بين خمسمائة إلى ستمائة بالإضافة إلى تجنيدهم للسيطرة على السلطة والتخلص من عمه[٣].

---

(١) ينظر: ملخص ألفيتين من تاريخ التركي، باللغة التركية، تأليف: سليمان سيدي، تعريب: عبد القادر عبد اللي، الناشر: وزارة الثقافة والسياحة لجمهورية تركيا، أنقرة، ط: د. ت، عام٢٠١٤. ص:٤٤-٤٥. شه رقي توركستان تاريخي، محمد أمين بغرا، باللغة الأويغورية، ط: الخامسة أنقرة – تركيا عام ١٩٨٩م، د.ن، ص:١٣١-١٣٢. وينظر: قه ديمكي ئويغورلا وه قاراخانيلا، ص:٢٣١.

(٢) أرطوش: مدينة بقرب كاشغر، يقال لها أيضا أرتوج. دفن فيها السلطان ستوق بغراخان وغيره من ملوك القراخانيين، وتوجد المقابر إلى الآن.

(٣) سوتوق بوغراخان، (رواية تاريخية) باللغة الأويغورية، تأليف: سيف الدين عزيزي، الناشر: مملله تله ر نه شرىياتي، بكين – الصين، ط: الثانية: ١٩٨٨م، ص:٤١. وينظر: قه ديمقي ئويغورلا وه خاراخانىلا، ص:٢٣٥-٢٣٦. شه رقي توركستان تاريخي، ص:١٣١-١٣٢.

ولما وصل خبر إسلام ستوق بغراخان إلى المسلمين في كاشغر وفرغانة أبدوا فرحتهم بإسلامه واستعدوا لإعانته على عمه، حتى اجتمع عند ستوق بغراخان ثلاثة ألاف من المسلمين، فباغت مع جنوده على حصن عمه وانتزع السلطة منه، وجلس على كرسي الملك عام (٣١٥هـ/١٩٢٧م) واتخذ لنفسه لقب"بغراخان" فصار سلطان ستوق بغراخان، وبإشهار إسلامه أسلم معظم أهالي كاشغر. وقصده علماء خراسان وأفغانستان وسمرقند للتهنئة وسموه بـ" عبد الكريم[(١)].

وقيل: في سبب إسلامه أنه أراد استغلال المسلمين في استعادة السلطة، حيث إن المسلمين كانت تتوق أنفسهم إلى أن تصبح دولتهم إسلامية مثل جارتهم السامانية، واستغل الجو المناسب لحركته فظفر[(٢)].

وهذا لا أساس له؛ لأن عمه ما أقدم على إقالته إلا بعدما عرف إسلامه. أما ابن الأثير فيذكر سببا آخر، بحيث يضفي على إسلامه طابعا أسطوريا فيقول: «إِنَّهُ رَأَى فِي مَنَامِهِ كَأَنَّ رَجُلًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ فَقَالَ بِالتُّرْكِيَّةِ مَا مَعْنَاهُ: أَسْلِمْ تَسْلَمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَأَسْلَمَ فِي مَنَامِهِ، وَأَصْبَحَ فَأَظْهَرَ إِسْلَامَهُ»[(٣)].

حيث كان لإسلامه دورا كبيرا في كاشغر، كإسلام عمر بن الخطاب في مكة، من كان متسترا بإسلامه أظهره، ومن كان مترددا فيه أذعن له، ومن كان جاهلا دُعِيَ وعُلِّمَ حتى أسلم الناس حكومة وشعبا أفواجا، فتحولت الدولة إلى دولة إسلامية[(٤)].

وكانت الدولة القراخانية حينها تُعَدُّ أول وأكبر دولة إسلامية تركية ظهرت في تركستان

---

(١) تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، فاسيلي فلاديمر وفتش بارتولد، باللغة الروسية، تعريب: صلاح الدين هاشم، اللجنة الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط: الأولى، ١٤٠١هـ/١٩٨م، ص:٣٨٨. وينظر: تاريخ ابن خلدون، ج٤/ص:٥١٢. قه ديمكي ئويغورلا وه قاراخانيلا، ص:٢٣٧-٢٣٨.

(٢) قه ديمكي ئويغورلا وه قاراخانيلا، ص: ٢٣٧.

(٣) الكامل، ج٩/ص:١١٦.

(٤) قه ديمكي ئويغورلا وه قاراخانيلا، ص:٢٣٨.

(آسيا الوسطى) بعد إمبراطورية "كوك ترك" (أتراك الأزارقة)، ومنها شع نور الإسلام العظيم لباقي الأقوام التركية، وأسس هذا النور دولا عظيمة بعدها، على رأسها السلجوقية والعثمانية، كما أنها أول دولة غير عربية في الإسلام تبنَّتْ الإسلام دينا لها، وتركت أبجديتها القديمة مستبدلة بها الأبجدية العربية. وهذا يُعد تحولا تاريخيا في الأدب والثقافة التركية وصبغهما بصبغة إسلامية. وأُطلق عليها في بعض كتب التاريخ اسم "دولة آل أفراسياب" و"دولة خانات تركستان" و"الدولة الخاقانية" وسماها الأوروبيون بـ"الدولة الإ يلكخانية"(١).

ولما كانت الدولة القراخانية جمعت القبائل التركية - المختلفة في بعض عاداتها وتقاليدها – تحت راية الإسلام، استخدم حكامها بعض الألقاب الفخرية والفخمة من كل القبائل تقريبا، وذلك طلبا لأنسهم وألفتهم، وتلك الألقاب عبارة عن الحيوان القوي الضخم كاالإبل والفيل، أو الحيوان المفترس كالأسد والنمور، أو الطيور الجارحة كالصقر والباز، وما أشبه ذلك، بإضافة كلمة (خان) - التي تعني العظمة - مع تلك الأسماء. وهي كالتالي:

١- قراخان، كلمة "قرا" بمعنى الأَسْوَدْ، يقصد به المبالغة في القوة، و"خان" بمعنى العظمة، ولا يوصف به غير الملوك، فيكون المعنى: ملك قوي عظيم.

٢- أرسلان خان، "أرسلان" بمعنى الأسد. هذا والأول كانت تستخدمها قبيلة الأويغور والقارلوق والأوغوز على حد سواء.

٣- بغراخان، كلمة "بغرا" يُطلق على ذكر الإبل، و"خان" كلمة مستقلة تعني العظمة. هذا لقبيلة الياغما والتركمان.

٤- جغري خان. "جغري" بمعنى الصقر.

٥- إيْلِكْ خانْ، أو أَيْلَكْ خانْ، بمعنى مساعد الملك أو نائبه.

٦- تكين، بمعنى سمو الأمير.

٧- ياغان، بمعنى الفيل.

---

(١) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا، باللغة التركية، تعريب: عدنان محمود سلمان، مؤسسة فيصل للتمويل إسطنبول – تركيا، ط: الأولى، عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج١/ص:٤٦، وما بعدها. قه ديمكي ئويغورلا وه قاراخانيلا، ص:٢٢٤-٢٢٥.

٨- طغرول، بمعنى الباز.

٩- قدرخان، بمعنى الداهي الألمعي.

١٠- طفغاج خان. بمعنى الملك الأول والقديم[١].

وهناك بعض الألقاب الفخمة ذات معنى العظمة، لكنها تستعمل نادرا، وما ذكرته سيرد في ثنايا البحث، واقتصرت عليه تجنبا من الإطناب.

□

(١) ئويغورلارنك قسقىچه تاريخي، تأليف: عزيز يوسف وتورسون پالتا، شنجانك خه لق نه شرىياتي، ئورومچي، ط: الأولى، ١٩٨٩م، ص:١٤٧-١٤٨. غه ربي يورت تاريخىمىزديكي خاقانلا، تأليف: نور الله مؤمن يولغون، شنجانك خه لق نه شرىياتي، ئورومچي، ط: الأولى، ٢٠٠٥م، ص:٩٨-٩٩. شه رقي توركستان تاريخي، ص:١٦٣.

المبحث الثاني: أبرز ملوك الدولة ودعاتها.

اقتضت حكمة الله تعالى بموجب فضله ورحمته بعباده أن يرسل إليهم رسولاً من أنفسهم ليزكيهم ويعلمهم طرق الفلاح في الدنيا والآخرة. بعثهم إليهم مبشرين ومنذرين لمحبته العذر، ووعد المتبعين لهم بالجنة لمحبته المدح، كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم «وَلاَ أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ العُذْرُ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ المبَشِّرِينَ وَالمنْذِرِينَ، وَلاَ أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ المِدْحَةُ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ الجَنَّةَ»(١).

لقد هيأ الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أنصارا في حياته لمناصرة دعوته والدفاع عنه، كما هيأ له أتباعا بعد وفاته لإحياء سنته. واستحق أتباعه صلى الله عليه وسلم الاتصاف بالخيرية لقيامهم بوصية نبيهم صلى الله عليه وسلم، «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً..»(٢)

وذلك في كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ونجد أفذاذا من هؤلاء الدعاة في بقاع تركستان، بعد أن شرفهم الله بالإسلام، لقد دخل الإسلام بلادهم على يد القائد قتيبة بن مسلم الباهلي رحمه الله عام (٩٦هـ/٧١٥م). ولكن لم يكتب له الاستقرار والانتشار كما ينبغي، لعدم بقاء المجاهدين في المنطقة بسبب موت الخليفة وليد بن عبد الملك وقتل القائد قتيبة بن مسلم رحمه الله.

شاء الله أن يحدث اختلاف بين الأمراء في الأسرة السامانية المالكة، في عهد الأمير نصر بن أحمد بين أبناء أعمامه، لتوليه السلطة وهو في سن الطفولة، وحدث اقتتال بين الأمراء السامانيين للمنافسة على السلطة، وكان النصر حليفَ الأمير نصر بن أحمد، وفي هذه الأوضاع المضطربة لجأ أحد الأمراء السامانيين إلى تركستان الشرقية، ورحب به ملك الدولة القراخانية آنذاك"أوغولچاق". لما كان بين الدولتين من الاحتكاكات السياسية العدائية، وبدأ النشاط لنشر الإسلام ودعوة الناس إليه في البلد، بدءا من وصول الأمير

---

(١) أخرجه الشيخان، خ: كتاب التوحيد بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ» حديث رقم:٧٤١٦. م: كتاب الطلاق، بَابُ انْقِضَاءِ عِدَّةِ الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا، وَغَيْرِهَا بِوَضْعِ الْحَمْلِ، حديث رقم:١٤٩٩.

(٢) أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم:٣٤٦١.

الساماني إليه، وفيما يلي سرد لأبرز الملوك وأوائل الدعاة إلى الله في تركستان الشرقية:

أولا: الملوك.

١- مؤسس الدولة القراخانية الإسلامية الملك ستوق بغراخان[(١)]

نشأ ستوق بغراخان في أسرة ملكية يتيما، وكان جده - مؤسس الدولة القراخانية - من الأبطال، عرف بالشجاعة تجاه الطغاة وقطاع الطرق ونصرة المظلوم، وقربه حاكم المنطقة آنذاك عندما تغلب على بعض قطاع الطرق المتحصنين في جبال قرب المدينة، وعُيِّنَ فيما بعد ملكا للدولة القراخانية. كذلك كان أبوه بازير أرسلان خان أيضا من الأبطال القلائل في ساحة القتال، يقود الجيش بنفسه ولم يعهد له هزيمة في الحرب، مع ذلك كان لا يحب المدح والثناء ولا يطمع شيئا من الغنائم، وكان متواضعا، وأوصى في مرضه ولاية العهد بعده لابنه ستوق كما أوصى أحد خواصه تربية ابنه وتدريبه على الفروسية وفنون القتال[(٢)].

تُوُفِّيَ الوالد عام (٣٠١هـ/٩١٤م) والولد في سن الطفولة واليُتْم. وعمه "أوغولچاق" كان حاكما على مدينة طلاس[(٣)]. نصب نفسه أميراً للبلاد دون إخبار للمستشارين في البلاط الملكي في كاشغر، واكتفى بمستشاريه الخاص في طلاس، وهذا ما سبب اعتراضا في

---

(١) ستوق بن بازير أرسلان خان بن بِلْغَ قادرخان، ولد عام ٩٠١م على الأرجح، وبغرا خان لقبه، تلقب به بعد جلوسه على العرش. وكان يلقب قبل ذلك بـ" تِكِنْ"، تسمى بـ" عبد الكريم" بعدما أسلم، وكان إسلامه نصرة للمسلمين الضعفاء، وهو أول من أسلم من ملوك الأتراك في تاريخهم، وعمل على نشر الإسلام في أنحاء مملكته، وقضى حياته على متن فرسه مجاهدا في سبيل الله حتى وافته منيته عام ٩٥٦م. ينظر: مه شهور يُوزْ ئويغور. (أعظم مائة أويغور) تأليف: محمد تورسون أحمد أويغور، باللغة الأويغورية، ستوق بوغراخان نه شرىياتى، إسطنبول تركيا، ط: الأولى، ٢٠١٧م، ص:١٠٤-١١١. دائرة المعارف الإسلامية، دار المعرفة، بيروت لبنان، مادة بغراخان ج٤/ص:٢٤. معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، للمستشرق النمسوي إدوارد فون زامباوَرْ، تعريب: د/زكي محمد حسن بك وآخرين، دار الرائد العربي، بيروت — لبنان، ط: د.ت، عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠. ج٢/ص:٣١٢. تاريخ الدولة العثمانية، ج١/ص:٤٧.

(٢) ينظر: سوتوق بوغراخان، سيف الدين عزيزي، ص:١٤.

(٣) طلاس: هي مدينة طراز، وتقع حاليا في الشمال الغربي لدولة قيرغيزستان.

أواسط الناس في مملكته، حتى اضطر أن يتعهد لتسليم السلطة لابن أخيه ستوق إذا بلغ رشده، واكتفى لذلك بشرف بغراخان دون قراخان مغضيا على كره منه ذلك. ولكن سولت له نفسه قتل معارضيه في طلاس حتى ينال الشرف الأعلى في السلطة ويستبد فيها، ولإخفاء جريمته وصرف الناس عنها، أعلن الحرب على الأمير الساماني أحمد بن إسماعيل، ومني بالهزيمة في الحرب انهزاما فادحا[١]. وزاد كره الناس في البلاد للملك "أوغولچاق" كما زادت رغبتهم في الأمير الشاب ستوق بغراخان، لما عهدوا من أبيه سيرة حميدة أثناء حكمه. واستغل بغراخان هذا الوضع بدعوة الناس إلى الإسلام سِرًّا، فكثر أتباعهُ وبدأت شوكة المسلمين تشتد يوما بعد يوم، وجاء العون من مسلمي فرغانة ليشد أزر الأمير الشاب المجاهد، واستطاع بغراخان بمساعدة هؤلاء المجاهدين له إطاحة عمِّهِ من الحكم عام: ٣١٥هـ/٩٢٧م[٢]. فأسس دولة إسلامية مبنية على ستة أسس:

١- تطبيق الشريعة الإسلامية في الدولة، وعدم إكراه غير المسلم للدخول في الإسلام.

٢- الحرية والمساواة، ورد المظالم، وتنمية المجتمع.

٣- إنهاء نظام العبودية وإعتاق الرقيق.

٤- تخفيف الضرائب ومعاقبة الخونة والفاسدين.

٥- تدريب عسكري إجباري للشباب.

٦- عقد المؤتمر السنوي مع أهل الحل والعقد في البلاد في غرة كل سنة لمصلحة الوطن والمواطنين[٣].

وبعد اعتلائه على العرش اهتم بدعوة الناس إلى الإسلام، واستجابه كثير من البوذيين

---

(١) سوتوق بوغراخان، سيف الدين عزيزي، ص:١٧-١٨. وينظر: صلة تاريخ الطبري لغريب بن سعد القرطبي، ج١١/ص:٤٤.

(٢) تركستان، لبارتولد، ص:٣٨٨. معجم زمباور، ص:٣١٢. سوتوق بوغراخان، سيف الدين عزيزي ص:١٥٨.

(٣) ينظر: سوتوق بوغراخان، سيف الدين عزيزي، ص:١٥٩-١٦٤.

فأسلموا، كما ثبت بعضهم على دينهم. واستشار الملك العلماء وفكر في كيفية إقناع هؤلاء وحرص على إسلامهم بدون قتال[١].

رغم تدرجه في دعوتهم لم يستجب البعض للدعوة بل عارضوا وخالفوا على بعض البنود الستة، بالأخص إنهاء نظام العبودية حتى بلغ بهم الأمر إلى أن حملوا السلاح على الدولة بتحريض من العدو الخارجي. وتعامل الأمير الداعية هذا الموقف بالحكمة بترك قتالهم وتخفيف بعض الحكم، كيلا يخسر قومه[٢]؛ لأن القوم كانوا حديث عهد بكفرهم، وقتال البوذيين حينئذ قد يسبب ارتداد بعض الضعفاء، وكذلك الدولة فتية لم تشدد أركانها بعد، ولم يصل الإسلام كل دور البلاد، ومحاربة بني جلدته في ذلك الوقت كانت توهن القوة وتشتت الوحدة، لذلك ترك مواجهتهم. كما قال الشاعر:

قَوْمِي هُمُ قَتَلُوا أُمَيْمَ أخِي ... فَإذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي

فَلَئِنْ عَفَوْتُ لأَعْفُوَنْ جَلَلاً ... وَلَئِنْ سَطَوْتُ لأُوهِنَنْ عَظْمِي[٣]

إن التدرج في الدعوة ومراعاة المدعوين مطلب أساسي في ميدان الدعوة، لذلك نزل القران الكريم منجما، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[٤].

وقالت أُمّ المؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «..إنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ المفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نَزَلَ الحَلاَلُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لاَ تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لاَ تَزْنُوا، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: ﴿بَلِ

---

(١) المرجع السابق، ص:١٦٦.

(٢) المرجع السابق، ص:٢٠٦-٢٠٧.

(٣) شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، تأليف: أبي علي أحمد محمد بن الحسن المرزوقي، تعليق: فريد الشيخ، وإبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج١/ص:١٤٩.

(٤) سورة الإسراء:١٠٦.

السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ..»[(١)].

لقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم تغيير بناء الكعبة خوفا من إنكار أهل مكة لكونهم حديث عهد بالإسلام، عَنِ الأَسْوَدِ، قَالَ: «قَالَ لِي ابْنُ الزُّبَيْرِ، كَانَتْ عَائِشَةُ تُسِرُّ إِلَيْكَ كَثِيرًا فَمَا حَدَّثَتْكَ فِي الكَعْبَةِ؟ قُلْتُ: قَالَتْ لِي: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "يَا عَائِشَةُ لَوْلاَ قَوْمُكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ – قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ – بِكُفْرٍ، لَنَقَضْتُ الكَعْبَةَ فَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ: بَابٌ يَدْخُلُ النَّاسُ وَبَابٌ يَخْرُجُونَ" فَفَعَلَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ»[(٢)].

واقتضت الحكمة اتخاذ موقف مع المسلمين الجدد ومراعاة أحوالهم، أن يخفف الأمير الشاب الداعية عن البوذيين بعض الأحكام، كيلا يفسد هؤلاء البوذيون المسلمين الجدد في البلاد، بالتحريض على الخروج على الدولة الإسلامية. وهذا الموقف الحكيم أجل ذلك التحريض إلى حين. وإن قام البوذيون بالفعل بتحريض بعض الضعفاء من المسلمين، لكن العلماء والعقلاء أخمدوا نار الفتنة في موضعها، بالالتفاف حول أميرهم وتحذير الناس من عاقبة شق عصا الطاعة، فاستجاب الناس دعوة علمائهم وانخذل البوذيون[(٣)].

٢- الملك الداعية هارون بن سليمان[(٤)].

كان الملك هارون من الدهاة في السياسة، حيث استطاع بدهائه توحيد تركستان الغربية مع الشرقية، وأوصل الدولة القراخانية إلى أوجها في القوة. لقد كان لستوق بغراخان

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الفضائل باب تأليف القران، حديث رقم:٤٩٩٣.

(٢) أخرجه البخاري كتاب العلم، بَابُ مَنْ تَرَكَ بَعْضَ الِاخْتِيَارِ، مَخَافَةَ أَنْ يَقْصُرَ فَهْمُ بَعْضِ النَّاسِ عَنْهُ، فَيَقَعُوا فِي أَشَدَّ مِنْهُ، حديث رقم:١٢٦.

(٣) ينظر: سوتوق بوغراخان، سيف الدين عزيزي ص:٢١٨.

(٤) هارون بن سليمان بن ستوق بغراخان الملقب بـ"شهاب الدولة" كان نائبا للملك لكن بصلاحية واسعة، حتى تولى الملك عام ٣٨١هـ، لم أقف على تاريخ ميلاده، قال ابن الأثير عنه: «وَكَانَ دَيِّنًا، خَيِّرًا، عَادِلًا، حَسَنَ السِّيرَةِ، مُحِبًّا لِلْعِلْمِ وَأَهْلِ الدِّينِ، مُكْرِمًا لَهُمْ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُكْتَبَ عَنْهُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَوَلِيَ أَمْرَ التُّرْكِ بَعْدَهُ أَيْلَكُ خَانْ» في عام ٣٨٣هـ. الكامل، ج٧/ص:٤٥٨-٤٦٠. وينظر: تاريخ الدولة العثمانية، ج١/ص:٤٧.

ولدان: موسى وسليمان، وبعد وفاته عام ٣٤٤هـ/٩٥٦م، خلفه في الحكم ابنه الأكبر موسى، واستمر حكمه سنتين فقط، وبعد وفاته عام (٣٤٦هـ/٩٥٨م) خلفه أخوه سليمان الملقب بـ"أرسلان خان"[١]، واستمر حكمه اثني عشرة سنة، حتى عام (٣٥٩هـ/٩٧٠م). وبعد وفاته خلفه في الحكم ابن أخيه أبو الحسن علي بن موسى[٢]، وبعد وفاته عين هارون بن سليمان ملكا للبلاد عام (٣٨١هـ/٩٩٢م)، خلفا لابن عمه علي بن موسى. وكان هارون يتمتع بالحنكة السياسية خبيرا بفنون القتال مثل أبيه وجده، قاد الجيش في المعركة مع السامانيين، حتى استطاع ضم بلاد ما وراء النهر إلى دولته القراخانية بعد سنتين من توليه الملك من ابن عمه، ونقل العاصمة من كاشغر إلى بلاساغون[٣].

ساعده على ذلك اضطراب الأمن في الدولة السامانية بسب العصيان من بعض العوام، وانشقاق بعض القادة في الجيش، وَمَنْعِ العلماء العوام من مواجهة القراخانيين وفتواهم بعدم جواز قتالهم؛ مادام قصدهم جمع كلمة المسلمين وتوحيد بلادهم، لما عرف العلماء من

---

(١) سليمان بن ستوق، ولد عام (٣٠٨هـ/٩٢٠م)، وتولى الحكم بعد أخيه موسى بن ستوق بغراخان، عام ٩٥٨م، وكان سياسيا محنكا، ثبّت أركان الدولة وقاتل المرتدين والبوذيين وأخضع جميع المعارضين لدولته، وفي عهده انتشر الإسلام في آفاق البلاد وأسلم ملايين من الناس. وتوفي عام (٣٥٩هـ/٩٧٠م، وكانت فترة حكمه اثني عشرة عاما. ينظر: مه شهور ١٠٠ ئويغور، ص:١١٣-١١٧.

(٢) أبو الحسن علي بن موسى بن ستوق بغراخان، لم أقف على تاريخ ميلاده، رابع ملوك الدولة القراخانية، تولى الحكم بعد وفاة عمه سليمان، عام (٣٥٩هـ/٩٧٠م)، كان كثير الجهاد، أحدث الشراكة في الحكم حيث استتاب ابن عمه هارون بغرا، وأعطاه الصلاحية الكاملة في الحكم بعدما وكله بهمة ضم بلاد ماوراء النهر للدولة القراخانية، واستشهد في المعركة وهو يحارب الكفار، في محافظة ينحصار، قرب مدينة كاشغر، عام (٣٨١هـ/٩٩٢م). ينظر: شنجاكدىكي مملله تله ر نىك تارىخي، ج٢/ص:٦٦٠-٦٦١. ئويغور نامه، ص:٢٠٣.

(٣) ينظر: ئويغور نامه، ص:٢٠٣-٢٠٤. ئويغور يلنامسي، ص:١٢٥. شنجاكدىكي مملله تله ر نىك تارىخي، ج٢/ص:٦٦١-٦٦٥.

صلاح القراخانيين[١].

قال أبو الحسين التميمي الفارسي: «كنت ببخارا حين وردت عساكر الخانية فصعد خطباء السامانية إلى منابر الجوامع واستنفروا الناس وقالوا عن السامانية قد عرفتم حسن سيرتنا فيكم وجميل صحبتنا لكم وقد أطلّنا هذا العدوّ وتَعيّنَ عليكم نصرنا والمجاهدة دوننا، فاستخيروا الله تعالى في مساعدتنا ومضافرتنا.. فلما سمع العوام ذلك قصدوا الفقهاء عندهم واستفتوهم في القتال، فمنعوهم منه وقالوا: لو كان الخانية ينازعون في الدين لوجب قتالهم، فأمّا المنازعة في الدنيا فلا فسحة لمسلم في التغرير بنفسه والتعرض لإراقة دمه. وسيرة القوم جميلة وأديانهم صحيحة، واعتزال الفتنة أولى. فكان ذاك من أقوى الأسباب في تملك الخانية وهروب السامانية وانقراض ملكهم. ودخل الخانية بخارا، فأحسنوا السيرة ورفقوا بالرعية»[٢].

وعند النرجشي أن بغراخان واجه جيشا عظيما لنوح بقيادة آبج الحاجب، وتمكن من أسر آبج وهزم جيشه، فاضطر نوح بن منصور إلى استمالة قائد جيشه المنشق "فائق" واستدعاه وأرسله لحربه، لكن "فائقا" اتفق سرّا مع بغراخان وعاد منهزما من سمرقند[٣]، وتعقبه بغراخان إلى بخارى فلاذ نوح بن منصور بالفرار.. ولما جاء بغراخان إلى بخارى استقبله فائق وتمكن بغراخان على سرير بخارى عام (٣٨٣هـ/٩٩٣م)، وَخَرَجَ نُوحٌ مِنْهَا مُسْتَخْفِيًا.. ثم إن بُغْرَاخَانُ لَمَّا نَزَلَ بُخَارَى وَأَقَامَ بِهَا اسْتَوْخَمَهَا، فَلَحِقَهُ مَرَضٌ ثَقِيلٌ، فَانْتَقَلَ عَنْهَا نَحْوَ بِلَادِهِ، وفي الطريق أَدْرَكَهُ أَجْلُهُ فَمَاتَ[٤]. واستكمل المسيرة بعده خليفته نصر بن

---

(١) ينظر: شنجاكدا ئوتكه ن ئسلام خانلقلرننك قسقىچه تاريخي، تأليف: لي جنشن، باللغة الصينية، ترجمه إلى اللغة الأويغورية عبد الأحد نور الدين وآخرون، الناشر: شنجاك خه لق نه شرنياتي، ئورومچي، ط: الأولى، ٢٠٠٣م، ص:٢٨.

(٢) تجارب الأمم وتعاقب الهمم، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، تحقيق: أبو القاسم إمامي، الناشر: سروش، طهران، ط: الثانية، عام ٢٠٠٠م، ج٧/ص:٤٣٨.

(٣) سمرقند: بلد بما وراء النهر، قصبة الصُّغْدِ، وهي من أطيب أرض الله، كثيرة الأشجار غزيرة الأنهار يقال: بناها إسكندر ذو القرنين. معجم البلدان، ج٣/ص:٢٤٦. وص:٤٠٩.

(٤) الكامل، ج٧/ص:٤٥٨-٤٦٠، باختصار. تاريخ بخارى لأبي بكر محمد بن جعفر النرجشي،

علي أيلك خان، وطرد المعارضين من البلاد وثبت حكم القراخانيين فيه، وأنهى الحروب،

٣- الملك الداعية الداهية المجاهد يوسف قادرخان[١]

يعد المؤرخون قدرخان المؤسس الثاني للدولة القراخانية لكثرة إنجازاته في عهده، ولما كان يتصف به من الحزم والعزم والجرأة والإقدام. وكان شجاعا فَاضِلا مِنْ رجالات الأُويغور كما كان آباؤه مِنْ قَبْلِهِ. في عهده استتب الأمن في تركستان الشرقية والغربية، وكثرت الفتوحات واشتدت شوكة المسلمين، وتغلب على خصومه من بني عمه، وجنب البلاد من الحرب مع الغزنويين. لذلك يصفه المؤرخون الآخرون أيضا بصفات عظيمة[٢].

قال ابن كثير: عندما ذكر الوفيات عام ٤٢٣هـ، «وَفِيهَا مَاتَ مَلِكُ التُّرْكِ الْكَبِيرُ صَاحِبُ بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَاسْمُهُ قدرخان»[٣].

وقال الكرديزي: «قدرخان قائد التركستان وخانها العظيم.. ولم يحتس.. الخمر، إذ لم تكن لملوك ما وراء النهر عادة احتساء الشراب وخاصة الأتراك منهم»[٤].

=

تعريب: د/ أمين عبد المجيد البدوي ونصر الله مبشر الطرازي، دار المعارف — القاهرة، ط: الثالثة، عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ص:١٥٣.

(١) هكذا ذكر اسمه في المصادر الأويغورية، وقال صاحب المختصر في أخبار البشر: قدرخان يوسف مقلوبا، وقال ابن كثير: قدرخان، والحاصل أن اسمه يوسف، وقدرخان لقبه. وهو يوسف بن هارون بغرا بن سليمان أرسلان بن ستوق بغراخان. جلس على العرش عام ٤١٥هـ/١٠٢٥م، لم أقف على تاريخ ميلاده وتوفي عام٤٢٣هـ/١٠٣٣م. المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه، المطبعة الحسينية المصرية، بدون تاريخ، ج٢/ص:١٥٨. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: د/عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الجيزة — مصر، ط: الأولى، ١٤١٨هـ، ج١٥/ص:٦٤٣. شنجاكدا ئوتكه ن ئسلام خانلقلرىنك قسقىچه تاريخي، ص:٣٠.

(٢) شنجاكدىكي مىلله تله ر نىك تاريخي، ج٢/ص:٦٧٣-٦٧٦ بتصرف.

(٣) البداية والنهاية، ج١٥/ص:٦٤٣.

(٤) زين الأخبار للكرديزي، ص:٢٦٥-٢٦٦.

وقال ابن الأثير: «وَكَانَ قدرخان عَادِلًا، حَسَنَ السِّيرَةِ، كَثِيرَ الْجِهَادِ.. وَكَانَ يُدِيمُ الصَّلَاةَ فِي الْجَمَاعَةِ»[(١)].

كانت وفاة هذا الزعيم نذير شؤم على القراخانيين في تركستان وبلاد ما وراء النهر، ففي الوقت الذي كادت فيه كلمة القراخانيين أن تتوحد فإن وفاة هذا الزعيم أدت إلى تدهور الأوضاع في الشرق[(٢)].

وقد وقع التنافس على السلطة بين أبنائه بعد وفاته، وانتهز هذه الفرصة أبناء إخوانه وأعمامه، ولم يرض أحد بالتبعية لآخر، حتى انقسمت تركستان إلى قسمين: عام (٤٣٩هـ/١٠٤٧م)، شرقية - يحكمها أولاده — وغربية، يحكمها أبناء عمه نصربن علي أيلك خان. ثم اختلف هؤلاء فيما بينهم، واقتتلوا من أجل السلطة حتى وقع الغربيون تحت هيمنة كل من السلاجقة، والقراخطاي، والخوارزمشاه. ووقع الشرقيون - قبيل سقوط الدولة — تحت هيمنة النايمان، حتى أدى هذا التفرق والضعف إلى سقوط دولتهم. وحصل بعد ذلك من التقتيل والتشريد لأهل البلاد من العدو المحتل النايمان.

---

(١) الكامل لابن الأثير، ج٧/ص:٦٤٣.

(٢) ينظر: علاقات القراخانيين بتركستان وبلاد ما وراء النهر بالدول الإسلامية المجاورة، ودورهم في نشر الإسلام، بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى، د/ مسفر بن سالم الغامدي، العدد: الخامس، عام ١٤١١هـ، ص:٢٦٠.

ثانيا: الدعاة.

١- الداعية المربي أبو نصر الساماني[١].

كانت الدولة السامانية تشرفت بالإسلام قبل القراخانية بفترة، والدولتان متجاورتان مع بعض، ولجأ أبو نصر إلى تركستان بسبب نشوب الخلاف في تولي السلطة بين الأمراء في الأسرة الملكية السامانية، وكان السامانيون غزوا بلاد القراخانيين عام (٢٨٠هـ/٨٩٤م)، بقيادة الأمير إسماعيل بن أحمد السَّامَانِيّ لتوسعة رقعة ديار الإسلام، وَافْتَتَحَ الأمير مَدِينَةَ مَلِكِهِمْ (طلاس أو الطراز)، وَأَسِرَ أَبَاهُ، وَامْرَأَتَهُ خَاتُونَ وَنَحْوًا مِنْ عَشَرَةِ آلَافٍ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَغَنِمَ مِنَ الدَّوَابِّ مَا لَا يُعْلَمُ عَدَدًا[٢].

وفي سنة (٣٠١هـ/٩١٤م) أغارت جيوش الملك القراخاني "أوغولچاق" على المسلمين في خراسان لاسترداد ما خسر من مملكته، فسبت منهم نحو عشرين ألفا، ونهبت أموالا كثيرة، وقتلت عددا من الرجال، فخرج إليهم الأمير الساماني أحمد بن إسماعيل في جيوش كثيرة، واتبعهم فقتل منهم خلقا كثيرا واستنقذ بعض الأسرى، ومُنِيَ الأمير القراخاني

---

(١) هكذا ورد في المصادر الأويغورية بالكنية دون الاسم، وفي الأرجح، هو إلياس بن إسحاق بن أحمد بن أسد الساماني، ابن عم أبي الأمير نصر بن أحمد. وكان إلياس مع أَبِيهِ إِسْحَاقُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَسَدٍ خرجا عَلَى السَّعِيدِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عام (٣٠١هـ/٩١٤م)، وَكَانَ إِسْحَاقُ بِسَمَرْقَنْدَ لَمَّا قُتِلَ أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، وَوَلِيَ ابْنُهُ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ اعترض على ولايته، وَقَامَ ابْنُهُ إِلْيَاسُ يَأْمُرُ الْجَيْشَ، وَقَوِيَ أَمْرُهُمَا، فَسَارُوا نَحْوَ بُخَارَى.. فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فَانْهَزَمَ إِسْحَاقُ إِلَى سَمَرْقَنْدَ. ثم اقتتلوا مرات عدة، وكان النصر حليفَ الأمير نصربن أحمد، وفي عام (٣١٠هـ/٩٢٣م) هاجم إلياس مرة أخرى على الأمير نصر، بمعاونة أَبِي الْفَضْلِ.. فَسَيَّرَ إِلَيْهِ نصربنُ أحمد قائدَ جيشه مُحَمَّدَ بْنَ الْيَسَعَ، فَحَارَبَهُمْ، فأُسِرَ أَبُو الْفَضْلِ، وانْهَزَمَ إِلْيَاسُ إِلَى كَاشْغَرَ فَصَاهَرَ دِهْقَانَهَا "طُغَانْتِكِينَ" وَاسْتَقَرَّ بِهَا. الكامل لابن الأثير، ج٦/ص:٦٢٧، وص:٦٧٧، باختصار. زين الأخبار للكرديزي، ص:٢١٣. وهذا التوقيت يتناسب مع القصة التي جرت بين الأميرين: الساماني والقراخاني، ولعل إلياس تكنى بأبي نصر بعد استقراره في مدينة أرطوش التابعة لولاية كاشغر آنذاك.

(٢) ينظر: الكامل، ج٦/٤٧٨.

أوغولچاق بالهزيمة، واضطر إلى الهروب من مدينة طلاس إلى مدينة كاشغر[١].

ولهذا رحب الملك القراخاني أوغولچاق بانشقاق الأمير الساماني وقدومه إليه، وسمح له ببناء المسجد وحرية التنقل في مدينة أرطوش، واستغل الأمير أبو نصر هذا الوضع في دعوة الناس بهيئة التاجر القادم من بلاد ما وراء النهر، حتى اجتمع عنده عدد من المسلمين، وعندما كانوا يؤدون إحدى الصلوات في واد، كان الأمير القراخاني ستوق بغراخان خرج للصيد مع ركبه، فلما رآهم توقف متعجبا وتقدم إليهم واستقبله أبو نصر، فسأله بغراخان عن سبب إجهاد نفسه بسبب الإقامة في هذا المكان الموحش، أجابه أبو نصر قائلا بأنه لا يجد أي مشقة في سبيل مرضاة الله، وعندما سمع الأمير القراخاني اسم الله عز وجل سأل عن الله، فذكر أبو نصر بعض أسماء الله وصفاته، وأنه اصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم للرسالة فأوحى إليه، ثم ذكر أركان الإيمان والإسلام، حتى وجد الأمير في نفسه قناعة في الإسلام فاختلى مع أبي نصر دون ركبه فأسلم سرا منهم، ثم أخبر أعوانه عن إسلامه واحدا واحدا حتى أسلم جميعهم منفردين[٢].

وكان أبو نصر درس العلوم الشرعية في بغداد وبرع فيها. وبعد إتمام دراسته رجع إلى سمرقند، ولم يطب له المقام فيها بسبب مشاركته في التنافس على السلطة مع الأمراء، على ضد الأمير نصر بن أحمد، وبعد وصوله إلى كاشغر بدأ بتعلم اللغة الأويغورية حتى أتقنها، بالإضافة إلى التعرف على عادات وتقاليد القوم[٣].

---

(١) ينظر: صلة تاريخ الطبري، عريب بن سعد القرطبي، دار التراث، بيروت – لبنان، ط: الثانية، ١٣٧٨هـ، ج١١/ص:٤٤. وينظر: سوتوق بوغراخان، سيف الدين عزيزي، ص:١٨. الإسلام في آسيا الوسطى (بين الفتحتين العربي والتركي) د/حسن أحمد محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: بدون، عام ١٩٧٢م، ص:١٨٣.

(٢) ينظر: سوتوق بوغراخان، سيف الدين عزيزي، ص:٥٦-٥٧. تاريخ الترك في آسيا الوسطى، تأليف: فاسيلي فلاديمر وفتش بارتولد، باللغة الروسية، تعريب: د/أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: بدون، ١٩٦٦م، ص:٩٦.

(٣) ينظر: سوتوق بوغراخان، ص:٢١٩-٢٢٠.

وهذا ما أعانه على نشر الدعوة الإسلامية بين القوم حيث وجد فيهم إقبالا للدعوة وقبولا لها، حتى أسلم الأتراك بإسلام ملكهم، ثم وصل الإسلام إلى آفاق البلاد.

٢- العالم اللغوي الأديب الداعية محمود الكاشغري(١).

هو سليل الجيل الخامس من نسل – مؤسس الدولة الإسلامية القراخانية – ستوق بغراخان. نشأ وترعرع الكاشغري في قصر الإمارة على حب العلم والمعرفة، ومما يدل عليه أنه من الأسرة المالكة، ما ذكره في كتابه (ديوان لغات الترك) في باب الإبدال، «قال محمود صاحب هذا الكتاب ولهذا المعنى كان آباؤنا الأمراء يسمون "خمير" لأن الغُزِّيِّة ما قدروا أن يقولوا "أمير" فقلبوا الألف خاءا فقالوا: "خمير" وأبونا هو الذي فتح ديار الترك من أولاد السامانية»(٢).

ترك الكاشغري الترف والرفاهية في القصر وجاب الآفاق لنيل العلم، وفي عهده حدث التنافس على السلطة بين أفراد أسرته المالكة، فلم يطمع بأي إمارة، بل صرف همته إلى تعلم العلم ونشره. اشتهر باللغوي مع إلمامه بعلوم التفسير والحديث والفقه؛ لأن تأليف الكتاب كان في وقت مناسب للغاية، وذلك أن الخليفة العباسي لما استنجد بالأتراك السلاجقة على

---

(١) محمود بن الحسين بن محمد بن يوسف قدرخان بن هارون بن سليمان بن ستوق بغراخان، الكاشغري، ولد في قرية أوفال التابعة لولاية كاشغر عام (٣٩٨هـ/١٠٠٨م) على الأرجح، يجيد لهجات القبائل التركية بالإضافة إلى إتقانه اللغة العربية والفارسية، جمع بين علوم الشرع وبين اللغة والأدب، وكان لأمه الأثر البالغ في تربيته تربية صالحة والوصول إلى المنزلة المرموقة في العلم، حيث كانت عالمة، ولهذا أورث الكاشغري تراثا علميا في عالم الأتراك بمنقطع النظير، رحل إلى بغداد وأقام فيها، وأكمل تأليف كتابه "ديوان لغات الترك". أثناء إقامته. وله كتاب "جواهر النحو". توفي عام (٤٩٨هـ/١١٠٥م). ينظر: مه شهور يوز ئويغور، ص:١١٢٤-١٣٣. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد بن أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، وكالة المعارف الجليلة، إسطنبول – تركيا، ط: الأولى، ١٩٥١م، ج٢/ص:٤٠٢. الأعلام خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر، ٢٠٠٢م، ج٧/ص:١٦٨.

(٢) ديوان لغات الترك محمود الكاشغري، ج١/ص:١٠٣.

البويهيين، احتك الأتراك بالعرب وصار لهم نفوذ قوي في قصر الخلافة واندماج في المجتمع العربي، وضع الكاشغري ديوانه (ديوان لغات الترك) لتعليم العرب اللغة التركية بسهولة، كي تتوحد الأمتان وتصبحان قوة على أعداء الإسلام والمسلمين[١].

اهتدى به خلق كثير من الأتراك، لما ضَمَّنَ كتابه كثيرا من الحكم والمواعظ ومكارم الأخلاق والشجاعة والزهد والتوكل والعدل..الخ، واستشهد بالأبيات الشعرية التي لها معان قيمة تحث على القيم الإسلامية، لذلك لم يكن الكتاب مرجعا في اللغة فحسب بل كان منهلا للدعوة الإسلامية أيضا[٢].

بدأ تأليف كتابه في كاشغر وأكمله ببغداد بين السنوات ٤٦٤ و ٤٦٦هـ، فلما أكمل أهداه إلى خليفة المسلمين الخليفة العباسي أبي القاسم عبد الله بن محمد المقتدي بأمر الله. لغزارة العلم في الكتاب ترجمه كارل بروكلمان إلى اللغة الألمانية[٣]. ولطول مكثه في بغداد ظُنَّ أنه منها كما قال صاحب هدية العارفين «مَحْمُود بن الْحسين بن مُحَمَّد الْبَغْدَادِيّ اللغوي الْمُتَوفَّى فِي حُدُود سنة ٤٩٥هـ. لَهُ ديوَان لُغَات التّرْك أهداه للمقتدي بأمر الله الخليفة العباسي»[٤]. لقد نال الكاشغري قبولا عجيبا ومكانة سامية لدى الأتراك في العالم، حيث لا يجهله أحد، وكل يعظمه لما ترك لأمته من الآثار العلمية القيمة، جزى الله عن قومه المسلمين خير الجزاء وجعل الجنة مثواه.

---

(١) الإعلام لبعض رجالات تركستان، محمد أمين تركستاني، بدون ناشر، مكة المكرمة عام ١٤٢٩هـ، ص:١٩٩-٢٠٢. هونلارنىك قىسقىچە تارىخى (ئويغورلا)، تأليف: تورغون ئالماس، الناشر: دونيا ئويغور قورولتىيى، ميونخ – ئالمانيا، ط: الأولى، عام ٢٠١٧م، ص:٥٥٥-٥٥٦.

(٢) على سبيل المثال ينظر: في الكتاب (ديوان لغات الترك) الصفحات التالية: ٧، ٢٧، ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٦٢، ٦٣، ٨٠، ٩٥، ٩٧، ١٠٠، ١٠٢، ١١٤.

(٣) تاريخ بيهق، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي، تعريب: دار اقرأ، دمشق، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ، ص:٦٤٩. الأعلام لخير الدين الزركلي، ج٥/٢١٢. معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية) عمر بن رضا كحالة، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط: الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج٣/ص:٨٠٤.

(٤) هدية العارفين، للباباني البغدادي، ج٢/ص:٤٠٢.

٣- العالم الداعية يوسف خاص حاجب[1].

يوسف خاص حاجب داعية إسلامي وشاعر، ورجل دولة وأحد أبرز العلماء في عصره، ذاع صيته بين القبائل التركية بمؤلفه المعروف في علم الاجتماع باسم «قوتادغوبيليك» أي علم السعادة، [في السياسة الشرعية وإدارة الحكم وفقا للشريعة الإسلامية]. وهو كتاب قيم في علم الاجتماع والحِكَمْ وفلسفة الحياة وسياسة الراعي والرعية بجانب انتسابه واعتماده الكامل واليقين للإسلام دينا وعقيدة وأسلوب حياة، وقد خدم خاص حاجب الدعوة الإسلامية والعقيدة الصحيحة من خلال مؤلفه هذا وغيره، لكن مؤلفاته الأخرى لم تصل. ويعد كتابه أول كتاب اجتماعي موسوعي باللغة الأويغورية التركية في ظل الإسلام، ونموذج فريد من نوعه حتى الآن بين الشعوب التركية، وأول نص أدبي إسلامي تركي على الإطلاق[2].

بدأ تأليفه في بلاساغون وأتمه في مدينة كاشغر، وعندما أتمه قدمه للسطان أبو علي حسن تاوغاج بغرا خان[3]، والملك قدره وكافأه بحيث عينه مستشارا خاصا للقصر الملكي،

---

(١) ولد يوسف خاص حاجب في مدينة بلاساغون إحدى عواصم الدولة القراخانية، عام (٤١٠هـ/١٠١٩م)، في أسرة عريقة، حُبِّبَ إليه العلمُ وهو صغير، حتى برع في شتى العلوم، مثل: التاريخ، والفلسفة، والأديان، وشؤون الدولة والمجتمع، والسياسية الشرعية، والمعارف، والأخلاق، والطب، والجغرافيا، وعلم الحساب، وعلم الفلك، والعلاقات الدولية، واللغة، والأدب، والأمور الحربية. بالإضافة إلى إتقانه اللغة العربية والفارسية، فضلا عن اللهجات التركية، ومعنى "خاص حاجب" الأمين العام لمكتب الملك أو الممثل الخاص عنه. وله مؤلفات عدة باللغة الأويغورية أشهرها كتابه «قوتادغوبيليك» وتوفي رحمه الله عام ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، في مدينة كاشغر. ينظر: مه شهور يوز ئويغور، ص:١٣٥-١٤١. وينظر: الإعلام لبعض رجالات تركستان، ص:٥٥، وما بعدها.

(٢) الإعلام لبعض رجالات تركستان، ص:٥٥.

(٣) هو حسن بن سليمان بن يوسف قدرخان، الملقب بـ" هارون بغرا الثاني، تولى الحكم عام (٤٦٧هـ/١٠٧٥م) واستمر إلى عام (٤٩٥هـ/١١٠٢م)، كان شجاعا داهيا محبا للعلم وأهله، وبلاطه كان يزخر بالعلماء والشعراء، وكان العلماء بطانته وخواصه، وكان يدعمهم بلا حدود،

ومن ثم لقب (خاص حاجب) وبقي فيه أكثر من عشر سنين[١]

وقد أثنى على الكتاب بعض حكماء المشرق، على أن أحدا لم يؤلف كتابا أفضل من هذا الكتاب، وقاموا بتسميته كل على طريقته: فسمى في الصين «أدب الملوك»، وسمى في المشرق «زينة العلماء»، وسماه الإيرانيون «تاريخ ملوك الترك»، أما الآخرون فسموه «مواعظ الملوك»[٢]

وقد وضع للشيخ يوسف القبول بين القبائل التركية في العالم مثل الشيخ محمود، والعالمان يعرفهما الصغير والكبير، والعالم والجاهل والداني والقاصي من الأتراك بمختلف قبائلهم، اشترك الرجلان في نشر العلم والدعوة الإسلامية في المجتمع الإسلامي التركي، وأثر عن يوسف الاهتمام البالغ في تصحيح العقيدة. ساعده على ذلك إلمامه الجيد بعلوم الفلسفة والمنطق، حيث كشف للمسلمين انحرافات الفلاسفة والصوفية في العقيدة الإسلامية، وحثهم على التمسك بالعقيدة الصحيحة، وبقوة حججه استطاع إقناع كثير من المعارضين عليه، الحائدين عن الصواب في العقيدة[٣].

=

لذلك ازدهرت الحركة العلمية في عهده. ينظر: تاريخمزدىكي خاقانلا، ص:١٨٦. معجم الأنساب للزمباور، ص:٣١٣.

(١) ينظر: إيضاح المكنون ذيل كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة، دار الكتب العلمية بيروت- لبان، ط: بدون، عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج٤/ص:٢٤٦. التركستانيون من هم، فوزية عبد القادر إسلام تركستاني، المكتبة المكية بمكة المكرمة، ط: الأولى، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص:٥٦.

(٢) مه شهور يوز ئويغور، ص:١٣٧.

(٣) ينظر: يوسف خاص حاجب، تأليف: يارمحمد طاهر توغلوق، شنجانك خه لق نه شرياتي، ئورومچي ط: الأولى، عام٢٠٠٣م، ص:٥٣-٥٤.

المبحث الثالث: عقيدة القراخانيين.

تتبوأ العقيدة منزلة سامية في الإسلام، بحيث لا تخفى على كل ذي بال أن صحة الأعمال وفسادها مَنُوطة بصحة العقيدة وتابعة لها؛ لذا نجد اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بتصحيح العقيدة منذ أن صدع بدعوته بين الناس قائلا: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، تُفْلِحُوا»[١]. إلى قبيل وفاتهﷺ، حيث «قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا..»[٢].

ثم اهتم من بعده أصحابه والتابعون، ومِنْ بعدهم ورثته العلماء إلى يومنا. وكانت العقيدة سببا رئيسا في تلك العهود في بناء الحضارات الإنسانية التي تركت آثارا للأجيال، إذ لها أثر في تحرير الإنسان من الجانب العقلي والروحي والأخلاقي؛ مما يعدُّ إسهامًا مباشرًا في تحقيق الشخصية الإنسانية السويَّة.

ومن هؤلاء الأخيار – الذين تشرفوا بالإسلام وتدرعوا بالعقيدة الصحيحة– الأئمة القراخانيون الذين حملوا على عاتقهم هَمَّ نشر الإسلام بين القبائل التركية في آسيا الوسطى، وهم ينتمون إلى أهل السنة والجماعة، عقيدتهم: عقيدة السلف الصالح رحمهم الله. ومما يدل على أنهم من أهل السنة والجماعة ما يلي:

١- صلاحهم وحسن سيرتهم ومحبتهم لأهل العلم وسعيهم لنشره. وفي هذا يقول ابن الأثير: عن هارون بغرا، رابع ملوك الدولة القراخانية الملقب ببغراخان، «وَأَمَّا بغراخان فَإِنَّهُ لَمَّا مَاتَ عَادَ أَصْحَابُهُ إِلَى بِلَادِهِمْ، وَكَانَ دَيِّنًا، خَيِّرًا، عَادِلًا، حَسَنَ السِّيرَةِ، مُحِبًّا لِلْعِلْمِ وَأَهْلِ الدِّينِ، مُكْرِمًا لَهُمْ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُكْتَبَ عَنْهُ: مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِﷺ»[٣].

وأضاف ابن خلدون على الأوصاف السابقة للملك بأنه «كان سنيا»[٤].

---

(١) أخرجه أحمد في مسند ربيعة بن عباد الديلمي، تحقيق: شعيب الأرنؤط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ج٢٥/ص:٤٠٤، حديث رقم: ١٦٠٢٢٠.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الصلاة باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، حديث رقم:١٣٣٠.

(٣) الكامل، ج٧/ص: ٤٦٠،

(٤) تاريخ ابن خلدون، ج٤/ص:٣٨٩.

٢- تمسكهم بالدين الحنيف وتطبيقهم الشريعة. وفي هذا الصدد يقول المؤرخ الروسي بارتولد: - مقارنة بين حكام الدولة القراخانية وحكام الدولة الغزنوية - «والقراخانيون الأوائل أكثر تمسكا بتعاليم الإسلام من محمود ومسعود.. ولم يكن الدين في أعين القراخانيين وسيلة للحفاظ على عرشهم فحسب، بل كانت تعاليمه تطبق على الجميع بما في ذلك الملوك»(١).

٣- محاربتهم الشيعة الروافض. ففي سنة (٤٣٦هـ/١٠٤٥م) قام سلطان بلاد ما وراء النهر محمد بغراخان(٢) بحملة مباركة للقضاء على طائفة الإسماعيلية، وبدأ بالقضاء على من دخل بلاده من دعاة العبيديين الذين أرسلتهم الخلافة العبيدية في مصر، فقتلهم كلهم وكتب إلى سائر البلاد بقتل من فيها، وسلمت تلك البلاد منهم بقتل الباطنية. وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ نَفَرًا مِنْهُمْ قَصَدُوا بلاد مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، وَدَعَوْا إِلَى طَاعَةِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ الْعَلَوِيِّ صَاحِبِ مِصْرَ، فَتَبِعَهُمْ جَمْعٌ كَثِيرٌ، وَأَظْهَرُوا مَذَاهِبَ أَنْكَرَهَا أَهْلُ تِلْكَ الْبِلَاد. وَلما سَمِعَ الملك بغراخان خَبَرَهُمْ.. قَتَلَ مَنْ بِحَضْرَتِهِ مِنْهُمْ وَكَتَبَ إِلَى سَائِرِ الْبِلَادِ بِقَتْلِ مَنْ فِيهَا، فَفُعِلَ بِهِمْ مَا أَمَرَ(٣).

ولم يبق للشيعة أي وجود في المنطقة بعد ذلك، وبفضل ذلك الجهد سلمت المنطقة من مد التشيع إلى عهد قريب، وإن وجد التشيع بعد ذلك لكنه بنسبة ضئيلة جدا.

---

(١) تركستان، لبارتولد ص:٤٥٢.

(٢) اسمه محمد بن قدرخان، وبغراخان لقبه، اختلف مع أخيه، وقاتله وهزمه وأخذ ملكه وأودعه الحبس، وبعد مضي خمسة عشر شهرا من ذلك، عين ابنه الأكبر وليا للعهد، واغتاظت زوجته الصغرى وقتلته وولي عهده بالسم، وملكت ابنها عام (٤٣٩هـ/١٠٤٨م). المختصر في أخبار البشر، ج٢/ص:١٦٨. الكامل، ج٨/ص:٤٨. قه دىمكي ئويغورلا وه قاراخانىلا، ص:٤٤٥-٤٤٦.

(٣) الكامل، ج٨/ص:٧.

المبحث الرابع: موقف الدولة القراخانية من الخلافة العباسية.

كانت نظرة الدولة القراخانية إلى الخلافة الإسلامية العباسية في بغداد صائبة صحيحة، لكونها الخلافة الشرعية منبثقة من منهج أهل السنة والجماعة، لذلك رأى القراخانيون وجوب مبايعة الخليفة العباسي، فبايعوه واهتموا بتوطيد علاقاتهم السياسية مع الخلافة العباسية حفاظا على ما حققوه من إنجازات سياسية وعسكرية بالحصول على الدعم والمساندة من الخليفة، كي تستمد دولتهم مكانتها الروحية وقدرها العظيم في نفوس المسلمين. وهذا ما يدعوهم إلى الالتفاف حول أميرهم وعدم شق عصا الطاعة، عملا بقول الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾(١). لأن الفرقة هلكة والجماعة نجاة.

وعملا بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»(٢). وقوله عليه السلام: «عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ»(٣).

قال ابن الأثير: «وثمار ذلك أن الجَمَاعَةَ المتَّفِقَةَ مِنْ أَهْلِ الإسْلامِ يكونون فِي كَنَفِ اللَّه، وَوِقَايَتُه فَوْقَهُم، وهُمْ بَعِيدٌ مِنَ الأذَى والخَوْف»(٤).

من هذا المنطلق بايع الحكام القراخانيون الخليفة العباسي في بغداد، وأعلنوا ولاءهم له، وتمثل ولاءهم للخليفة في الصور التالية:

١- دعاؤهم للخليفة على منابرهم، ونقش اسمه على سكتهم.

---

(١) سورة آل عمران:١٠٣.

(٢) أخرجه مسلم كتاب الإمارة باب الأمر بلزوم الجماعة.. حديث رقم:١٨٥١.

(٣) أخرجه الترمذي أبواب الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة حديث رقم:٢١٦٥، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقد رواه ابن المبارك عن محمد بن سوقة، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الشيخ الألباني: صحيح. (سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، ج٤/ص:٤٦٥.)

(٤) النهاية في غريب الحديث، ج٥/ص:٢٩٣.

تبع القراخانيون الخلافة العباسية طوع أنفسهم، ودعوا للخليفة على منابرهم، منذ عام (٣٩٣هـ/١٠٠٣م)، حتى اتخذوا لأنفسهم لقب "موالي أمير المؤمنين"، ونقشوا على سكتهم ما يدل على ولائهم للخليفة مثل: سيف خليفة الله، كما نقشوا عليها العبارات الدينية مثل: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وأيضا ما يدل على حميتهم الدينية مثل: نصر الملة، فخر الملة، ناصر الحق، ملحقة باسم الخان الذي يحكم البلاد[1].

٢- منح الخليفة العباسي لملوك القراخانيين الألقاب الفخمة.

حيث منح الخليفة العباسي لهم الألقاب الفخمة، مثل: نصير الدولة وملك المشرق، لقدرخان يوسف. وعماد الدولة وتاج الملة وسيف خليفة الله، لطفغاج خان إبراهيم، ظهر ذلك في نقودهم التي ضربت في مدينة ياركند باسم قدرخان، وفي مدينة سمرقند باسم طفغاج خان[2].

وذكر الطوسي: «أن السُّلْطَان مَحْمُود لما تولى السلطنة طلب إِلَى أَمِير الْمُؤمنِينَ الْقَادِر بِاللَّه أَن يمنحه لقبا فمنحه لقب يَمِين الدولة.. ثم أرسل إِلَى أَمِير الْمُؤمنِينَ رَسُولا محملًا بالهدايا والتحف الْكَثِيرَة يطْلب إِلَيْهِ مزيدا من الألقاب، لَكِن الْخَلِيفَة لم يجبهُ إِلَى طلبه.. وبالعكس منح الْخَلِيفَة خاقَان سَمَرْقَنْد ثَلَاثَة ألقاب، ظهير الدولة، ومعين خَليفَة الله، وَملك الشرق والصين، فغبطه مَحْمُود عَلَيْهِ وأخذته الْغيرَة فَأرْسل رَسُوله إِلَى الْخَلِيفَة مرّة أُخْرَى.. فَأَجَابَهُ الْخَلِيفَة.. إن الخاقان.. تركي من أُمَرَاء الْأَطْرَاف وَلَقَد أجبناه لطلبته.. رعاية لشرفه»[3].

المراد به طفغاج خان أَبُو الْمُظَفَّرِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ نَصْرِ أَيْلَكَ الذي ورث مُلْك سمرقند بعد وفاة أبيه نصر بن أَيْلَكَ، وَكَانَ نصر زَاهِدًا وَمُتَعَبِّدًا يُلَقَّبُ بعِمَادَ الدَّوْلَةِ، فَلَمَّا مَاتَ وَرِثَهُ ابْنُهُ

(١) ينظر: تركستان لبارتولد، ص:٤١٠، الإسلام في آسيا الوسطى حسن أحمد محمود، ص:١٨٦. قه دىمكي ئويغورلا وه قاراخانيلا، ص:٤٧٥-٤٧٦.

(٢) الكامل، ج٧/ص:٦٤٥. تركستان، لبارتولد، ص:٤٢٢، وص:٤٥٠.

(٣) سياست نامه (سير الملوك) تأليف: نظام الملك الطوسي، ترجمة وتحقيق: د/ يوسف بكار، دار الثقافة قطر، ط: الثانية: ١٤٠٧هـ، ص:١٩٢-١٩٣، بتصرف.

طُفْغَاجُ، وَمَلَكَ بَعْدَهُ ابنه شمس الملك»[١].

وكذلك لما تولى أحمد بن أرسلان خان الحكم بعد وفاة أبيه عام (٤٩٦هـ/١١٠٣م)، أَرْسَلَ رَسُولًا إِلَى الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَظْهِرِ بِاللَّهِ يَطْلُبُ مِنْهُ الْخِلَعَ وَالْأَلْقَابَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَا طَلَبَ، وَلَقَّبَهُ نُورَ الدَّوْلَةِ[٢].

٣- استعانة الحكام القراخانيين من الخليفة العباسي في تثبيت ملكهم.

ومما يدل على قوة العلاقة بين الدولة القراخانية والخلافة العباسية، أنه لما استنجد الملك القراخاني "طفغاج خان" من الخليفة العباسي القائم بأمر الله على السلطان السلجوقي ألب أرسلان بالكف عن بلاده، أَجاب الخليفة إِلَى طلبه، وَكَانَ السُّلْطَانُ أَلْبُ أَرْسَلَانَ يُغِيْرُ على بلاده وينهبها، فانكفَّ عن ذلك بعد وساطة الخليفة[٣].

٤- بعث الوفود إلى الخليفة في بغداد.

وكذلك ما يدل على تبعية الدولة القراخانية للخلافة العباسية: وفود العلماء التركستانيين إلى الخليفة العباسي في بغداد تبجيلا له. وكان ممن وفد إلى بغداد أبو عبد الله الحسين بن علي بن خلف بن جبريل بن الخليل بن صالح بن محمد الألمعي الكاشغري، العالم الواعظ، حتى وافته منيته وهو في بغداد سنة ٤٨٤[٤].

ومنهم أيضا: محمود بن الحسين الكاشغري الذي أتم تأليف كتابه "ديوان لغات الترك" في بغداد بين السنوات (٤٦٤و٤٦٦هـ) (١٠٧٢-١٠٧٤م)، وأهداه إلى الخليفة أبي القاسم عبد الله بن محمد المقتدي بالله[٥].

---

(١) الكامل، ج٧/ص:٦٤٥.

(٢) المرجع السابق، ج٧/ص:٦٤٦.

(٣) المرجع السابق، ج٧/ص:٦٤٥، بتصرف.

(٤) الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الهند، ط: الأولى، عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م. ج٥/ص:١٧-١٨. معجم البلدان، ج٤/ص:٤٣١.

(٥) تاريخ بيهق، ص:٦٤٩. هدية العارفين للباباني، ج٢/ص:٤٠٢.

كما صرح الكاشغري نفسه في مقدمة كتابه «وضعت كتابي هذا مستعينا بالله تعالى موسما بديوان لغات الترك ليكون ذكرا مخلدا وذخرا مؤبدا برسم الحضرة المقدسة النبوية الإمامية الهاشمية العباسية سيدنا ومولانا "أبي القاسم عبد الله محمد المقتدي بأمر الله" أمير المؤمنين»[١]

ومنهم أيضا: الفقيه أبا علي الحسين بن علي اللامشي[٢] من أهل فرغانة، وفد إلى الخليفة المسترشد في بغداد عام (٥١٥هـ/١١٢١م) في عهد الملك محمد[٣] بن سليمان الملقب بالخاقان[٤].

---

(١) ديوان لغات الترك، ج١/ص:٣.

(٢) نسبة إلى لامش من قرى فرعانة، رَوَى الْحَدِيثَ وَتَفَقَّهَ، وَكَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْمُنَاظَرَةِ، وَكَانَ خَيِّرًا دَيِّنًا عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ، مُطَّرِحًا لِلتَّكَلُّفِ، أَمَّارًا بِالْمَعْرُوفِ، قَدِمَ مِنْ عِنْدِ الْخَاقَانِ مَلِكِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ فِي رِسَالَةٍ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ، فَقِيلَ لَهُ: أَلَا تَحُجُّ عَامَكَ هَذَا؟ فَقَالَ: لَا أَجْعَلُ الْحَجَّ تَبَعًا لِرِسَالَتِهِمْ. فَعَادَ إِلَى بَلَدِهِ، فَمَاتَ فِي رَمَضَانَ سنة ٥٢٢هـ، عَنْ إِحْدَى وَثَمَانِينَ سَنَةً؛ رَحِمَهُ اللَّهُ. (البداية والنهاية لابن كثير، ١٦/ص:٢٧٩.

(٣) هو مُحَمَّد أَرْسَلَانَ خَانْ بن سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ بَغْرَاخَانَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمُلَقَّبِ بِطِمْغَاجْ خَانْ بْنِ إِيلَكَ الْمُلَقَّبِ بِنَصْرِ أَرْسِلَانَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى بْنِ سَبْقَ، فَخَرَجَ عَلَى قَدْرَخَانْ فَانْتَزَعَ الْمُلْكَ مِنْهُ، فَقَتَلَ سَنْجَرُ قَدْرَخَانْ، وَأَعَادَ الْمُلْكَ إِلَى أَرْسِلَانْ خَانْ، وَثَبَّتَ قَدَمَهُ. عام (٤٩٥هـ/١١٠٢م)، ساعده عليه لوجود المصاهرة بينهما، وَلَمَّا مَلَكَ الْبِلَادَ أَحْسَنَ إِلَى الرَّعَايَا وَحَقَنَ الدِّمَاءَ، وَصَارَ بَابُهُ مَقْصِدًا، وَجُنَابُهُ مَلْجَأً. وفي آخر أيامه أصيب بالفالج، فَاسْتَنَابَ ابْنًا لَهُ يُعْرَفُ بِنَصْرِخَانْ، فقتله الثائرون، وأرسل إلى سنجر يستنجده عليهم، وقبل وصول سنجر تمكن ابنه الآخر من قتل الثائرين، وأرسل إلى سنجر يُعَرِّفُهُ وَيَسْأَلُهُ الْعَوْدَ إِلَى خُرَاسَانَ، فَغَضِبَ سَنْجَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَقَامَ أَيَّامًا ظنا منه أنه يتآمر عليه، حتى أطاحه من الحكم. وَأَخَذَهُ أَسِيرًا، وَسَيَّرَهُ إِلَى بَلْخَ فَمَاتَ بِهَا. عام (٥٢٤هـ/١١٣٠م). الكامل، ج٨/ص:٤٧٨-٤٧٩، وج٩/ص:٢١، ١١٦، ١١٧.

(٤) ينظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج١٧/ص:٢٥١.

قد يكون السبب للاستعانة من الخليفة، والتباحث عن بعض الأمور السياسية للبلد وتقوية العلاقة بين الدولة القراخانية والخلافة العباسية؛ لأن الدولة القراخانية في عهد هذا الخان وصلت إلى مرحلة الضعف، لأجل هيمنة السلاجقة عليها بفرض الضرائب، وانتفاضة الأتراك القارغلية للإطاحة بها، وحصل لاحقا ما كان يحطاطه الخان، وأزيل من الحكم من قبل السلطان السلجوقي سنجر.

المبحث الخامس: النهضة العلمية والثقافية في عهد الدولة القراخانية.

أولا: العلوم.

إن النهضة العلمية التي شهدها عصر الدولة القراخانية، والتي شكلت صفحة من أروع صفحات العصر الذهبي للحضارة التركية الإسلامية، كانت ثمرة جملة من العوامل، وفي مقدمتها الرعاية التي حظيت بها هذه النهضة، مادياً ومعنوياً، من طرف عدد من الملوك والأمراء القراخانيين، ولولا توفيق من الله، ثم تلك الرعاية منهم ما كان لهذه النهضة أن تنطلق. وهؤلاء الحكام قد عُرفوا بمحبتهم للعلم وأهله، لذلك دَعموا الحركة العلمية ورجالها، ووفروا لها أسباب النجاح والازدهار، ولم تقتصر رعايتهم على توفير الجوانب المادية والمعنوية التي تتطلبها النهضة العلمية فحسب، وإنما أسهموا بأنفسهم فيها، حتى صار بعضهم في مصاف العلماء والأدباء. وهذا ما أعطى النهضة العلمية في ذلك العصر المتميز نكهة خاصة لم تعرفها العصور التالية. إضافة إلى ذلك فإن هناك بعض العوامل التي أدت إلى نهضة العلم والثقافة الإسلامية في المجتمع القراخاني، ومن أهمها ما يلي:

١- اتخاذ الدولة القراخانية اللغة العربية لغة رسمية لها.

٢- ظهور عددٍ كبيرٍ من العلماء والأدباء والمفكّرين في ميدان التأليف والتدريس والدعوة. كما سيأتي الحديث عنهم.

٣- اتخاذ الملوك والأمراء القراخانيين العلماء بطانة لهم، وتوليتهم المناصب.

ومن ذلك: أن الفيلسوف يوسف خاص حاجب عندما أتم كتابه «قوتادغوبيليك» في سياسة الملوك، في مدينة كاشغر قدمه للملك أبي علي حسن بغرا خان. والملك قدره وكافأه بحيث عينه مستشارا خاصا للقصر الملكي، ومن ثم لُقب بـ"خاص حاجب" وبقي فيه أكثر من عشر سنوات[1].

وأيضا تولية الملك جَغْرِي خَانْ[2] (ملك ماوراء النهر) الْفَقِيهَ مُحَمَّد بْن عُمَرَ بْنِ بُرْهَانِ

---

(١) إيضاح المكنون ذيل كشف الظنون، ج٤/ص:٢٤٦. الإعلام لبعض رجالات تركستان، ص:٥٦.

(٢) هو جلال الدين علي بن حسن تكين، ولقبه جغري خان، تولى مقاليد الحكم في بلاد ما وراء النهر عام (٥٥١هـ/١١٥٦م) إلى عام (٥٥٨هـ/١١٦٣م)، وكان مستضفا في حكمه من أجل

الدِّينِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَازَةَ[١]، على إمارة مدينة بخارى.

٤- اهتمامهم بالعلم ودعم العلماء وإكرامهم.

كان لهذا الدعم الكبير أثر كبير في نشاط الحركة العلمية وازدهارها في الدولة القراخانية، حيث سخر العلماء جهودهم وأوقاتهم، سعيا وراء تحقيق أغراضهم العلمية، حتى أبدعوا في تخصصاتهم، وأصبحوا موسوعين في علوم شتى. يشهد على ذلك ما قاله الأستاذ إبراهيم أمين الشورابي: في مقدمة ترجمة كتاب الحدائق للوطواط، «إن القرن السادس الهجري.. قرن نفقت فيه سوق العلوم والآداب في الممالك الإسلامية الشرقية، وخاصة في خراسان وما وراء النهر»[٢].

وهذا الازدهار ما هو إلا استمرار للازدهار المسبق الذي حصل في عهد الدولة القراخانية؛ لأن المنطقة تعرضت للتدهور بعد القراخانيين في جميع مرافق الحياة، فضلا عن ركود النشاط العلمي، حتى وقعت المنطقة في قبضة المغول، عام (٦١٧هـ/١٢٢٠م)، وحدث فيها ما حدث، مما تقشعر له الأبدان، من القتل والنهب، وإحراق الدور والمتاع، في مثل هذه الأجواء لا يمكن أن تكون هناك أية نهضة في العلم، أو في أي شيء آخر.

=

هيمنة القراخطاي على البلاد، مع ذلك فإن له إنجازات في محاربة المتمردين من القارلوق. ولم أقف على تاريخ ميلاده ووفاته. ينظر: تركستان لبارتولد، ص:٤٨٤. معجم الأنساب للزمباور، ص:٣١٣.

(١) مُحَمَّد بن عمر بن عبد الْعَزِيز بن عمر بن مازة الإِمَام ابْن الإِمَام تقدم وَالِده وجده قَالَ ابْن النجار من أهل بخارى: «وكان رئيسها وابن رئيسها ومن أكابر أعيانها وفحول فقهائها المشهورين بالفضل والنبل، وله التقدم عند الملوك والسلاطين، قدم بَغْدَاد حَاجا فِي شَوَّال سنة اثْنَتَيْنِ وَخمسين وَخمْس مائَة وَحدث بهَا عَن وَالِده روى عَنهُ أَبُو البركات مُحَمَّد بن عَليّ بن مُحَمَّد الْأنْصَارِيّ فِي مشيخته، وتوفي عام (٥٦٦هـ/١١٧١م)» الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، ج٢/ص:١٠٢. وينظر: الكامل، ج٩/ص:٣١٦.

(٢) حدائق السحر في دقائق الشعر، رشيد الدين محمد عمري الوطواط، بالفارسية، تعريب: إبراهيم أمين الشورابي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط: الأولى، عام ٢٠٠٩م، ص:٢٦.

وقال السمعاني: لما ذكر بعض العلماء الكاشغريين «هذه النسبة إلى بلدة من بلاد المشرق، يقال لها: كاشغر، وهي من ثغور المسلمين اليوم، خرج منها جماعة من أهل العلم في كل فن»[١].

ومن أبرز الشواهد على النهضة العلمية، أن ملكا من ملوكها هجر الحكم في سبيل العلم، وهو: محمد مجد الدّين الختني، الذي عُدَّ أحدُ عُلَمَاء مَا وَرَاء النَّهر في عصره.. حيث ترك الْمُلْكَ لِأَخِيهِ الْأَصْغَر، وَهَاجَر فِي طلب الْعلم إِلَى سَمَرْقَنْد وبخارى وخراسان، فتفقه ثمَّ ورد إِلَى الْبِلَاد الشامية لطلب المرابطة، فَحَضَرَ إِلَيْهِ السُّلْطَان مَحْمُود زنكي، وَسلم إِلَيْهِ الْمدرسَة الصادرية، ثمَّ ورد إِلَى الديار المصرية، فَلم يزل بِهِ الْملك النَّاصِر حَتَّى ولاه الْمدرسَة السيوفية بِالْقَاهِرَة، وَهُوَ أول من درس بهَا، وانتفع بِهِ جمَاعَة، وتوفي عام (٥٧٦هـ/١١٨١م)[٢].

وكذلك أيضا: اهتمام الملك القراخاني نصر بن إبراهيم بن نصر، الملقب بـ شمس الملك[٣]، بالعلم والعلماء، كان من أفاضل الملوك علما ورأيا وحزما وسياسة، درس الفقه والحديث في دار الجوزجانية، وكتب النّاس عَنْهُ، وخطب على منبر سمرقند وبخارى[٤].

---

(١) الأنساب للسمعاني، ج٥/ص:١٨.

(٢) الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، مير محمد كتب خانه- كراتشي، بدون تاريخ، ج٢/ص:١٢٥-١٢٦.

(٣) اسمه نصر بن إبراهيم بن نصر أيلك خان بن علي بن موسى بن ستوق بغراخان، كنيته أبو إسحاق ولقبه شمس الملك، تولي ملك سمرقند وفرغانة عام (٤٦٠هـ/١٠٦٨م) في آخر حياة والده طفغاج خان، بعدما تنازل له لمرض، واستمر حكمه ثنتي عشر سنة، وكان فصيح اللسان وحسن الخط، كتب مصحفا بيده، وَكَانَ يَعْرِفُ النِّجَارَة، عمل بِيَدِهِ بَابَ الْمَقْصُوْرَةِ. وتوفي عام (٤٧٢هـ/١٠٨٠م). ينظر: الكامل، ج٧/ص:٦٤٥. سير أعلام النبلاء، ج١٩/ص:١٩٣. ئويغور نامه، ص:٢١٥.

(٤) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي بيروت – لبنان، ط: الثالثة، عام ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج٣٤/ص:١٧٣-١٧٤، بتصرف يسير.

وذكر الأستاذ حسن الداقوقي أن ابن ماكولا ذكره بين رواة الحديث في تلك الفترة(١).

ومن الشواهد على ذلك أيضا: اهتمام الأمير أبو شجاع أرسلان خان(٢) بن قدرخان يوسف، بأهل العلم وَكَانَ دَيِّنًا، مُكْرِمًا لِلْعُلَمَاءِ وَأَهْلِ الدِّينِ، فَقَصَدُوهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، فَوَصَلَهُمْ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ(٣).

لقد نتج عن تلك العناية الفائقة والاهتمام البالغ من حكام الدولة القراخانية بالعلم وأهله، بروز عدد كبير من العلماء في شتى المجالات العلمية: في علوم التفسير والحديث والفقه واللغة والتاريخ وغيرها من العلوم الكثيرة. وفيما يلي نماذج لأهمها بالإيجاز.

أ–علم التفسير:

لقد حظي القرآن الكريم لدى العلماء في عهد الدولة القراخانية حظا وافرا، منذ بزوغ نجم هذه الدولة، وظهر في هذا الميدان عدد من المفسرين ممن خدموا هذا العلم بآرائهم النيرة وجهودهم القيمة، ومن أبرزهم:

١- الحسين بن علي بن خلف بن جبريل الألْمعيّ الكاشْغَريّ، (ت٤٨٤هـ/١٠٩١م) ويُعرَف بالفضل أيضا. صاحب المؤلفات الكثيرة، تزيد على مائة تصنيف، ومنها "المقْنِع في تفسير القرآن"(٤).

---

(١) الحركة الفكرية في عهد الدولة القراخانية، أ.د/حسن علي الداقوقي، بحث منشور في مجلة دراسات الصادرة عن عمادة البحث العلمي في الجامعة الأردنية عمان، عام١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص:١٤.
لم أجد هذه الزيادة في الإكمال لابن ماكولا، ولعلها في نسخة أخرى للكتاب.

(٢) اسمه عمر بن قدرخان، وكنيته أبو شجاع، ولقبه شرف الدولة، تولى الملك بعد وفاة والده قدرخان يوسف عام (٤٢٣هـ/١٠٣٢م)، قسم البلاد بين إخوانه وأعمامه إرضاء لهم، وخوفا من الاقتتال، وأبقى لنفسه كَاشْغَر، وَخُتَنَ، وَبَلَاسَاغُونَ، وَخُطِبَ لَهُ عَلَى مَنَابِرِهَا، وفي عهده أسلم عدد أكبر من كفار الأتراك. مات مخنوقا في حبس أخيه محمد بغراخان عام (٤٣٩هـ/١٠٤٨م) ينظر: الكامل، ج٧/ص:٦٤٤. وج٨/ص:٤٥. المختصر في أخبار البشر، ج٢/ص:١٦٨.

(٣) الكامل، ج٧/ص:٦٤٤. تاريخ ابن خلدون، ج٤/ص:٥١٦.

(٤) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث- بيروت، عام ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج١٣/ص:١٥.

٢- أبو حفص نجم الدين النسفي. عالم بالتفسير والأدب والتاريخ والفقه، ولد بنسف ونشأ بها وتعلم، ورحل في طلب العلم إلى مكة وبغداد، ولقي بمكة الزمخشري (صاحب الكشاف). وألف كتاب "التيسير في التفسير" و"الأكمل الأطوال في التفسير"، وكان يلقب بمفتي الثقلين. سكن سمرقند وتوفي بها عام (٥٣٧هـ/١١٤٣م)[١].

٣- محمد بن محمد بن أيوب، أبو محمد القطواني، مفسر واعظ من فقهاء الحنفية، من أهل قطوان بسمرقند. ذكره السمعاني في الأنساب وأثنى عليه وقال: «كان مفتياً واعظاً مفسراً. سقط عن دابته منصرفا من صلاة الجمعة، فمات من الغد، وكان ذلك في سنة (٥٠٦هـ/١١١٣م)»[٢]. لم أقف على مؤلف له في التفسير.

ب- علم الحديث النبوي الشريف:

كما برز في ميدان علم الحديث النبوي الشريف، العديد من المحدثين في تركستان في عهد الدولة القراخانية، وهذا ليس بجديد لتلك الديار، فقد سبقت باحتضانها أعلاماً في علم الحديث وعلى رأسهم: ممن لقب بأمير المؤمنين في الحديث الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله. ومنذ ذلك الوقت تجود أرض تركستان بالمحدثين الأفذاذ، ومن أبرزهم في عهد الدولة القراخانية:

١- عَبْد الغافر بْن الْحُسَيْن بْن عَلِيّ بْن خَلَف بْن جبريل، أبو الفُتُوح الألمعي الكاشْغَرِيّ. (ت ٤٦٦ هـ/١٠٧٤م)، ومن آثاره في علم الحديث، كتابه "كنز الأحاديث" سمع أَحْمَد بْن أَبِي بَكْر الخطّابي، وعمّه عُثْمَان الكاشغَري، وأبا بَكْر الطُّرَيْثيثيّ، ومحمد بْن عَبْد الملك الدندانقاني، وأبا جعفر ابن المسِلمة، وجماعة كثيرة بالعراق وخُراسان. ورَوَى عَنْهُ هبة اللَّه بْن الفَرَج الهَمَذَاني، ومحمد بْن أَبِي القاسم الغولْقاني المرْوَزيّ. وكان فَهْمًا ذكيًّا، عارفًا

---

(١) معجم المؤلفين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافة للتأليف والترجمة والنشر، بيروت- لبنان، ط: الثالثة: ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ج١/ص:٤٠٠. الأعلام خير الدين الزركلي، ج٥/ص:٦٠.

(٢) الأنساب للسمعاني، ج١٠/ص:٤٦١.

بالحديث واللغة، حافظًا. مات في أيام طلبه[(١)].

قال السمعاني: «كان حافظا، ثقة، مكثرا، صدوقا. وأما أبوه فلم يكن كذلك، والابن كان خيرا من الأب بكثير»[(٢)].

٢- أبو عبد الله محمد بن يوسف الفربري،[(٣)]، (ت٣٢٠هـ/٩٣٢م)، روى الجامع الصحيح عن الإمام البخاري مرتين. وقال: سمع صحيح البخاري تسعون ألف رجل، فما بقي أحد يروي عنه غيري. روى عنه حفيده أبو محمد أحمد بن عبد الله بن محمد بن يوسف الفربري، الجامع الصحيح. بالإضافة إلى العديد من أهل العلم الذين تتلمذوا عليه ورووا عنه[(٤)].

٣- أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيْمُ بنُ عُثْمَانَ بنِ يُوْسُفَ بن أُزَرْتُق التُّرْكِيّ الكَاشْغَرِيّ، (ت٦٤٥هـ/١٢٤٨م) قال الذهبي: «سَمِعَ مِنْ: أَبِي الفَتْحِ بنِ البَطِّيّ، وَأَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدٍ الكَاغَدِيّ، وَعَلِيّ بن تَاج القُرَّاء.. وَجَمَاعَةٍ. وَطَالَ عُمُرُهُ، وَبَعُدَ صِيْتُهُ، وَقَدْ حَدَّثَ بِدِمَشْقَ وَحَلَبَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِيْنَ وَستمائَةٍ، وَرَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ.. وَتَكَاثر عَلَيْهِ الطلبَة. وحَدَّثَ عَنْهُ: ابْنُ نُقْطَةَ، وَابْنُ النَّجَّارِ، وَعَبْد الرَّحِيْمِ ابْن الزَّجَّاج، وَالمدَرِّس كَمَال الدِّيْنِ إِبْرَاهِيْم ابْن

---

(١) ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي تحقيق: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠٣م، ج١٠/ص:٢٣٦. تاريخ إربل، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي، المعروف بابن المستوفي، تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، عام ١٩٨٠م، ج٢/ص:٨٠٠.

(٢) الأنساب للسمعاني، ج٥/ص:١٨.

(٣) قال ياقوت: «فربر بلدة بين جيحون وبخارى، بينها وبين جيحون نحو الفرسخ، وكان يعرف برباط طاهر بن علي، وقد خرج منها جماعة من العلماء والرّواة، منهم: محمد بن يوسف البخاري، راوية صحيح محمد بن إسماعيل البخاري، يقال: سمع الجامع من البخاري سبعون ألفا لم يبق أحد منهم سوى الفربري» معجم البلدان، ج٤/ص:٢٤٥-٢٤٦.

(٤) الأنساب للسمعاني، ج١٠/ص:١٧١. الوفيات (معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين) أبو العباس أحمد بن حسين بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسطنطيني، تحقيق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط: الرابعة عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص:٢٠٦.

أَمِيْن الدَّوْلَة، وَابْنُ عَمِّهِ أَيُّوْب. قَالَ ابْنُ نُقْطَةَ: سَمَاعُهُ صَحِيْحٌ. وَقَالَ ابْنُ الحَاجِبِ: كَانَ شَيْخاً سَهْلاً سَمحاً، ضَحُوكَ السِّنِّ، لَهُ أُصُوْلٌ يُحَدِّثُ مِنْهَا، وَكَانَ سَلِيمَ البَاطِنِ، مُشْتَغِلاً بِصَنْعَتِهِ»(١).

ج- علم الفقه.

لقد برز الكثير من الفقهاء في عهد الدولة القراخانية، وكان لبصماتهم أثر كبير في ازدهار هذا العلم في منطقة تركستان، ومن أبرزهم:

١- أبو نصر أحمد بن الفرج بن عبد العزيز ابن أبى الهيثم الساغرجى، (ت٥٢٤هـ/١١٣٠م)، قال السمعاني: «فقيه فاضل صالح، رزق أولادا علماء.. وابنه أبو المحامد محمود بن أحمد بن الفرج الساغرجى، صار شيخ الإسلام بسمرقند، وكان فاضلا متفننا مصيبا عارفا بالمتفق والمختلف، كثير العبادة، تفقه على البرهان ببخارى»(٢).

٢- علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، أبو الحسن برهان الدين (ت٥٩٣هـ/١١٩٧م)، من كبار فقهاء الحنفية، نسبته إلى مرغينان (من نواحي فرغانة) كان حافظاً مفسراً محققاً أديباً، مشاركاً في أنواع من العلوم مجتهداً. من تصانيفه: شرح الجامع الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني في الفقه، وبداية المبتدي، وشرحه "الهداية في شرح البداية" ومنتقى الفروع، ومختارات النوازل، والفرائض. وكلها في الفقه الحنفي. أقرّ له أهل عصره بالفضل والتقدّم، كالإمام فخر الدين قاضي خان، والإمام زين الدين القبّابي. وفاق شيوخه وأقرانه، وأذعنوا له كلهم، ولا سيّما بعد تصنيفه لكتاب "الهداية" و"كفاية المنتهى". ونشر المذهب، وتفقّه عليه الجمّ الغفير(٣).

---

(١) سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. ج٢٣/ص:١٥١.

(٢) الأنساب للسمعاني، ج٧/ص:١٨-١٩، ج١٠/ص:٩٠.

(٣) ينظر: الأعلام للزركلي، ج٤/ص:٢٦٦. ومعجم المؤلفين عمر رضا كحالة، ج٢/ص:٤١١. حاشية تاريخ الإسلام للذهبي، تحقيق: التدمري، ج٤٢/ص:١٣٧.

٣- علي بن محمد بن الحسن بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى، أبو الحسن، فخر الإسلام البزدوي[١]، (ت٤٨٢هـ/١٠٩٠م)، فقيه أصولي، محدث، مفسر، من كبار الحنفية. من سكان سمرقند، قال السمعاني: «البزدوي فقيه ما وراء النهر، وأستاذ الأئمة، وصاحب الطريقة على مذهب أبي حنيفة»[٢] وقال الذهبي: «هو شيخ الحنفية وعالم ما وراء النهر.. صاحب الطريقة في المذهب.. وَكَانَ أَحَدَ مَنْ يُضْرَبُ بِهِ المثَلُ فِي حِفْظ المذْهَب»[٣] وقال الزركلي: «له تصانيف، منها: المبسوط، وكنز الوصول في أصول الفقه، يعرف بأصول البزدوي، وتفسير القرآن كبير جدا، وغناء الفقهاء في الفقه»[٤].

د- علم اللغة والأدب.

لقد حظيت اللغة العربية نهضة حقيقية بمساهمات علماء الأتراك في بلاد ما وراء النهر كغيرها من العلوم، لكونها لغة الثقافة العالمية آنذاك، وجاءت جهود العلماء في إثراء اللغة العربية تأليفا وتدريسا في زمانه كما ينبغي. ومن أبرزهم:

١- إِمَامُ اللُّغَةِ أبو نصر إِسْمَاعِيْلُ بنُ حَمَّادٍ الجَوْهَرِيُّ التُّرْكِيُّ من مَدِينَة فَارَاب (ت٣٩٣هـ/١٠٠٢م) مُصَنِّفُ كِتَابِ الصِّحَاحِ وَأَحَدُ مَنْ يُضْرَبُ بِهِ المثَلُ فِي ضَبطِ اللُّغَةِ، وَحسن الخَطِّ.. كان من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلما، وَكَانَ يُحِبُّ الأَسْفَارَ وَالتَّغَرُّب، دَخَلَ بِلاَد رَبِيْعَةَ وَمُضَر فِي طَلَب لِسَان العَرَب، وَدَارَ الشَّامَ وَالعِرَاقَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى خُرَاسَانَ، فَأَقَامَ بِنَيْسَابُوْرَ يُدَرِّسُ وَيُصَنِّفُ، وَيُعَلِّمُ الكِتَابَة، وَيَنْسَخُ المصَاحِف. وَقَدْ أَخَذَ العَرَبِيَّةَ عَنْ أَبِي سَعِيْدٍ السِّيْرَافِيِّ وَأَبِي عَلِيٍّ الفَارِسِيّ، وَخَالِه صَاحِب (دِيْوَان الأَدَب) أَبِي إِبْرَاهِيْم الفَارَابِيّ. وَلِلجَوْهَرِيِّ نَظْمٌ حَسَنٌ، وَمُقَدِمَةٌ فِي النَّحْوِ[٥].

---

(١) قلعة بقرب نسف على طريق بخارى. (الأنساب للسمعاني، ج٣/ص:٢٠١.

(٢) الأنساب للسمعاني، ج٣/٢٠١.

(٣) سير أعلام النبلاء، ج١٨/ص:٦٢-٦٣.

(٤) الأعلام للزركلي، ج٤/ص:٣٢٨-٣٢٩.

(٥) سير أعلام النبلاء، ج١٧/ص:٨٠-٨٢. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، بدون تاريخ،

٢- محمد بن أبي القاسم بن بابجوك البقالي الخوارزمي، أبو الفضل الملقب بزين المشايخ، ويعرف بالآدمي، (ت٥٦٢هـ/١١٦٧م)، عالم بالأدب، نحوي، مفسر، من أهل خوارزم. تتلمذ للزمخشري وجلس بعده في حلقته، واشتهر اسمه وبعد صيته. وكان إماما في الأدب، وحجة في لسان العرب، جم الفوائد، حسن الاعتقاد، كريم النفس، غير خائض فيما لا يعنيه، له يد في الترسل ونقد الشعر، وله من التصانيف: مفتاح التنزيل. وتقويم اللسان في النحو. والإعجاب في الإعراب. والبداية في المعاني والبيان. ومنازل العرب. وشرح أسماء الله الحسنى، وغير ذلك[١].

٣- العالم اللغوي الأويغورى التركي محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري، عالم بلهجات القبائل التركية واللغة العربية والفارسية، ومن أشهر مؤلفاته: كتاب "ديوان لغات الترك". بدأ الكاشغري تأليف موسوعته "ديوان لغات الترك" في مسقط رأسه، وأتمه في مدينة بغداد عام٤٦٦هـ/ ١٠٧٤م[٢] بعد بحث ودراسة دامت خمسة عشر عاما في وديان ومناطق الأتراك. وقال في ذلك: «فإني نقبت بلادهم وفيافيهم واقتبست لغاتهم وقوافيهم، تركية وتركمانية أُغْزِيَّة وجِكِلِّية ويَغْمائية وقرقزية.. حتى استقام عندي لغة كل طائفة منهم أحسن قوام، وألفته أبلغ تأليف في أزين نظام، ووضعت كتابي هذا مستعينا بالله تعالى، موسما بديوان لغات الترك، ليكون ذكرا مخلدا..»[٣]. وأَطْلَقَ عليه الاسم العربي؛ لأن أمثاله من العلماء الأتراك آنذاك كانوا يكتبون مؤلفاتهم باللغة العربية. وكان هدفه من التأليف باللغة العربية تعليم العرب اللغة التركية وبناء جسور التواصل والتعاون بين الشعبين العريقين. فأصبح بذلك

=

ج١/ص:٤٤٦.

(١) معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط: الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج٦/ص:٢٦١٨.

(٢) صرح ذلك في كتابه قائلا: «والسنة التي كتبنا هذا الكتاب كان في محرم سنة ست وستين وأربعمائة، كانت دخلت سنة الحية» ديوان لغات الترك، ج١/ص:٢٩٠.

(٣) ديوان لغات الترك، ج١/ص:٣.

من أوائل بناة جسور التواصل بين اثنتين من أهم عناصر الحضارة الإسلامية العظيمة، ألا وهما: العرب والترك. إنما أراد الكاشغري بخدمته هذه إبراز لغة الترك وتراثهم وحضارتهم عبر الأجيال المتعاقبة المتوارثة في العالم الإسلامي.

الكتاب موسوعة شاملة في اللغة والأدب والجغرافية والتاريخ، ومصدر مهم في تراث الترك الثقافي والاجتماعي، وهو معجم ثنائي اللغة تركي-عربي يحتوي على ٧٥٠٠ كلمة تركية مشروحة باللغة العربية. وقد استخدم الكاشغري في كتابه هذا المنهج المقارن في دراسة اللغة، مقارنة بين لغات الترك والعرب، وذلك قبل ظهور علم اللغات المقارنة بمئات السنين، وبذلك يعتبر رائدا في هذا المجال. كما يقول: ذلك نفسه، «وبرزت بتصنيف لم أسبق إليه، و تأليف لم يوقف عليه»(١).

وأورد الكاشغري كلمات من مختلف لهجات اللغة التركية، وشواهد كثيرة في فنون الأدب الشعبي التركي، من نثر وشعر ورجز وعادات وتقاليد. ودوّن أيضا بعض القصص الأدبية والقصائد والأغاني والأمثال. وفي الديوان ٢٢٤ قصيدة، و٢٠٠ مثال، و٢٠ حكاية شعبية. ولا يخلو الديوان من إشارات إلى مستجدات الحياة: من زراعة، وطب، وملابس، ومجوهرات، وأشغال يدوية، والموقع الجغرافي، وطبيعة انتشار الأقوام التركية جغرافيا مع دراسة دياناتهم قبل الإسلام، كالشامانية، والطوطميه، وغيرها، مرفقا بها خريطة لأماكن انتشار القبائل التركية في المنطقة.

ووَضع الكاشغرى وسط آسيا مركزا للأرض في خريطته للعالم، ولهذا يعتبر الكتاب مرجعا مهما لدراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة القاراخانية. وقد اعتمد العرب والترك حتى الفرس فترة طويلة على هذا المعجم، من حيث تعلم اللغة التركية ودراسة طبائعهم. وقد طبع لأول مرة في تركيا في مطبعة عامرة باسطنبول سنة١٩٣٣م، في ثلاث مجلدات. وترجم الكتاب إلى اللغة الأويغورية المعاصرة من قبل محمد فيضي وأحمد ضيائي عام ١٩٥٥م. ثم نشرت عدة ترجمات للكتاب وبحوث كثيرة عنه من قبل الباحثين في روسيا وألمانيا وفرنسا والمجر. كما طبع الكتاب باللغة العربية. عام ١٩٦٠م في الاتحاد السوفيتي،

---

(١) المرجع السابق، ج١/ص:٦.

وباللغة الأوزبكية في طشقند في العام نفسه، وطبع أيضا باللغة الأويغورية والصينية بمجلداته الثلاث، عام ١٩٨١م، في تركستان الشرقية. وهكذا وصلت الترجمة إلى أكثر من عشر لغات العالم حتى الآن[١].

هـ- علم التاريخ.

ظهر في هذا المجال أيضا عدد من المتخصصين في مدن الدولة القراخانية، وكان لبصماتهم أثر كبير في تطور علم التاريخ في عهد الدولة القراخانية، ومن أشهرهم:

١- عبد الله بن أحمد بن جعفر بن خُذْيان التركي الفرغاني، (ت:٣٦٢هـ/٩٧٣م)، كان له باع في علم التاريخ والحديث، وله روايات تاريخية عدة عن الإخشيديين رواها عنه الناس[٢]. ومن أشهر مؤلفاته: التَّارِيْخِ المذيَّلِ عَلَى تَارِيخِ مُحَمَّدِ بنِ جَرِيْرٍ الطَّبَرِيِّ. حدَّثَ بِدِمَشْقَ عَنِ ابْنِ جَرِيْرٍ، وَعَلِيِّ بنِ الحسن بن سليمان، وَغيرِهِمَا. رَوَى عَنْهُ: أَبُو الفَتْح بنُ مسرورٍ، وَأَبُو سُلَيْمَانَ بنُ زَبْرٍ، وَالدَّارَقُطْنِيُّ، وَعَبْدُ الغنِيِّ، وَتَمَّامٌ الرَّازِيُّ. وَثَّقَهُ ابْنُ مسرورٍ[٣].

قال الصفدي: «الْأَمِير عبد الله بن أَحْمد بن جَعْفَر أَبُو مُحَمَّد الفرغاني الْأَمِير الْقَائِد صَاحب أبي جَعْفَر الطَّبَرِيّ.. قدم دمشق وَحدث بهَا وروى عَنهُ جمَاعَة من أَهلهَا وَنزل عبد الله مصر وَحدث بهَا، وَكَانَ ثِقَة وأرسله الراضي إِلَى مصر وَحمله الْخلْع إِلَى أبي بكر مُحَمَّد بن طغج الإخشيدي»[٤].

٢- أبو منصور أحمد بن عبد الله بن أحمد الفرغاني، (ت:٣٩٨هـ/١٠٠٧م)،

---

(١) ينظر: مقدمة ترجمة "ديوان لغات الترك" باللغة الأويغورية، محمد فيضي وأحمد ضيائي، شنجانك خه لنق نه شريياتي، ئورومچي، ط: الأولى، عام ١٩٨١م، ج١/ص:١٨-٤٩.

(٢) بغية الطلب في تاريخ حلب، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم، تحقيق: د/سهيل زكار، دار الفكر، بدون تاريخ، ج٥/٢٠٦٨. وج٣/ص:١٤٥٠. وج٤/ص:١٩٢٤.

(٣) سير أعلام النبلاء، ج١٦/١٣٢-١٣٣.

(٤) الوافي بالوفيات للصفدي، ج١٧/ص:٢٠.

حذا أحمد حذو أبيه في علم التاريخ وورث علمه وأكمل مؤلفاته. وصنّف أيضا عدة تصانيف، منها: "كتاب التاريخ" وصل به تاريخ والده. وكتاب "سيرة العزيز" سلطان مصر المنتسب إلى العلويين. وكتاب "سيرة كافور الإخشيدي"[١].

و- العلوم العقلية.

ظهر في آسيا الوسطى في عهد الدولة القراخانية هناك علوم عقلية كثيرة أيضا، مثل: علم الطب وعلم الهندسة وعلم الرياضيات والفلك وعلم المنطق. أضرب صفحا عن ذكر هذه العلوم بالتفصيل مخافة الإطناب في البحث، ولكونها أيضا: خارج الموضوع، لذا أذكرها على وجه الإيجاز. مع ذكر أبرز المسهمين فيها كذلك موجزا، فيما يلي:

١- علم الطب: اشتهر به في بلاد ما وراء النهر، شرف الدين محمد بن يوسف الإيلاقي، (ت٥٣٦هـ/١١٤١م)، خَبِير بصناعة الطِّبّ والعلوم الْحكمِيَّة، وكان من جملة تلاميذ ابن سينا. اختصر كتابه "القانون في الطب" وأجاد في تأليف "كتاب الأسباب والعلامات" في الطب[٢].

٢- علم الهندسة: اشتهر بها شمس الدين محمد بن أشرف الحسيني السمرقندي، (ت٦٠٠هـ/١٢٠٣م)، كان رياضيا منطقيا وفلكيا، وله إنجازات مهمة في علم الهندسة، من تصانيفه: أشكال التأسيس في الهندسة، ورسالة في آدب البحث والمناظرة، بعنوان: الفسطاط، وغيرها.[٣].

٣- علم النجوم والفلك والرياضيات: اشتهر به محمد بن أحمد أبو ريحان البيروني، (ت٤٠٣هـ/١٠١٢م)، لم يأت الزمان بمثله علما وفهما، وقد بلغت أعماله المؤلفة المعروفة حوالي (١٨٠) كتابا. وتنوعت موضوعاتها لتشمل: الفلك، والطب، والصيدلة، والجغرافيا، والنبات، والتاريخ. والنجوم، والهيئة، والمنطق والحكمة. من أهم مؤلفاته «القانون

---

(١) معجم الأدباء، ج١/ص:٢٩٤. الوافي بالوفيات للصفدي، ج٧/ص:٥٦.

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين أبو العباس ابن أبي أصيبعة، تحقيق: د/ نزار رضا، دار مكتبة الحياة- بيروت، ١٩٦٥، ص:٥٩.

(٣) معجم المؤلفين عمر رضا كحالة، ج٩/ص:٦٣.

المسعودي في الهيئة والنجوم»[1] فهو عبارة عن دائرة معارف علمية تشمل علوم الفلك والجغرافيا والهندسة والرياضيات.

٤- علم الفلسفة والمنطق: اشتهر به أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أَوْزَلَغ التُّرْكِي الفَارَابِي المنطِقِيُّ، أَحَدُ الأَذْكِيَاء. (ت٣٣٩هـ/٩٥٠م)، كان يَعرفُ سَبْعِيْنَ لِسَاناً، وَكَانَ وَالِدُهُ مِنْ الأمراءِ في الدولة القراخانية، فَقِيْلَ: إِنَّهُ دَخَلَ عَلَى سَيْفِ الدَّوْلَة وَهْوَ بزِيِّ التُّرك. فَجَلَسَ فِي صَدْر المجْلِس، وَأَخَذَ يُنَاظر العُلَمَاءَ فِي فنُوْنٍ. فعلا كَلاَمُه، وَبَان فَضْلُه، وَأَنصتُوا لَهُ. وَيُقَالُ: إِنَّهُم سأَلُوهُ: أَأَنت أَعْلَم أَوْ أَرسطو؟ فَقَالَ: «لَوْ أَدرَكْتُه لكُنْتُ أَكْبَرَ تلاَمِذته» ألف الكثير من الكتب ينسب إليه أكثر من مائة مؤلف متفاوتة الأحجام[2].

ثانيا: الثقافة.

واكب المجتمع التركي النهوض الحضاري الإسلامي منذ اتصال العرب بالأتراك، عام (٥٤هـ/٦٧٤م) عندما عبر عبيد الله بن زياد والي خراسان — زمن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما — نهر جيحون واستولى على بخارى ورا ء مدينة بيكند[3] من بلاد الترك، ثم اختار ألفي مقاتل تركي من رماة النشاب الشجعان وإرسالهم إلى العراق، حيث أسكنهم البصرة. ثم توغل قتيبة بن مسلم الباهلي رحمه الله مدينة كاشغر وفتحها، عام (٩٦هـ/٧١٥م)[4].

وقد تتابعت الفتوحات العربية — الإسلامية في بلاد الترك بعد ذلك، إلى أن استتب

---

(١) معجم الأدباء، ج٥/ص:٢٣٣٣-٢٣٣٤. رائد علم الفلك البيروني، تأليف: عاطف محمد، دار اللطائف للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: الأولى، عام ٢٠٠٣، ص:٢٤.

(٢) سير أعلام النبلاء، ج١٥/ص:٤١٥-٤١٨.

(٣) بلدة بين بخارى وجيحون، على مرحلة من بخارى، وهي بلدة كبيرة حسنة، كثيرة العلماء، وفيها ألف رباط، ولها سور حصين، وفيها مسجد جامع لم ير مثله في بلاد ما وراء النهر في تنوق بنائه وزخرفة محرابه. معجم البلدان، ج١/ص:٥٣٣.

(٤) تاريخ الطبري، ج٥/ص:٢٩٨. البداية والنهاية، ج١٢/ص:٥٥٧.

الأمر للمجاهدين العرب فيها بعد مقتل خاقان الترك على يد القائد العربي نصر بن سيار في حدود العام (١٢٣هـ/٧٣٨م)[١].

ثم تحولت الدولة القراخانية إلى دولة إسلامية بإسلام ملكها، بعد أن كانت وثنية، وفي ظل هذه الأجواء الطيبة سار الأتراك في ركاب الإسلام منذ ذلك الحين، وبقيت الثقافة التركية تحت تأثير الثقافة العربية الإسلامية قرابة عشرة قرون الأخيرة. حتى أصبحت الثقافة الإسلامية: لغة القرآن والأذان والصلاة، جزءا من تركيب المجتمع التركي، وأقوى دليل على ذلك أن للأتراك – قبل الإسلام – كانت لهم لهجتان متمايزتان شائعتان في اللغة التركية، الأولى: لهجة كوك تورك، والثانية: لهجة الأويغور، وهما لهجتا الأم، اللتان أطلق عليهما اللغويون الأتراك، تسمية (التركية القديمة. وقد كتبت بلهجة كوك تورك المسلات الأورخونية خلال القرنين السادس والسابع، قبل الميلاد[٢].

وبعد دخول الأتراك إلى الدين الإسلامي، أُطلق على لهجة كوك تورك، اسم (اللهجة الغربية) وعلى اللهجة الأويغورية (اللهجة الشرقية). وقد استعملت هذه التسميات بكثرة من قبل المستشرقين ورواد الحضارة العربية الإسلامية[٣].

ثم استبدلت هذه التسميات بأخرى جديدة، فسميت اللهجة الشرقية بـ (الخاقانية) التي تطورت في ما بعد إلى الجُغْطائية، نسبة إلى أحد أبناء جنكيزخان. التي تطورت منها، اللهجة الأوزبكية المتداولة اليوم في آسيا الوسطى. وبعد تشكيل الأتراك الأويغور دولتهم القراخانية، انتشرت اللغة العربية في جميع الأصقاع التركية بحيث أصبحت لغة العلم ولغة الدولة الرسمية معا. حيث اتخذ الأتراك الأبجدية العربية خطا لهم بعد أن استعملوا العديد من الأبجديات في تاريخهم. والأدب التركي خير معبّر عن هذا التلاقح الثقافي منذ القرن الحادي عشر الميلادي.

---

(١) تاريخ الطبري، ج٧/ص:١٩٢.

(٢) Prof.Dr.Muharrem Ergin, TurkDilbilgisi – Istanbul 1972. sh. 5.7

(٣) Agah Sirri Levend , Turk Dilinde Sadeleşme Evreleri. Ankara 1971 , sh.78 TDK.

وقد استعمل الشاعر التركي يوسف خاص حاجب البلاساغوني — من شعراء القرن المذكور – الحروف العربية غير الموجودة في الأبجدية التركية، لكتابة قصيدته التعليمية الكبرى (قوتادغو بيليك = علم السعادة) عام ١٠٦٩ الميلادي، ويعد كتابه مثنوية شعرية مؤلفة من ٦٥٠ بيتا ومنظومة بوزن العروض العربي[١].

ثم بدأ معاصره العالم اللغوي التركي محمود الكاشغري لتعليم العرب اللغة التركية، وقام بتأليف معجمه اللغوي (ديوان لغات الترك) باللغة العربية عام (٤٦٦هـ/١٠٧٢م) في بغداد. وقد ذكر في مقدمة كتابه: قائلا: «ووضعت كتابي هذا مستعينا بالله.. مرتبا على ولاء حروف المعجم موشحا بحكمة أو سجع أو مثل أو شعر أو رجز أو نثر.. وحصرت هذه اللغة بأسرها في ثمانية كتب: أولها كتاب الهمز، قدمناه تيمنا بكتاب الله تعالى، والثاني كتاب السالم، والثالث كتاب المضاعف، والرابع كتاب المثال، والخامس كتاب ذوات الثلاثة، والسادس كتاب ذوات الأربعة، والسابع كتاب الغنّة، والثامن كتاب الجمع بين الساكنين. وجعلت كل كتاب من هذه الكتب شريحتين: أسماء وأفعالا. وقد قدمت الأسماء على الأفعال، ثم قفوتهما بالأفعال مبوبة على مراتبها. الأولى فالأولى، واستعرت ألقاب هذه الكتب والأبواب من العربية اصطلاحا، لمعرفة الناس بها، ولقد تخالج في صدري أن أبني الكتاب كما بنى الخليل، وأذكر المستعمل والمهمل معا، لأُعلم أن لغات الترك تجاري العربية كفرسي رهان..»[٢].

لم يبالغ الكاشغري فيما قال: عن كتابه؛ لأن الأثر العربي واضح فيه من المقدمة إلى الخاتمة، ولا يحتاج إلى بيان، حيث يدافع الكاشغري عن النحو العربي في مقدمة كتابه ويبين ضرورته وأهميته للدين، ودراسته بصورة تذكرنا بمقدمات كتب النحو العربي. كما يتضح الأثر العربي أيضا في الشرح المستفيض للأصل الثلاثي والرباعي للألفاظ التركية والتي

---

(١) Agah Sirri Levend , Turk Dilinde Sadeleşme Evreleri. Sh.3.
القواعد الأساسية للغة التركية، د/ إبراهيم الداقوقي، مطبوعات الجامعة المستنصرية، بغداد عام ١٩٨٥، ص:١١.

(٢) ديوان لغات الترك، ج١/ص:٣-٤-٥بتصرف.

اقتبسه الكاشغري عن اللغة العربية، إضافة إلى لجوئه إليها لكي يستمد منها الحجة والدليل لإثبات صحة آرائه؛ لأن لغات الترك "تجاري العربية كفرسي رهان" على حد قوله في المقدمة التي يعترف فيها بأنه أراد أن يبني كتابه كما بنى الخليل كتاب (العين) من حيث ذكر المستعمل والمهمل، غير أنه عاد إلى بناء كتابه وفق أسس جديدة تلائم اللغة التركية من حيث المستعمل وإهمال المهمل طلبا للاختصار.

ولعل خير ما يؤكد الأثر البعيد للنحو العربي في فكر محمود الكاشغري، تلك الثروة الهائلة من اصطلاحات النحو العربي التي استخدمها في كتاب (ديوان لغات الترك) كالإعلال والمجاز والتصريف وأقسام الكلام الثلاثة: الاسم والفعل والحرف، ثم الفاعل والمفعول به والاسم بنوعيه: المفرد والجمع، والإضافة بضربيها: اللفظية والمعنوية، والتمييز والمصدر وغيرها. حتى يكاد يؤكد الباحث والدارس لهذا الكتاب، إنه كتاب نحو عربي في منهجيته واصطلاحاته وقواعده. سوى أن الأمثلة التي أوردها المؤلف على ذلك كله، كانت من اللغة التركية والتراث الاجتماعي التركي؛ لأنه تحدث في كتابه الموسوعي عن الأتراك وقبائلهم وبطون تلك القبائل وعاداتهم وتقاليدهم وأمثالهم الشعبية وأعيادهم، مما يشكل كنزا ضخما لِلْفُلْكُلُورْ التركي والحياة الاجتماعية للأتراك حتى القرن الحادي عشر الميلادي.

ولم يقتصر تأثير اللغة والثقافة العربيتين على اللغة التركية فحسب، وإنما غزتا الثقافة التركية بشكل عام، فدخل الكثير من المفردات العربية إلى اللغة التركية مما يضيق المجال بذكرها.

المبحث السادس: سقوط الدولة القراخانية وانهيارها.

أولا: خصائص الدولة القراخانية.

كان بروز هذه الدولة الإسلامية في موطن الأتراك بشارة خير لإسلام القبائل التركية، وانتشار الإسلام في كافة أنحاء البلاد وخارجها. وقد بقي القراخانيون يحكمون بلاد ما وراء النهر مستقلين دون أن يخضعوا لأية قوة خارجية، سوى مبايعتهم للخلافة العباسية، حتى عام (٤٨٢هـ/١٠٨٩م)(١).

وكان خلفاء بني العباس لا يتدخلون في شئون القراخانيين لثقتهم بهم. وقد حقق القراخانيون خلال مدة حكمهم إنجازات كثيرة: من الحفاظ على العقيدة الصحيحة وإخماد الفتن، وإعداد جيل يذود عن حياض الإسلام، ويمكن تلخيص تلك الخصائص فيما يلي:

١- استطاعت الدولة القراخانية أن تكون مميزة محافظة على المذهب السني في تركستان الشرقية والغربية، وتولت نشر المذهب الحنفي، فصار المذهب الحنفي هو السائد في آسيا الوسطى.

٢- حافظت الدولة على الهوية الحضارية الإسلامية لآسيا الوسطى، ودفعت بالعنصر التركي بمختلف قبائله للمشاركة في الدولة كجند أو إداريين.

٣- شهد عصر الدولة القراخانية ازدهارا علميا في المجالات الشرعية والعصرية، بتشجيع من ملوك الدولة.

٤- أعاد القراخانيون عمليات الجهاد الإسلامي ونشر الإسلام من جديد، ففتحوا مناطق البوذيين، مثل: مدينة ختن، وطورفان(٢)، وكوچار(١).

---

(١) الفتوحات الإسلامية لبلاد الهند والسند وتاريخ الدولة الإسلامية في المشرق حتى الغزو المغولي، سعد بن محمد الغامدي. بدون ناشر، الرياض، عام ٢٠٠٠م، ص:٣٦٥.

(٢) وهي مدينة تقع شرق أورمجي (عاصمة تركستان) وكانت عاصمة لدولة إدِيقوتْ البوذية. وهي غنية بأنواع فاكهة العنب حاليا، تشتد الحرارة في الصيف، وفيها رمال يستشفي بها الناس لمرض روما تيزم، كما أنها مركز مواصلات يربط المناطق الصينية بمنطقة تركستان، ومدينة رئيسة على طريق الحرير القديم، وكانت المدينة في القديم مركزا لتبادل الثقافات الشرقية والغربية والأديان. تعريف

٥- اهتم الحكام القراخانيون ببناء المدارس الإسلامية والمساجد في كافة أنحاء البلاد.

ثانيا: سقوط الدولة القراخانية.

جاورت الدولة القراخانية وعاصرت كلا من الدولة السامانية والغزنوية والسلاجقة، ودولة الأويغور الثانية (إِدِيْقُوتْ) ودخلت مع الجميع في علاقات ودية أحيانا وصراعات حينا آخر، كان من أخطرها الصراعات مع دولة السلاجقة والخوارزمية التي أدت إلى نهاية الدولة القراخانية.

عوامل سقوط الدولة القراخانية

شهدت الدولة في أيامها الأخيرة أحداثا خطيرة في تاريخها، من الاضطرابات الداخلية في أمنها، بسبب الفساد المستشري في الدوائر الحكومية، والعصيان المستمر من بعض الشعب، والتنافس المتناحر على السلطة من قبل بعض الأمراء، مما أدى إلى الهيمنة الخارجية على الدولة، وتسببت تلك الهيمنة إلى التعجيل في سقوطها، ويمكن تقسيم تلك العوامل إلى الداخلية والخارجية:

أ. عوامل داخلية.

تمثلت العوامل الداخلية في سقوط الدولة في الصور التالية:

١- التنافس على السلطة بين أبناء الأسرة الحاكمة.

لقد وقع التنافس على السلطة بين أفراد الأسرة المالكة بعد موت الملك طغان خان[٢]،

=

الطالب الباحث.

(١) مدينة تقع في شمال كاشغر، وكانت تمسى قديما كوسَنْ، وكانت إحدى مراكز البوذيين، ومازال فيها معابد وآثار للبوذيين، وفيها جبال شاهقات وطرق منحدرة مخيفة، لايسلكه إلا الخريت. تعريف الطالب الباحث.

(٢) اسمه أحمد بن علي خان بن موسى بن ستوق بغراخان، يقال له: طغان خان أيضا. تولى ملك تركستان بعد وفاة أخيه نصر بن علي أيلك خان عام (٤٠٣هـ/١٠١٣م)، توفي عام ٤٠٨هـ. ينظر: المختصر في أخبار البشر، ج٢/ص:١٢٩. سير أعلام النبلاء، ج١٧/ص:٢٧٨. الكامل،

عام (٤٠٨هـ/١٠١٨م)، وملك بعده أَخُوهُ أَبُو الْمُظَفَّرِ أرسلان خان[١]، وَلَقَبُهُ شَرَفُ الدَّوْلَةِ، فَخَالَفَ عَلَيْهِ ابن عمه قَدْرُ خَانَ يُوسُفُ صاحب بخارى، فَكَاتَبَ يَمِينَ الدَّوْلَةِ محمود الغزنوي يَسْتَنْجِدُهُ عَلَى أرسلان خان، فأجاب محمود وَأَعَانَهُ عَلَى أرسلان خان. فسرعان ما اصْطَلَحَ قَدْرُ خَانَ وَأرسلان خان، وعاد محمود الغزنوي إلى بلاده[٢].

ثم نشب الخلاف أيضا: بين أبناء الملك قدرخان يوسف وهما: أبو شجاع أرسلان خان، ومحمد بُغْرَا خَان بْن قَدْرَ خَان، وَكَانَ للأول: مُلْكُ كاشغر وختن وبلاساغون، وللثاني: مُلْكُ طِرَاز وَإِسْبِيجَاب،[٣] تَحَارَبَ الأخوان وانْهَزَمَ أرسلان خان وَأُخِذَ أَسِيرًا، فَأُوْدِعِ فِي الْحَبْس، وَمَلَكَ بغراخان بِلَادَهُ. ثُمَّ عَهِدَ بُغْرَا خَان بِالْمُلْكِ لِوَلَدِهِ الْأَكْبَرِ حُسَيْن جَغْرِي تِكِينَ، وَجَعَلَهُ وَلِيَّ عَهْدِهِ، وَكَانَ لِبَغْرَا خَانَ امْرَأَةٌ من قبيلة النايمان، لَهُ مِنْهَا وَلَدٌ صَغِيرٌ اسمه إبراهيم، فَغَاظَهَا ذَلِكَ، فَعَمَدَتْ إِلَيْهِ وَسَمَّتْهُ فَمَاتَ هُوَ وَعِدَّةٌ مِنْ أَهْلِهِ، وَخَنَقَتْ أَخَاهُ أرسلان خان، وَقَتَلَتْ وُجُوهَ أَصْحَابِهِ، وَمَلَّكَتِ ابْنَهُ إِبْرَاهِيمُ، وَسَيَّرَتْهُ فِي جَيْشٍ إِلَى مَدِينَة بَرْسُخَانَ، فَظَفِرَ بِهِ صَاحِبُهَا (يَنَالْتَكِينُ) وَقَتَلَهُ، وَانْهَزَمَ عَسْكَرُهُ إِلَى أُمِّهِ، وَاخْتَلَفَ أَوْلَادُ بُغْرَا خَانَ، فَقَصَدَهُمْ طفغاج خان صَاحِبُ سَمَرْقَنْدَ واستولى على بعض أراضيه[٤].

=

ج٧/ص:٥٨٩. تاريخ ابن خلدون، ج٤/ص:٤٨٧.

(١) اسمه منصور بن علي موسى بن ستوق بغرا خان، تولى الملك بعد وفاة أخيه أحمد طغان خان، ثم تنازل لابن عمه يوسف قدرخان درءا للفتنة، عام (٤١٦هـ/١٠٢٥م) المختصر في أخبار البشر، ج٢/ ١٥٠. تاريخمزديكي خاقانلا، ص:١٨١-١٨٢.

(٢) الكامل، ج٧/ص:٦٤٣، بتصرف. وينظر: البداية والنهاية، ج١٥/ص:٥٧٣. وينظر: قه ديمكي ئويغورلا وه قاراخانيلا، ص:٢٤٧.

(٣) ويقال: أَسْفِيجَاب أيضا، بلدة كبيرة من أعيان بلاد ما وراء النهر.. من أعمر بلاد الله وأنزهها وأوسعها خصبا وشجرا ومياها جارية، وأهلها أهل دين وصلاح وعبادة.. يحفظون حدوده ويلتزمون شروطه، لم تظهر فيهم بدعة. معجم البلدان، ج١/ص:١٧٩.

(٤) الكامل، ج٧/ص:٦٤٤. المختصر في أخبار البشر، ج٢/ص:١٦٨. تاريخ ابن خلدون، ج٤/ص:٥١٥-٥١٦.

كما نشب خلاف بين شمس الملك (ملك ما وراء النهر) وبين طغرل قراخان[١] بن قدرخان يوسف، يؤازره ابن أخيه حسن بن سليمان، وَقَارَبَا سَمَرْقَنْدَ قاصدين شمس الملك فَلَمْ يَظْفَرا به فَصَالَحَاهُ وَعَادَا، فَصَارَتِ الْأَعْمَالُ الْمُتَاخِمَةُ لِجَيْحُونَ لِشمس الملك، وَأَعْمَالِ الْخَاهِرَ فِي أَيْدِيهِمَا، وَالْحَدُّ بَيْنَهُمَا خُجَنْدَةُ[٢]، وهذا يعني أن الأمير شمس الملك قد تنازل عن فرغانة، وعن أراضي بلاد ما وراء النهر[٣].

٢- ضعف بعض حكام الدولة.

مع ضعف حكام الدولة القراخانية وتزايد صراعاتها الداخلية والخارجية فقدت الدولة الكثير من قوتها وتماسكها. وانتهز القراخطاي مهاجمتها واستولوا على بلاساغون وجعلوها عاصمة لهم، كما انتهزوا فرصة تمرد حاكم ختن على سلطة الخان الأعلى في كاشغر واشتعال الحرب بينهما، فهاجموا كاشغر وختن وسقطت الدولة القراخانية الشرقية في يد القراخطاي عام ٥٢٢هـ/١١٢٨م، وفر الخان الأعلى وحكام الأقاليم إلى المناطق الخاضعة للدولة القراخانية الغربية. واضطروا طلب العون من السلاجقة والخوارزم، وهؤلاء استغلوا هذه الفرصة لبسط نفوذهم على القراخانيين[٤].

٣- انقسام الدولة إلى ولايات صغيرة مستقلة لا تخضع لحاكم المركز.

---

(١) هو محمود بن يوسف قدرخان، ولقبه طغرل قراخان أو طغرل خان، تولى الملك عام (٤٥١هـ/١٠٥٩م) حاول توحيد البلاد من الانقسام وهاجم على ملك بلاد ما وراء النهر (شمس الملك) مرات عدة، ثم رضي بتنازل شمس الملك عن بعض أرضه حقنا للدماء، وتوفي (٤٦٦هـ/١٠٧٤م). ينظر: الكامل لابن الأثير، ج٧/ص:٦٤٦. تاريخمسزديكي خاقانلا، ص:١٨٦.

(٢) وهي بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ سيحون، بينها وبين سمرقند عشرة أيام، وهي مدينة نزهة ليس بذلك الصّقع أنزه منها ولا أحسن فواكه، وفي وسطها نهر جار، والجبل متصل بها. معجم البلدان، ج٢/ص:٣٤٧.

(٣) ينظر: الكامل، ج٧/ص:٦٤٥. تركستان لبارتولد، ص:٤٦٣.

(٤) ينظر: الكامل، ج٧/ص:٦٤٤-٦٤٦. وج١٠/ص:٢٥٢. قه دىمكي ئويغورلا وقاراخانيلا، ص:٤٥٣-٤٥٤.

بدأ الانقسام الداخلي في الأسرة المالكة في بداية القرن الرابع الهجري، حين رفض يوسف قدرخان الاعتراف بمنصور أرسلان خان رأسا لهذه الأسرة، وبدأت المنازعات تجتاح الدولة القراخانية في أعقاب وفاة يوسف قدرخان سنة (٤٢٣هـ/١٠٣٢م)، وبدأ محمد[١] وإبراهيم[٢] ابنا نصر (أبو الحسين نصر الأول) في السعي إلى الملك، ومكن محمد لنفسه بأوزكند[٣] كخان أكبر، ومنافسا لسليمان بن قدرخان يوسف أكبر أعضاء الأسرة الحاكمة سنا، والذي كان يقيم بختن وكاشغر.

بينما مكن إبراهيم لنفسه بسمرقند كخان مشارك، حتى آل الأمر في سنة (٤٣٣هـ/١٠٤٢م) إلى انقسام الخانية الكبرى إلى دولتين، بحيث صارت هناك خانية غربية ومركزها بخارى، وتضم ما وراء النهر وغربي فرغانة حتى خوقند. وكان يحكم هذه الخانية أحفاد الخاقان الكبير علي بن موسى، أو ما يطلق عليه الفرع العلوي.

أما الخانية الثانية فهي الخانية الشرقية، ومركزها أحيانا كاشغر كمركز للدين والثقافة، وأحيانا بلاساغون من ناحية السياسية والعسكرية، وشملت هذه الدولة طراز وإسبيجاب والشاش وشرقي فرغانة، وكان يحكم هذه الخانية أحفاد حسن أو هارون بغرا، وعرف هذا

---

(١) محمد بن نصر بن علي بن موسى بن ستوق بغراخان، نصب نفسه حاكما في المناطق التي سيطر عليها، عام (٤٣٤هـ/١٠٤٣م) وحكم إلى عام (٤٤٤هـ/١٠٥٢م)، لم أقف على ما حدث في أيامه من حوادث وإنجازات. ئويغور نامه، ص:٢١٥.

(٢) هو أَبُو الْمُظَفَّرِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ نَصْرٍ أَيْلَكَ يُلَقَّبُ عِمَادَ الدَّوْلَةِ، (طفغاج خان) وكان أبوه نصر هو الذي ضم بلاد ما وراء النهر إلى الدولة القراخانية بعد بغراخان، وكان زَاهِدًا وَمُتَعَبِّدًا، فَلَمَّا مَاتَ وَرِثَهُ ابْنُهُ طُفْغَاجُ، وَمَلَكَ بَعْدَهُ عام (٤٤٤هـ/١٠٥٢م)، وَكَانَ طُفْغَاجُ مثل أبيه مُتَدَيِّنًا لَا يَأْخُذُ مَالًا حَتَّى يَسْتَفْتِيَ الْفُقَهَاءَ، ومن ورعه عزم على ترك الملك والتنازل عنه، لكنه استمر عليه بعد إلحاح من أهل الحل والعقد في البلاد، ثم تنازل عنه في آخر حياته لابنه شمس الملك، عام (٤٦٠هـ/١٠٦٨م). الكامل، ج٧/ص:٦٤٤-٦٤٥. ئويغور نامه، ص:٢١٥.

(٣) بلد بما وراء النهر من نواحي فرغانة، ويقال: أوزجند، ولها سور وقلاع وعدّة أبواب وإليها متجر الأتراك، ولها بساتين ومياه جارية، ينسب إليها جماعة من أهل العلم. معجم البلدان، ج١/ص:٢٨٠.

الفرع بالحسنيين.

وبعد انقسام الدولة إلى فرعين زالت هيبتها الأولى، وخضعت في الحقب التاريخية التالية للهيمنة والنفوذ لفترات طويلة، من جانب بعض الدول الأخرى القوية، كالسلاجقة والخوارزم والخطا الصيني والنايمان. حتى كادت الدولة الشرقية أن تنقسم بسبب الانشقاق والمنافسة على السلطة، لكن شرف الدولة أَقْنَعَ إِخْوَته وَأَقَارِبه بِالطَّاعَةِ، وَقَسَمَ الْبِلَادَ بَيْنَهُمْ تفاديا للعصيان والانشقاق، عام (٤٣٥هـ/١٠٤٤م)، فَأَعْطَى أَخَاهُ أرسلَانَ تِكِينَ كَثِيرًا مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ، وَأَعْطَى أَخَاهُ بغراخان طِرَازَ وَإِسْبِيجَابَ، وَأَعْطَى عَمَّهُ طُغَاخَانْ فَرْغَانَةَ بِأَسْرِهَا، وَأَعْطَى ابْنَ عَلِيٍّ تِكِينَ- وهو طفغاج خان- بُخَارَى وَسَمَرْقَنْدَ وَغَيْرَهُمَا، وَقَنِعَ هُوَ بِبَلَاسَاغُونَ وَكَاشْغَرَ[١].

٤- جور بعض الحكام وإهمال شئون الرعية.

مما عجل انهيار الدولة القراخانية حدوث ظلم من قبل بعض الحكام، حيث كَثُرَ الظلمُ على الناس في سمرقند في عهد الأمير أحمد خان بن خضر خان عام (٤٨٢هـ/١٠٩٠م)، وَكَانَ صَبِيًّا ظَالِمًا، قَبِيحَ السِّيرَةِ، يُكْثِرُ مُصَادَرَةَ الرَّعِيَّةِ، فَنَفَرُوا مِنْهُ وَكَتَبُوا إِلَى السُّلْطَانِ ملكشاه سِرًّا يَسْتَغِيثُونَ بِهِ، وَيَسْأَلُونَهُ الْقُدُومَ عَلَيْهِمْ لِيَمْلِكَ بِلَادَهُمْ.. فَتَحَرَّكَتْ دَوَاعِي السُّلْطَانِ إِلَى مَلْكِهَا، فَسَارَ مِنْ أَصْبَهَانَ إلى سمرقند وحاصر البلد وضيق على أحمد خان حتى قبض عليه. وعين على سمرقند أَبَا طَاهِرٍ عَمِيدَ خَوَارِزْمَ واليا[٢].

وهذا ما أحدث فجوة في التماسك، وتسرب التفكك تدريجيا بين أهل البلاد بسبب التفكك والانشقاق في الأسرة المالكة.

ب. عوامل خارجية:

تمثلت العوامل الخارجية في إسقاط الدولة القراخانية في الصور التالية:

١- الصراع مع الدول المجاورة المعاصرة.

---

(١) ينظر: الكامل، ج٨/ص:٤٥. نقود القراخانيين في آسيا الوسطى، أ.د/عاطف منصور محمد رمضان، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة – مصر، ط: الأولى، ٢٠١٥م، ص:٣٠-٣١.

(٢) ينظر: الكامل، ج٨/ص:٣٢٤-٣٢٦. البداية والنهاية، ج١٦/ص:١١٣.

كانت الدولة القراخانية في صراع مع الدولة السامانية منذ القدم، وكان الأمير إسماعيل بن أحمد أغار على أرض الترك سنة (٢٨٦هـ/٨٩٩م) واستولى على مدينة طراز، وأسر خاتون زوجة الملك، وأسر خمسة عشر ألفاً من الترك وقتل منهم عشرة آلاف[١].

لذا علاقة القراخانيين بالسامانيين كانت علاقة عدائيا، أكثر من غيرها تماشيا مع سياستهم التوسعية على حساب الآخر من الطرفين، حتى سابق القراخانيون بإطاحة السامانيين نهائيا بقيادة الملك إيلك خان في الثاني والعشرين من ذي الحجة عام (٣٨٩هـ/٩٩٨م) وبذلك دالت دولة السامانيين[٢].

حيث تواطأت الدولتان: القراخانية والغزنوية، على مقاسمة أملاك السامانيين في بلاد ما وراء النهر واعتبر نهر جيحون(أموداريا) الحد الفاصل بين أملاك الدولتين، ومن ثم بدأت تشتهر الدولة القراخانية بين الدول في العالم، حيث ظهرت كدولة إسلامية مستقلة ذات سيادة ونفوذ لا تخضع لسيادة دولة أخرى[٣].

كما أن علاقة القراخانيين مع الغزنويين كانت تتسم بروح العداء أيضا، حيث دخلوا في صراع مع الغزنويين منذ سنة(٣٩٧هـ/١٠٠٨م). ولم تتمكن إحدى الدولتين التغلب على الأخرى، بل أوهن الصراع الطرفين معا وأسرع بالأخرى الإنهيار، وهي الدولة الغزنوية[٤].

٢- نفوذ السلاجقة السياسي والخوارزم شاه والقراخطاي على الدولة القرخانية.

يُعد عام (٤٢٩هـ/١٠٣٨م) البداية الفعلية لقيام السلطنة السلجوقية في خراسان؛ لأن طغرل بك باشر، منُذ ذلك التاريخ مهامه السياسية والقيادية والإدارية. وكانت علاقة السلاجقة مع القراخانيين قائمة على أساس تبادل المنافع والمصالح السياسية، لذلك نجدها تارة مستقرة وأخرى مضطربة. وذلك بسبب إعانة السلاجقة السامانيين في حربهم مع

(١) ينظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي، ج٤/ص:١٥٦.

(٢) تاريخ بخارى، لأبي بكر محمد بن جعفر النرجشي، تعريب: د/ أمين عبد المجيد البدوي ونصر الله مبشر الطرازي، دار المعارف – القاهرة، ط: الثالثة، عام١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ص:١٥٦.

(٣) تاريخ بخارى للنرجشي، ص:١٥٣-١٥٥. وينظر: قه دىمكي ئويغورلا وه قاراخانيلا، ص:٢٤٩.

(٤) الكامل، ج٧/ص:٥٤٥، وص:٦٤٣. تاريخ بخارى للنرجشي، ص:١٥٦-١٥٧.

القراخانيين[١].

وكان القراخانيون مغتاظين من هذا الموقف للسلاجقة، لذلك كانت السلاجقة يحاولون على إثارة النزاع بين أفراد الأسرة القراخانية، وتوهين شوكتهم لئلا يتمكنوا من الانتقام منهم، وحرضوا بعض القراخانيين على بعض للاستفادة من الصراعات السياسية بينهم، حتى بسطت السلاجقة نفوذهم تدريجيا على بخارى وسمرقند سنة (٤٨٢هـ/١٠٨٩م)[٢].

وبعد قيام السلاجقة بفرض هيمنتهم على بخارى وسمرقند، أصبحوا يقومون بعزل وتولية الأمراء من الأسرة الخانية، حتى قتل سنجر قدرخان بن جبرائيل[٣] صاحب ما وراء النهر سنة (٤٩٥هـ/١١٠٢م)، وملَّك مكانه أرسلان خان[٤] بن سليمان بغراخان[٥].

ثم تحول الحكام القراخانيون بعد عام (٥٣٥هـ/١١٤١م) عن وصاية السلاجقة إلى وصاية القراخطاي. وسبب ذلك أن القراخطاي كانوا طلبوا الإذن من ملك البلاد للعبور إلى جهة أخرى، فلما دخلوا استقروا بنواحي كاشغر وأوزْكَنْد وبَلاسَاغُون. وطالت أيّامهم وثقُلَت وطْأتهم عَلَى أهلها، مستغلين ضعف الولاة في البلاد وفرضوا هيمنتهم عليهم. وأصبح أمراء

(١) تاريخ بخارى للنرجشي، ص:١٤٨-١٤٩. تاريخ ابن خلدون، ج٤/ص:٤٧٢. تركستان لبارتولد، ص:٤٠٧-٤٠٩. قه دىمكي ئويغورلا وه قاراخانيلا، ص:٢٤٨.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، ج١٦/ص:١١٢. تاريخ الإسلام للذهبي، ج٣٣/ص:٨-٩.

(٣) قدرخان بن جبرائيل بن عمر بن أحمد، المعروف بـ قدرخان الثاني، خرج على ملك ما وراء النهر (محمد أرسلان خان بن سليمان) وانتزع الملك منه، عام (٤٩٠هـ/١٠٩٦م) وقتل بعد خمس سنوات من حكمه على يد السطان السلحوقي سنجر. تاريخ الإسلام للذهبي، ج٣٦/ص:٢١٧. القراخانيون، أ.د/سعاد الطائي، ص:١٥٨.

(٤) هو مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ بَغْرَاخَانَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ نَصْرِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى بْنِ ستوق بغراخان، وأرسلان خان لقبه، حكم بلاد ما وراء النهر من عام (٤٩٥هـ/١١٠٢م) إلى عام (٥٢٦هـ/١١٣٢م)، ثم عزله سنجر ومات في بلخ. الكامل، ج٩/ص:١١٦. ئويغور نا مه، ص:٢١٥.

(٥) تاريخ ابن خلدون، ج٤/ص:٥٢٠.

المناطق مقهورين معهم، فلما شق ذلك عليهم، كاتبَ الخان القراخاني السلطان عثمان[١] علاء الدين محمد بن خوارزم وطلبَ منه النَّجدةَ سنة (٦٠٤هـ/١٢٠٨م)، ومن ثَمَّ صار الحكام القراخانيون إلى وصاية الخوارزمشاهات. وفي عام (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م) قام الخوارزمشاه بقتل آخر حكام القراخانيين السلطان عثمان إثر خلاف نشب بينهما[٢].

وبهذا انتهت الدولة القراخانية نتيجة الانقسام الداخلي شرقية وغربية، فلو بقيت متماسكة وموحدة لما احتاجت إلى الاستعانة بالقوى المنافسة لها، كالسلاجقة والخوارزم شاهات، والقوى المعادية عليها كالقراخطاي، ولو لا ذلك لبقيت حصنا حصينا للإسلام والمسلمين.

ولما سقطت الدولة القراخانية وقعت في البلاد الطامة، كما يقول القزويني: «بلاد ما وراء النهر، يراد به ما وراء نهر جيحون. من أنزه النواحي وأخصبها وأكثرها خيراً.. هواؤها أصح الأهوية، ومياهها أعذب المياه وأخفها.. وبلادها بخارى وسمرقند وجند وخجند. وأهلها أهل الخير والصلاح، في الدين والعلم والسماحة.. وهمة كل امرىء منهم على الجود والسماح فيما ملكت يده من غير سابقة معرفة أو توقع مكافأة»[٣].

ثم يحكى عن الإصطخري «أنه نزل منزلاً بالصغد، فرأى داراً ضربت الأوتاد على بابها، فقالوا: إن ذلك الباب لم يغلق منذ زيادة على مائة سنة، ولم يمنع من دخوله واصل ليلاً ولا

---

(١) اسمه عثمان بن إبراهيم بن الحسن قلج طمغاج خان، تولى الحكم عام (٦٠٠هـ/١٢٠٤م) كان من أحسن الناس صورة حتى أهل خوارزم كانوا يجتمعون لرؤيته، وكان سياسيا محنكا، لكن اضطراب الأوضاع في البلاد كان فوق طاقته، وقتل على يد الخوارزم وهو يدافع عن البلاد، على إثر خلاف نشب بينهما عام (٦٠٠٩هـ/١٢١٢م)، وبموته انتهى عهد الدولة القراخانية. الكامل، ج١٠/ص:٢٥٨. ئويغور نامه، ص:٢١٥.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي، ج٤٣/ص:١٥-١٦. تاريخ ابن خلدون، ج٤/ص:٥٢٣. وينظر: قه دىمكي ئويغورلا وه قاراخانيلا، ص:٢٦٩-٢٨٦.

(٣) ينظر: آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني، دار صادر – بيروت، عام ١٤٢٥هـ، ص:٥٥٧.

نهاراً! والغالب عليهم بناء الرباطات وعمارة الطرق، والوقف على سبيل الجهاد وأهل العلم، وليس بها قرية ولا منهل ولا مفازة إلا وبها من الرباطات ما يفضل عن نزول من طرقه. وقال: بلغني أن بما وراء النهر أكثر من عشرة آلاف رباط، في أكثرها إذا نزل الناس به طعام لهم وعلف لدوابهم إن احتاجوا.. ولم يزل ما وراء النهر على هذه الصفة إلى أن ملكها خوارزم شاه بعد طرد الخطا عنها، وقتل ملوكها المعروفين بالخانية.. فلما استولى على جميع النواحي عجز عن ضبطها، فسلط عليها عساكره حتى نهبوها وأجلى الناس عنها، فبقيت تلك الديار التي وصفت بالجنان لحسنها خاوية على عروشها، ومياهها مندفقة معطلة، وقد ورد عقيب ذلك عساكر التتر في سنة سبع عشرة وستمائة وخربوا بقاياها»[١].

وقد كان القراخانيون سدا منيعا بين الأمة الإسلامية وبين المغول، حيث كانوا يؤدون الْأتاوة إلى الخطا احتماء بهم من شر المغول. التصرف الرعونة من قبل الخوارزم شاه، تسبب في جلب البلاء للدولة القراخانية وللأمة الإسلامية في العالم، حيث إنه لم يكتف بقتل السلطان القراخاني، بل أَبَاد من حوله من الملوك، وأَخْلى البلاد منهم، واستولى عَلَى الْأقاليم، لينفرد بالملك، وبالفعل دانت له الممالك، فلما ملك سولت له نفسه أن يتشبّه بالإسكندر، وأصبح شديد الإعجاب بنفسه، أوجب لَهُ ذَلِكَ أن يستبدّ برأيه، ويُنكّب عن ذكر العواقب جانبًا، وتركَ غزو الكُفَّار، وأخذَ يتصدّى لِقَلْب الخلافة في بَغْدَاد، ليجعلها سرير مُلكه، ويحكم منها عَلَى سائر بلاد العرب والعجم، فأفسد الْأمور بإساءة التدبير، فَكَانَ ذَلِكَ سببًا لهلاكه، ومات طريدا مشردا. قَالَ الذهبي نقلا عن الموفق: «وقد عُلم بالتّجربة والقياس أن كل ملكٍ لَا يكون قصده إقامة وبسط العدل والعمارة فَهُوَ وشيك الزوال»[٢].

(١) المرجع السابق، ص: ٥٥٨، بتصرف.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي، ج١٣/ص:٥١٥.

الفصل الأول

جهود العلماء القراخانيين في نشر الدعوة ومراحل دعوتهم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: جهودهم في الدعوة في تركستان وبلاد ما وراء النهر.

المبحث الثاني: مراحل الدعوة في عهد الدولة القراخانية.

المبحث الأول: جهودهم في الدعوة في تركستان وبلاد ما وراء النهر.

أولا: جهود العلماء في نشر الإسلام في تركستان الشرقية.

لقد بذل العلماء والدعاة إلى الله جهوداً في نشر الإسلام في الدولة القراخانية بمساندة من الأمراء، فأثمرت جهودهم وانتشر الإسلام في آفاق البلاد. ويُعد العالم الرباني أبو نصر الساماني - (الأمير إلياس بن إسحق بن أحمد الساماني) — أول من قام بنشر الإسلام في المنطقة، حيث بدأ نشاطه الدعوي فيها منذ وصوله إليها لاجئا من الدولة السامانية، على إثر خلاف بين أعضاء الأسرة المالكة في تولي السلطة، بعد مقتل الأمير أحمد بن إسماعيل الساماني. وكان قد رافق دخول الإسلام في المنطقة عند فتحها على يد القائد الباسل المجاهد قتيبة بن مسلم الباهلي رحمه الله، ولكن لم ينتشر كما يستحق، لعدم استقرار المجاهدين في المنطقة بسبب وفاة الخليفة وليد بن عبد الملك، ومقتل القائد قتيبة بن مسلم الباهلي، وعدم وجود عالم مؤهل للدعوة في المنطقة(١).

مع وصول أبي نصر إلى مدينة كاشغر وسماح أمير البلاد- أوغولچاق- له ببناء مسجد، بدأ الناس يتعرفون على الإسلام ويدخلون فيه شيئا فشيئا حتى كثر سواد المسلمين بإسلام ولي العهد للبلاد، الأمير ستوق بغراخان(٢)، وكان لإسلامه أثراً عظيماً في المجتمع التركستاني، مثل: إسلام عمر بن الخطاب ﵁ في مكة، وعن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: «والله ما استطعنا أن نصلي عند الكعبة ظاهرين حتى أسلم عمر»(٣).

---

(١) ينظر: زين الأخبار للكرديزي، ص:١٧٣. تركستان لبارتولد، ص:٣٠٤-٣٠٥. هونلارنك قسقـچه تاريخي (ئويغورلار)، تورغون ئالماس، ص:٤٩٤-٤٩٥.

(٢) ينظر: قه دىمكى ئويغورلا وه قاراخانىلار، ص:٢٣٥. ستوق بغراخان، سيف الدين عزيزي، ص:٥٥ وما بعدها.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك، ج٣/ص:٩٠، حديث رقم:٤٤٨٧. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وللطبراني قَالَ عَبْدُ اللهِ: «إِنَّ إِسْلَامَ عُمَرَ كَانَ فَتْحًا، وَإِنَّ هِجْرَتَهُ كَانَتْ نَصْرًا، وَإِنَّ إِمَارَتَهُ كَانَتْ رَحْمَةً، وَاللهِ ما استطعنا أن نصلي عند الكعبة ظاهرين حتى أسلم عمر» المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار

واعتز المسلمون بإسلام الأمير ستوق بغراخان، وصار من كان يتستر بإسلامه يشهره بين الملأ بلا رعب من أحد، وأصبح ستوق بغراخان يحمل هموم الدعوة منذ إسلامه فباشر الدعوة، وبدأ بالأقربين منه من أعوانه، فلبوا دعوته وصاروا سندا له في نشر الإسلام، ثم توجه الأمير مع إخوانه العلماء إلى دعوة عامة الناس في مملكته، حيث اجتهد فيهم وجاهدهم لإقناعهم على قبول الإسلام، وشد عضده أيضا وصول عدد من العلماء من خراسان وأفغانستان عونا له حتى انتشر الإسلام بجهودهم في عديد من مدن البلاد، مثل: كاشغر، وياركند(١)، وكوچا، وقراشَهَرْ(٢)(٣).

وهكذا سخر البطل المجاهد حياته لنشر الإسلام بالدعوة والجهاد، حتى وافته منيته، بعد أن ترك جيلا صالحا يحذو حذوه. وبعد وفاته تولى الحكم ابنه الأكبر موسى بن ستوق إلا أن ولايته لم تدم طويلا وتوفي بعد سنتين من إمارته ٩٥٦-٩٥٨م، مع قصر مدة حكمه حقق نجاحا باهرا في الدعوة، حيث طبق الشريعة الإسلامية، وواصل الجهاد، وأخضع المتمردين على بلاده من أهل الجزية، وأسلم من البوذيين الأتراك مائتا ألف نسمة(٤).

ثم تولى الحكم بعد موسى، ابنه الثاني سليمان بن ستوق، من عام ٩٥٨-٩٧٠م، وزاد انتشار الإسلام في هذه المدة بين الأويغور والشعوب التركية الأخرى، حيث أسلمت سنة (٣٤٩هـ/٩٦٠م) مائتا ألف خيمة (أسرة) ما يقرب مليون نسمة من الأويغور الذين يعيشون في "يدي سو" أي (الأنهار السبعة) ووادي تاريم، وفي العام نفسه أعلن سليمان

=

إحياء التراث العربي، ط: الثانية: ١٩٨٣م، ج٩/ص:١٧٨، برقم:٨٨٠٦.

(١) مدينة بقرب كاشغر، يغلب على أهله التصوف، وكانت المدينة سابقا مركزا للدولة السعيدية، بعد خروج المغول من البلاد، عام (٩٢٠هـ/١٥١٤م). تعريف الطالب الباحث.

(٢) إحدى محافظات ولاية كورلا، وكانت إحدى المراكز القوية للبوذيين، نصف أهلها قومية المغول، وأهلها يعيشون على رعي الأغنام والخيول والثور الجبلي. تعريف الطالب الباحث.

(٣) ينظر: ئويغورنامه، ص:٢٠٢.

(٤) ينظر: غه ربي يورت تاريخمز دىكي خاقانلا، ص:١٧٥. قه دىمكي ئويغورلا وه قاراخانىلا، ص:٤٧٤.

أرسلان خان الإسلام دينا رسميا للدولة(١).

ومن بعد أولاد ستوق بغراخان، واصل المسيرة في الدعوة إلى الله أحفاده، كل من هارون بغرا، ويوسف قدرخان، وإبراهيم تفغاج خان، باصطفاف العلماء المعاصرين لهم معهم، مثل: حسين بن خلف جبريل الكاشغري، وأبو الفتوح عبد الغافر بن الحسين الألمعي الكاشغري الحافظ، ومحمود بن الحسين الكاشغري، ويوسف خاص حاجب البلاساغوني، وغيرهم من العلماء.

ثانيا: جهود القراخانيين في نشر الإسلام في بلاد ما وراء النهر.

بعدما انتصر القراخانيون على الوثنيين في تركستان الشرقية، وتمكنوا من نشر الإسلام في كافة أنحاء المنطقة، اتجهت أنظارهم إلى بلاد ما وراء النهر، لجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم، بالقضاء على الفساد الجاري في البلاد. ومما هيج القراخانيين على ذلك، أولا: الدافع الديني، في توحيد صف المسلمين، وثانيا: ما كان بينهم وبين السامانين من الصدام والاحتكاكات منذ القدم. كان الأمير إسماعيل بن أحمد الساماني هاجم على مدينة طراز - بلاد القراخانيين - وأسر زوجة الملك وخمسة عشر ألفاً من الترك، وقتل منهم عشرة آلاف، واستولى على المدينة عام (٢٨٠هـ/٨٩٣م)(٢). لذلك العلاقة بين الدولتين كانت متوترة بسبب الحروب، إلى أن أسلم الملك ستوق بغراخان، ثم تحسنت العلاقة بين الطرفين، حتى استعان السامانيون بالملك ستوق بغراخان على قتال الشيعة، فلبى دعوتهم وأنجدهم برجاله، وقابل السامانيون هذا الإحسان بابتعاث العلماء والدعاة إلى الدولة القراخانية، كما أمدوهم

---

(١) ينظر: تاريخ الأتراك في آسيا الوسطى وحضارتهم، تأليف: تورغون آلماس باللغة الأويغورية، تعريب: د/محمد جاد وآخرين تحت إشراف الأستاذة الدكتورة ماجدة مخلوف، دار تكلماكان الأويغوري، إسطنبول تركيا، ط: الأولى، عام ٢٠١٨م، ص: ٢٥٦-٢٥٧، بتصرف. وينظر: الكامل لابن الأثير، ج٧/ص: ٢٣٠.

(٢) ينظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي، ج٤/ص:١٥٦. تاريخ بخارى للنرجشي، ص:١٢٣. ئويغورلارنك قسقچه تاريخي، عزيز يوسف وآخرون، شنجانك خه لق نه شرياتي، ئورومچي، ط: عام ٢٠٠٦م، ص:١٣١-١٣٢.

في قتال البوذيين والمرتدين من الأتراك[١]. وامتدت هذه العلاقة الطيبة بين الدولتين إلى أمد بعيد، والقراخانيون غضوا الطرف عن استرداد أرضهم وتناسوا قضيتها لانشغالهم بما هو أهم منه، من تثبيت أركان دولتهم ومحاربة المشركين ونشر الإسلام في ديارهم. لكن لما بدأ الفساد المالي والإداري يستشري في الدولة السامانية بسبب الفتن والتنافس على السلطة، وزيادة الدولة الضرائب على الرعية، أصبح الناس يكرهون الحكام السامانيين ويبحثون الخلاص منهم. وفي أثناء ذلك دعت طائفة من وجوه القوم في بلاد ما وراء النهر ملك الدولة القراخانية هارون بغرا إلى المجيء إليهم وإنقاذ البلاد من الفتن والفساد وإزاحة السامانيين من السلطة. وعلى هذا الأساس تحرك القراخانيون صوب تركستان الغربية لإنهاء الفساد وجمع كلمة المسلمين في موطن الأتراك، حتى تم ضم البلاد عام (٣٨٣هـ/٩٩٣م)، لكن بسبب وفاة بغراخان لم تستقر سلطة القراخانيين في المنطقة، وإنما استقرت بعد بضع سنين في عهد الملك نصر بن إيلك خان[٢] عام (٣٨٩هـ/٩٩٨م)، وبذلك انتهى عهد السامانيين في بلاد ما وراء النهر نهائيا[٣].

وكان الأمراء السامانيون جهدوا في إقامة سلطة متينة البنيان، ونشر الإسلام في ربوع أراضيهم وحماية الطبقات الدنيا من الظلم والاضطهاد، وتشجيع الصناعة والتجارة والثقافة، لكنهم لم يقوموا بأية إصلاحات اجتماعية عميقة الجذور، لذالك لما اصطدمت أهدافهم السياسية بمقاومة الدهاقنة والحرس التركي، انحازت طبقة رجال الدين- إلى جانب

---

(١) ينظر: ئويغورلار، تورغون ئالماس، ص:٤٩٥. ئويغورلارنك قسقچه تاريخي، ص:١٣٥.

(٢) إيلك خان، اسمه الكامل: أبو نصر أحمد بن على، ولقبه شمس الدولة، وقيل: أبو الحسين نصر بن على الأمير السيد وناصر الحق، وهو الملك الخامس لآل أفراسياب الإيلكخانيون، وقد جلس على العرش عام ٣٨٣ هـ، وفى عام ٣٨٩ هـ حارب السامانيين، وتوفى عام ٤٠٠ هـ. حاشية زين الأخبار، ص:٢٥٠.

(٣) تاريخ بخارى للنرجشي، ص:١٥٣-١٥٦. زين الأخبار للكرديزي، ص:٢٣٢-٢٣٨. الكامل، ج٧/ص:٤٥٩-٤٦٠. تركستان لبارتولد، ص:٣٩٤-٣٩٥.

العسكريين الذين أبدوا ولاءهم للدولة القراحانية – وأفتوا بعدم جواز قتال القراخانيين.[١]

ذكره مسكويه عن أبي الحسين الفارسي وكان من أعيان التجار إذ جاء على لسانه قوله: «كنت ببخارا حين وردت عساكر الخانية فصعد خطباء السامانية إلى منابر الجوامع واستنفروا الناس وقالوا عن السامانية، قد عرفتم حسن سيرتنا فيكم وجميل صحبتنا لكم، وقد أطلنا هذا العدوّ وتعيّن عليكم نصرنا والمجاهدة دوننا، فاستخيروا الله تعالى في مساعدتنا ومضافرتنا. وأكثر أهل بخارا حملة سلاح، وأهل ما وراء النهر كذلك. فلما سمع العوام ذلك قصدوا الفقهاء عندهم واستفتوهم في القتال فمنعوهم منه وقالوا: "لو كان الخانية ينازعون في الدين لوجب قتالهم فأمّا المنازعة في الدنيا فلا فسحة لمسلم في التغرير بنفسه والتعرض لإراقة دمه. وسيرة القوم جميلة وأديانهم صحيحة واعتزال الفتنة أولى". فكان ذاك من أقوى الأسباب في تملك الخانية وهروب السامانية وانقراض ملكهم، ودخل الخانية بخارا فأحسنوا السيرة ورفقوا بالرعية»[٢].

فلما تملك القراخانيون بلاد ما وراء النهر شيدوا فيها الجوامع والمدارس، وعُنوا في نشر العلم، وازدهرت الحركة العلمية في عهدهم، بحيث لم يسبق له مثيل في التاريخ، وأصبحت دولتهم مركزا للعلم والدعوة، وصار الناس يفدون إليها لينهل العلم الشرعي. وما هو إلا نتيجة لجهود العلماء الذين وقفوا جانب المصلحة للأمة الإسلامية، حيث حُفظت الأرواح من القتل، والأموال من النهب، والبلاد من التخريب، بالمواقف المشرفة لهؤلاء العلماء مع الصراع بين الدولتين، وجنبوا الأمة الإسلامية من الاقتتال فيما بينها لأجل السلطة، الذي عده الإسلام كفرا، عن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْر»[٣].

---

(١) ينظر: تركستان، لبارتولد، ص:٧٤٣-٧٤٤.

(٢) تجارب الأمم وتعاقب الهمم، لمسكويه، ج٧/ص:٤٣٨.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، حديث رقم:٤٨.

المبحث الثاني: مراحل الدعوة في عهد الدولة القراخانية.

من المعلوم أن الدعوة الإسلامية مشروع إصلاحي له بدايات غايات، وبينهما مراحل ينبغي أن تقطع بأناة وروية حتى يتحقق الهدف المنشود من عمارة الأرض بتوحيد الله تعالى، وخير مثال على ذلك ما مرت الدعوة إلى الإسلام في أول ظهوره في عهده المكي بعدة مراحل، كذلك مرت الدعوة إلى الإسلام، في عهد الدولة القراخانية – بسبب الظروف السياسية – بالمراحل التالية:

المرحلة الأولى: السرية.

استمرت هذه المرحلة في تركستان الشرقية بعد خول الإسلام فيها أكثر من مائتي سنة، حيث لا ذكرَ للداعي ولا للمدعو، والأمور كلها سرية، وإنما اشتهر الدعاة بدءاً من وصول أبي نصر الساماني إلى كاشغر في عهد الملك القراخاني أوغولچاق هاربا من الدولة السامانية، وقبل الملك أوغولچاق لجوءه، رغم كونه معاديا للإسلام والمسلمين، إضافة إلى سماحه له ببناء مسجد في كاشغر، كما لم يشترط له عدم نشر الإسلام، لكن أبا نصر مع ذلك احتاط واختار مكاناً أكثر هدوءاً بين الجبال في الوادي، يمارس عبادته مع رفقائه، ويهتم بنشر الدعوة في تركستان، حتى قيض الله له لقاء الأمير الشاب القراخاني ستوق بغراخان، وهو يؤدي إحدى الصلوات مع رفقائه في الوادي، والأمير خرج للصيد مع حراسه، وهو في حيرة مما يفعله الداعية، وبعد تبادل الحديث بين الطرفين شرح الله صدر الأمير الشاب للإسلام فاختار الخلوة مع الشيخ، وأسلم سرا من حراسه ثم فارق الشيخ وغادر مع حراسه إلى قصره[1].

وبعد ذلك بدأ الأمير ستوق بغراخان يتردد إلى شيخه في مكانه في الوادي ليتلقى تعاليم الإسلام، حتى أصبح داعية، فبدأ بدعوة أقرب وأوثق حراسه، ثم الذي يليه، وهكذا واحدا تلو الآخر حتى أسلم كلهم. وصاروا دعاة في المجتمع، وبسبب تلك الجهود الجماعية بدأ عدد المسلمين يزداد ويظهر في المجتمع، بعد أن كان المسلم متسترا لا يذكر فيه، فلما

---

(١) ينظر: قه دىمكى ئويغورلا وه قاراخانىلار، ص:٢٣٦. ئويغورلارنىك قىسقىچە تارىخى، ص:١٣٢. تاريخ الأتراك في آسيا الوسطى وحضارتهم، ص:٢٦٢-٢٦٣. ستوق بغراخان، ص:٥٤-٥٥.

علم الملك أوغولچاق أن منبع هذه الظاهرة في المجتمع هو ولي عهده وابن أخيه سارع لعزله من الولاية، والأمير لا يزال يخفي إسلامه كيلا يفشل التخطيط لإعلان الإسلام في المجتمع كافة(١).

المرحلة الثانية: الجهرية.

كانت هذه المرحلة من أخطر مراحل الدّعوة في تركستان، إذ تمّت المواجهة بين الدين الجديد ومعتقَدات الآباء والأجداد، حيث حوربت الدعوة عند استهلال نشأتها وقبل الاستواء على سوقها، وواجهت عقبة صعبة أوشكت للفناء إن لم تتدارك نصرة من الله، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(٢).

وقد تجلّت في هذه الفترة شجاعة الأمير ستوق بغراخان واصطفاف المسلمين معه، عندما علم الأمير أن عمه يتآمر للقضاء عليه، ومن ثم القضاء على الإسلام والمسلمين، سارع الأمير ستوق بغراخان بتوحيد صفوف المسلمين وتجنيدهم على مواجهة الكفر، فلما سمع مسلموا فرغانة هذا الخبر أرسلو الشباب المجاهدين لمساعدة الأمير ستوق بغراخان، حتى اجتمع عنده ثلاثة آلاف مجاهد، وباغت عمه قبل استكمال استعداده للمواجهة معه، وانتصر على جنود عمه على كثرتهم مع قلة عدد أصحاب الأمير وعُدَدِهم(٣).

وقد تحقق فيهم وعد الله عز وجل ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾(٤).

بعد هذا الانتصار جلس الأمير ستوق بغراخان على عرش الملك، وأعلن إسلامه وتبعه كل من كان يخفي إسلامه، كان هذا اليوم يوما عظيما في تاريخ الأتراك في تركستان الشرقية، حيث أسلم معظم الشعب تبعاً لأمير البلاد، وتحولت الدولة من الوثنية إلى الإسلامية، وسرعان ما قبل الناس المفاهيم الإسلامية وثقافتها وطبقوها في بيئتهم، وارتقى

---

(١) ستوق بغراخان، ص:٥٧ وما بعدها. قه دىمكى ئويغورلا وه قاراخانىلار، ص:٢٣٧.

(٢) سورة الصف. الآية:٨.

(٣) ئويغورلارنىك قسقىچە تاريخي" ص:١٣٢. ستوق بغراخان، ص:١٢٤-١٢٥.

(٤) سورة الحج. الآية:٣٩.

مجتمعهم أخلاقيا وسلوكيا. وأصبحوا خير مثال للمسلمين مقابل البوذيين المتواجدين في دولتهم(١).

اتّسمت هذه المرحلة باشتداد شوكة المسلمين في أوساط الوثنيين وانتشار الإسلام بين أهل تركستان في شقها الشرقي، بالدعوة والجهاد مع الوثنيين والمرتدين.

المرحلة الثالثة: الدفاع والهجوم.

واجه الملك ستوق بغراخان بعد سنوات من حكمه تحديات كبيرة من قبل بعض الأغنياء، لأجل إنهاء نظام العبودية في البلد، كما واجه تمرد البوذيين وعصيانهم. وهؤلاء الأغنياء - الذين تشبثوا بنظام العبودية ولم يرقهم إعتاق عبيدهم - كانوا بوذيين، وقاموا بتحريض عوام البوذيين للوقوف معهم، ولم يتوقفوا بهذا الحد فحسب بل جندوهم على محاربة الدولة، حتى رفعوا السلاح عليها. واستطاعوا تحريض بعض الضعفاء من المسلمين أيضا على الدولة بتشويه صورة الإسلام في نفوسهم، وفي نهاية المطاف خفف الملك ستوق بغراخان بعض قوانين الدولة الإسلامية على الرعية، لكون الناس حديث عهد بالإسلام، تدرجا في دعوتهم وسدا لذريعة الفتنة(٢). لكن البوذيين لم يهدؤوا لحظة، وسَعَوا لإضعاف الدولة الإسلامية بمطالبتهم السماح لعبادة الأصنام، وأجبروا من بجوارهم من المسلمين بالكفر بالله وقتلوا من رفض، حتى كونوا جيشا بقيادة زعيمهم "كوكيار منباشي" واستولوا على مدينة "قارغلق"(٣) وعثوا فيها فسادا بالقتل والنهب والهدم، ثم توجهوا إلى مدينة "ياركند" ومدينة "يَـنِيْسا" والتقوا هناك مع جيش الإسلام، وهم مدعومين من البوذيين التبتيين والأويغور الوثنيين من لانجو(٤). أما القراخانيون فأمدهم السامانيون بالسلاح والجيوش، وكان عدد جيوش البوذيين ثلاثة آلاف، وعدد جيش الإسلام ألفان، وكلا الفريقين تقاتلا بالشجاعة،

---

(١) ينظر: ستوق بغراخان، ص:١٥٨. قه دىمكى ئويغورلا وه قاراخانىلار، ص:٢٣٨-٢٣٩.

(٢) ينظر: ستوق بغراخان، ص:٢٠٦-٢٠٧.

(٣) إحدى محافظات ولاية كاشغر، بقرب مدينة ختن، يتميز أهلها بالتدين، وخرج منها مجدد العصر وأعلم أهل تركستان في العصر الحاضر، الشيخ عبد الحكيم مخسوم، الذي توفي في عام ١٩٩٣م.

(٤) وهي إحدى المدن الصينية تقع في غرب شمال الصين، وعاصمة إقليم قانسو.

وبعد قتال طويل شديد انتصر المسلمون على البوذيين بعدما أصابتهم نكبة شديدة في صفوفهم[١]. لكنهم ثبتوا وصبروا ابتغاء مرضاة ربهم حتى أتاهم نصر الله ﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾[٢]. من بعد هذه الواقعة قويت شوكة المسلمين وعظمت هممهم ولم يكتفوا بالدفاع بل وصلوا إلى مرحلة الإقدام والهجوم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: «الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلاَ يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ»[٣].

علم الملك المجاهد ستوق بغراخان أن خطر البوذيين والوثنيين لا يتوقف، وأنهم لا يتركون الدولة الإسلامية آمنة إلى أن يُخْضَعوا أو يُسْتأصلوا، فقصد مركزهم – دولة إديقوت الأويغورية الوثنية– في مدينة "قارا شَهَرْ" و"كوچار" و"كورلا"، وبعث جيشا ضخما عام (٣٣٩هـ/٩٥٠م) بقيادة عبد الفتاح – ابن أبي نصر الساماني– وبعد قتال شديد استطاع عبد الفتاح إخضاع أهالي هذه المدن الوثنية، وطلب الوثنيون الصلح مع بغراخان بشرط بقائهم على دينهم وانقيادهم للدولة الإسلامية، وقبل بغراخان هذا الصلح بسبب ما أصاب المسلمين من نكبة شديدة في صفوفهم في القتال[٤].

ومن بعد هذا انفَلَّتْ شوكة البوذيين وسلمت الدولة الإسلامية من العدوان، وهذا ما جعلها تزدهر بالعلوم والفنون والمعمار والاقتصاد، وبفضل تلك القوة تمكنت الدولة القراخانية من الانتصارات الكثيرة لا حقا على العدو الداخلي والخارجي، وتركوهم في حالة ضعف وهوان، لا يتمكنون من التآمر على الدولة الإسلامية.

---

(١) ينظر: ستوق بغراخان، ص:٢٢٦-٢٨٠. ئويغورلارنك قسقچه تاريخي، ص:١٣٥.

(٢) سورة الصافات. الآية:١١٦.

(٣) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب غزوة الخندق هي الأحزاب، حديث رقم:٤١١٠.

(٤) ينظر: قه دىمكى ئويغورلا وه قاراخانىلار، ص:٢٤٠-٢٤١.

الفصل الثاني

أسس الدعوة في عهد الدولة القراخانية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: العقيدة.

المبحث الثاني: العبادات.

المبحث الثالث: الأخلاق والتزكية.

المبحث الرابع: المعاملات.

المبحث الأول: العقيدة.

يتركز الحديث في هذا المبحث على المحاور الأربعة الآتية:

المحور الأول: مفهوم العقيدة لغة واصطلاحا.

أ. مفهوم العقيدة لغة:

العقيدة في اللغة: من العقد، وهو الربط، والإبرام، والإحكام، والتوثق، والشد بقوة، والتماسك، والمراصة، والإثبات؛ ومنه اليقين والجزم. والعقد نقيض الحل، والعقيدة: الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، والعقيدة في الدين ما يقصد به الاعتقاد دون العمل؛ كعقيدة وجود الله وبعث الرسل. والجمع: عقائد[١].

ب. مفهوم العقيدة في الاصطلاح:

العقيدة اصطلاحا: «الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده، ويجب أن يكون مطابقاً للواقع، لا يقبل شكاً ولا ظنا؛ فإن لم يصل العلم إلى درجة اليقين الجازم لا يسمى عقيدة»[٢].

العقيدة الإسلامية: هي الإيمان الجازم بربوبية الله تعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثبت من أمور الغيب، وأصول الدين، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم التام لله تعالى في الأمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

المحور الثاني: عناية الشريعة بالعقيدة:

إن عقيدة التوحيد هي أول ما يدعو إليها الأنبياء عليهم السلام قومهم كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[٣].

والعقيدةُ الصحيحةُ هي أَساس هذا الدِّين، وكل ما يُبنى على غير هذا الأَساس فمآلهُ

---

(١) ينظر: لسان العرب، ج٣/٢٩٦، المعجم الوسيط، ج٢/ص:٦١٤.

(٢) الوجيز في عقيدة السلف الصالح، (أهل السنة والجماعة) عبد الله بن عبد الحميد الأثري، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف – المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ. ص:٢٩.

(٣) سورة النحل. الآية:٣٦.

الهدم والانهيار، ولا يكتمل إيمان العباد حتى تتعبد قلوبهم لله عز وجل، وتمتلئ بأنوار أسمائه وصفاته وربوبيته وإلهيته. ومن هذا نرى اهتمام النَّبي صلى الله عليه وسلم بإرساء هذه العقيدة وترسيخها في قلوب أَصحابه طيلة عمره، وعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : سُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»[1]

لأن مِنْ سُنَنِ اللَّه تعالى في خلقه ميل الإنسان بمقتضى الطبع إلى المحاكاة والمماثلة، ومع أن الإسلام يقر الجانب الفطري عند الإنسان، إلّا أَنَّهُ في حالة التجاوز ينكر عليه بدون تأخير؛ لأن الميل هنا فيه محذور على العقيدة.

ومن اهتمامه صلى الله عليه وسلم جناب العقيدة أنه إذا بعث أحداً في مهمة الدعوة أوصاه بالبدء بعقيدة التوحيد، عن ابْن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: «لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ اليَمَنِ قَالَ لَهُ: إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»[2].

وعلى هذا المنوال سار دعاة الحق في دعوتهم إلى الله أسوة بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومنهم: العلماء القراخانيون، الذين كانوا أول قبيلة تركية تشرفوا بالإسلام، ومن الله عليهم بالاستقرار زهاء ثلاثة قرون، نشروا خلالها العقيدة الإسلامية الصحيحة، ثم مَنْ جاء بعدهم

---

(١) أخرجه الترمذي أبواب الفتن باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، حديث رقم: ٢١٨٠، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، حديث رقم: ٧٣٧٢.

من السلاجقة والعثمانيون حذوا حذوهم، وطالما ساندوا الخلافة الإسلامية العباسية لعقيدتهم الصحيحة؛ لأنهم من ثمار جهود القراخانيين الدعوية.

المحور الثالث: اهتمام القراخانيين بالدعوة إلى العقيدة الصحيحة.

لقد اهتم الدعاة القراخانيون في دعوتهم إلى الإسلام جناب العقيدة الصحيحة، أيما اهتمام، ورد ذلك عنهم في سيرتهم الدعوية، ومن ذلك:

- ما ذكر في كتب الدعاة إلى الله آنذاك عند بيانهم العقيدة في الأنبياء بأنهم سلف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وإخوانه، يجب الإيمان بهم جميعا بلا تفرقة بين أحد منهم وينبغي الصلاة عليهم عند ذكر أسمائهم احتراما لهم[١]. كما وصف الله عباده المؤمنين بقوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾[٢].

- ومن شدة اهتمام حكام القراخانيين تجاه العقيدة الإسلامية الصحيحة، اختيارُ نوابهم ووزرائهم من أهل العلم والحزم سليم الفكر والعقيدة، وأن يكونوا من أسرة شريفة متدينة، المشهود لهم بالصلاح لدى المسلمين[٣].

- لاشتهار القراخانيين في الاهتمام لجناب العقيدة، استبشر بهم العلماء في الدولة السامانية، وشجعوهم على استيلاء بلاد ما وراء النهر، وأفتوا للعوام بعدم جواز مواجهتهم تلبية لحكام السامانيين، وهذا ما يسر توحيد البلاد للقراخانيين[٤].

المحور الرابع: قيام القراخانيين بإبطال العقائد الفاسدة وتصحيحها.

كما اهتم الدعاة القراخانيون بالدعوة إلى العقيدة الصحيحة، كذلك اهتموا بإبطال العقائد الفاسدة المنتشرة في مجتمعهم، وتمثل ذلك في الآتي:

---

(١) ينظر: ئويغورلارنك قسقچه تاريخي، ص:١٦١.

(٢) سورة البقرة:٢٨٤.

(٣) ينظر: شنجاكدا ئوتكه ن ئسلام خانلقلرىنك قسقچه تاريخي، ص:١٠٧. ئويغورلارنك قسقچه تاريخي، ص:١٤٨.

(٤) ينظر: شنجاكدا ئوتكه ن ئسلام خانلقلرىنك قسقچه تاريخي، ص:١٠٦.

- اجتثاث العقائد الفاسدة من المجتمع.

حيث ساد في المجتمع التركي قبل الإسلام بأن يافث بن نوح عليه السلام، أبو الأتراك يستحق التعظيم والعبادة، وأن أفراسياب هو الذي بنى المدن للأتراك لذلك ينبغي تعظيمه وعبادته شكراً على ما قدم، ومنه أيضا عبادتهم لبعض الحيوانات، وتعظيمهم للون الأزرق بأنه من السماء، وهي قادرة على الخلق والإيجاد، وتبركهم باللون الأصفر، بأنه يجلب السعادة. وتلك العقائد الفاسدة مازال أثرها بعد الإسلام في أذهان بعض الناس، لكن بفضل جهود العلماء والدعاة تم القضاء عليها، وتقبل الناس العقيدة الإسلامية الصحيحة بعد فهمهم، بأن المستحق للشكر والعبادة والتعظيم هو الله، وأنه خالق كل شيء، وأن التبرك بشيء من الأشياء لا يجوز شرعا[١].

- جهود الدعاة في إزالة صور ذات الأرواح المخالفة للعقيدة في المجتمع.

«كانت قبائل الأتراك في جاهليتهم يصورون ويرسمون بعض ذات الأرواح من الحيوانات- بحكم معشيتهم في الجبال وعيشهم على الصيد- ويتداولونها فيما بينهم بكثرة كهدية، والتعليق على جدران بيوتهم للزينة. ولم يأل العلماء جهدا في تصحيح هذا الخطأ، واستطاعوا إقناع الناس بعدم جواز استخدام تلك الصور في الإسلام وأنها تخالف العقيدة، فترك الناس تداولها استجابة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم»[٢].

ولأن الصورة تؤدي إلى الشرك كما حدث في قوم نوح عليه السلام، حيث كانوا يصورون أسلافهم إذا ماتوا، ثم افتتن الجيل الجديد بعبادتهم. فقد أُثر عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قوله:

---

(١) ينظر: ئويغورلارنىك قىسقىچە تارىخي، ص:١٦٣-١٦٤. شىنجاكدا ئوتكه ن ئىسلام خانلىقلىرىنىك قىسقىچە تارىخي، ص:١٠٢.

(٢) شىنجاكدىكي ئازسانلىق مىللە تلە ر تىل ئە دە بىياتي هە ققىدە تە تقىقات ئىلمي ما قالىلە ر توپلىمي، (مجموعة البحوث والمقالات العلمية في اللغة والأدب للأقلية القومية في شنجيانغ) جمع وإعداد: ئابدو كېرىم رە همان، وئارسلان ئابدوللا، الناشر: شىنجانك ئونىۋېرسىتي ئوروﻣﭽﻲ، ط: الأولى عام ٢٠٠١م، عنوان المقال: فن الكتابة والخط في الدولة القراخانية، للباحث تورسون قوربان، ص:٤٧٣.

«صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ، أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ عِنْدَ سَبَإٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الكَلاَعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ عليه السلام، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ»[١].

ولهذا ورد الوعيد الشديد في الحديث الشريف على المصورين، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «حَشَوْتُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وِسَادَةً فِيهَا تَمَاثِيلُ كَأَنَّهَا نُمْرُقَةٌ، فَجَاءَ فَقَامَ بَيْنَ البَابَيْنِ وَجَعَلَ يَتَغَيَّرُ وَجْهُهُ، فَقُلْتُ: مَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا بَالُ هَذِهِ الوِسَادَةِ؟، قَالَتْ: وِسَادَةٌ جَعَلْتُهَا لَكَ لِتَضْطَجِعَ عَلَيْهَا، قَالَ: أَمَا عَلِمْتِ أَنَّ المَلاَئِكَةَ لاَ تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ، وَأَنَّ مَنْ صَنَعَ الصُّورَةَ يُعَذَّبُ يَوْمَ القِيَامَةِ يَقُولُ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»[٢]

ولكون الصورة مخالفة للعقيدة الإسلامية لعن النبي صلى الله عليه وسلم المصورين، فعن أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «لَعَنَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الوَاشِمَةَ وَالمسْتَوْشِمَةَ، وَآكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ، وَنَهَى عَنْ ثَمَنِ الكَلْبِ، وَكَسْبِ البَغِيِّ، وَلَعَنَ المصَوِّرِينَ»[٣].

يعلم من هذا الوعيد أن حياة الإنسان بدون عقيدة تابعةٍ للوحي تهديه إلى السبيل الأقوم حياةٌ في مجهول وتيه وراء غيبيات لا طائل وراءها؛ لأن العقل والقلب بابتعادهما عن الوحي يَسلكانِ طريقًا مخالفًا للفطرة، ومن ثَمَّ تستحيل الهداية.

● ومما يدل على اهتمام القراخانيين بالعقيدة الصحيحة وتصحيح الفاسدة، أنهم لما استولوا على بلاد ما وراء النهر، أراد السلطان محمود الغزنوي – فيما يبدو – أن يطمئن على سلامة عقيدة ملوك وعلماء هذه الدولة واتجاههم المذهبي، فكتب رسالة إلى ملكها

---

(١) أخرجه البخاري كتاب التفسير بَابُ وَدًّا وَلاَ سُواعًا، وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ، حديث رقم: ٤٩٢٠.

(٢) أخرجه البخاري كتاب بدء الخلق باب إذا قال أَحَدُكُمْ: آمِينَ وَالملاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ آمِينَ فوافقت إحداهما الأخرى غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، حديث رقم:٣٢٢٤.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الطلاق باب مهر البغي والنكاح الفاسد، حديث رقم:٥٣٤٧.

إيلك خان، أن بينوا لنا ضروريات هذه المسائل: ما النبوة، وما الولاية، وما الدين، وما الإسلام، وما الإيمان، وما الإحسان، وما التقوى، وما الأمر بالمعروف، وما النهي عن المنكر، وما الصراط، وما الميزان، وما الرحمة، وما الشفقة، وما العدل، وما الفضل؟

فلما اطلع الخان على مضمون الرسالة دعا فقهاء بلاده وناقشهم معناها، فأجاب أحدهم أن المراد بما سئل، «التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله»، فتعجب الفقهاء وقالوا هذا جواب كامل شامل، وفرح الخان بذلك، وحينما بلغ الجواب غزنة، وقع الإجماع على استحسانه[١].

لو لم تكن الدولة الغزنوية على علم بصحة عقيدة القراخانيين لما أرسلت إليهم هذه الأسئلة، وذلك لما كان القراخانيون يجتهدون في نشر العقيدة الصحيحة في أنحاء بلادهم، وتصحيح الفاسدة منها، وإنما أراد الغزنويون أن يطمئنوا بمعرفة ذلك من القراخانيين في السر والعلن.

---

(١) ينظر: جهار مقالة، تأليف: النظامي العروضي السمرقندي، باللغة الفارسية، تعريب: عبد الوهاب عزام، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ط: الأولى، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م، ص:٣٢-٣٣.

المبحث الثاني: العبادات

يتركز الحديث في هذا المبحث على المحاور الثلاثة الآتية:

المحور الأول: مفهوم العبادة في اللغة والاصطلاخ.

أ. العبادة لغة:

العبادة في اللغة: من عَبَدَ اللهَ يَعْبُدُه عِبادَةً: تأَلَّه لَهُ، والتَّعَبُّدُ: التَّنَسُّكُ. والعِبادَةُ: الطَّاعَةُ. قال ابن منظور نقلا عن الفراء: «مَعْنَى العبادةِ فِي اللُّغَةِ الطاعةُ مَعَ الخُضُوعِ، وَمِنْهُ طريقٌ مُعَبَّدٌ إِذا كَانَ مُذَلَّلا بِكَثْرَةِ الوطءِ»(١). وقال الراغب: «العُبُودِيَّةُ: إظهار التّذلّل، والعِبَادَةُ أبلغُ منها، لأنها غاية التّذلّل، ولا يستحقّها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى»(٢). وفي المعجم الوسيط «العبادة: الخضوع للإله على وجه التعظيم»(٣).

ب. العبادة اصطلاحا:

وعلى ضوء ما سبق من التعريف اللغوي يمكن أن تُعرف العبادة الشرعية "بأنها فعل كل شيء مما أوجبه الله تعالى، ويحبه من الأفعال والنيات، بالخضوع لله تعالى على وجه التعظيم له والتقرب إليه مع الرغبة والرهبة"(٤).

أو هي كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: «العبادة هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ: مِنْ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ..»(٥).

الدعوة إلى العبادات هي الأساس في الدعوة إلى الله، إذ لا معنى للإيمان دون العمل الذي هو جزء منه، والانتفاع بالإيمان متوقف على العبادات، كما قال: وهب بن منبه لما

---

(١) لسان العرب، ج٣/ص:٢٧٢-٢٧٣.

(٢) المفردات، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم – دمشق بيروت، ط: الأولى، ١٤١٢هـ، ص:٥٤٢.

(٣) المعجم الوسيط، ج٢/ص:٥٧٩.

(٤) تعريف الطالب الباحث.

(٥) مجموع الفتاوى لأبي العباس تقي الدين أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة المنورة، ١٤١٦، ج١٠/ص:١٤٩.

سئل «أَلَيْسَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِفْتَاحُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ مِفْتَاحٌ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ، وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ»[١].

المراد بالأسنان في القول السابق هي العبادات التي أمر الشرع المكلَفين بإتيانها، ورتب عليها الجزاء. وأَجَلُّ العبادات هي أركان الإسلام متمثلة بالشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج، ثم تليها عبادات أخرى التي أمر بها الشَّرع المطهَّر، وبيَّنها القُرآن المنزَّل على سيِّدنا محمد صلى الله عليه وسلم، مما يكمل الإيمان كقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[٢]. وغيرها من الآيات الكريمة.

المحور الثاني: الدعوة إلى العبادات.

لقد اهتم الدعاة إلى الله في عهد الدولة القراخانية بالدعوة إلى العبادات حسب أولويتها في الإسلام، بحيث يصعب حصرهم في هذا المقام؛ لأن ما من عالم إلا ووظيفته دعوة الناس إلى عبادة الله بعد دعوتهم إلى الشهادة، لكن أبرز من نقل عنهم الجهود في هذا المجال: هو جَدُّ ووالد الداعية الفيلسوف يوسف خاص حاجب، حيث نقل عن الجد والابن والحفيد حَثُّ الناس على أداء الصلاة مع الجماعة في المساجد، كما نقل عنهم جهودهم في حث الناس على تعليم أولادهم الصغار الصلاة في وقت مبكر، ببيان أهميتها وفضلها في الإسلام، وكانوا يصطحبون أولادهم الصغار إلى المساجد كي يتبعهم الناس[٣].

ومنهم: أيضا أحمد بن أسعد بن المظفر، الشيخ الإمام العلامة عز الدين أبو الفضل

---

(١) أورده البخاري كتاب الجنائز بَابُ مَا جَاءَ فِي الجَنَائِزِ، وَمَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، صحيح البخاري تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: الأولى، ١٤٢٢، ج٢/ص:٧١.

(٢) سورة البقرة:١٧٧.

(٣) ينظر: يوسف خاص حاجب، يارمحمد طاهر، ص:٢٠.

الكاشغري الحنفي[١] الفقيه البارع العابد، الذي اشتهر بكثرة التنسك والعبادة، وكان شديد الاهتمام بالعبادة، وكان يكثر الحث عليها خلال تدريسه لطلبته وإفتائه لعامة الناس، وانتفع به المسلمون من العلماء والعوام[٢].

لأن الصلاة عماد الدين الذي لا يقوم إلا به، وأول ما يحاسب به العبد يوم القيامة، فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: «كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ البَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، قَالَ: ثُمَّ تَلَا ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ..»[٣].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ..»[٤]

---

(١) ولد عام (٥٨٠هـ/١١٨٥م)، وتوفي بكاشغر عام ٦٦٧/٧هـ وصُلّي عليه بجامعها بعد صلاة الجمعة قريب من ستة آلاف نفس. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، تحقيق: د/ محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون تاريخ، ج١/ص:٢٣٨.

(٢) المرجع السابق، ج١/ص:٢٣٨.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط: الثانية ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، أبواب الإيمان باب ما جاء في حرمة الصلاة، وقال: هذا حديث صحيح، ج٥/ص:١١، حديث رقم:٢٦١٦.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الصلاة باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ، وقال الألباني: صحيح، سنن الترمذي،

ولم أجد حسب جهدي ما ذكر عن جهود الدعاة القراخانيين في الدعوة إلى العبادات الأخرى مفردة في غير الصلاة، وذلك لا يفيد عدم قيامهم بالحث في دروسهم ومحاضراتهم على أداء الزكاة لمستحقيها، وعلى الصيام بآدابه، وعلى الحج – في عمرتهم وحجهم – لأدائهما مع كامل أركانهما إذا توفرت الشروط، وغيرها من العبادات، وهو مسلم بداهة لدى الجميع قاطبة.

المحور الثالث: تصحيح المفاهيم في العبادات.

كان المفهوم الصحيح للعبادة في حِسِّ الأجيال الأولى أن عبادة الله هي غاية الوجود الإنساني انطلاقا من قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[1]. دون ترك نصيبهم من الدنيا الذي يعينهم على طاعة الله، لكن بعض المسلمين في الدولة القراخانية – بسبب انشار التصوف بينهم – فهموا من هذه الآية وَهْماً أن غاية الوجود كله محصورة في العبادة لا تتعداها إلى شيء غيرها على الإطلاق، وأن السعي وراء الرزق يخل في العبودية، لذلك اعتزلوا الناس والتزموا بيوتهم للعبادة واختاروا التقشف والخشونة في العيش، حتى لجأ بعضهم إلى الكهوف في الجبال، وأفرطوا في الزهد. ولما بدأت هذه الظاهرة تفشوا في المجتمع بشكل سريع، كلف الملك أبو الحسن حسن بن سليمان، يوسف خاص حاجب بإصلاح المجتمع من هذا الغلو الذي حدث منذ زمن النبي صلى الله عليه وسلم[2]. وهي عين الرهبانية المنهية عنها في الإسلام؛ لأن فيها ترك الاشتغال بأمر المعاش، والانقطاع الكامل للعبادة، وقد تكون بتحريم بعض المباحات للاستعانة على العبادة، كما في قصة الثلاثة الذين سألوا عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، وكأنهم تقالُّوها.

فكما أُثر عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ قوله: «جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ،

=

ج٢/٢٦٩، حديث رقم:٤١٣.

(١) سورة الذاريات. الآية:٥٦.

(٢) يوسف خاص حاجب، يارمحمد طاهر، ص:١٤٤-١٤٥.

قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(١).

ففي هذا دليل على أنه ينبغي للإنسان أن يقتصد في العبادة بل ينبغي له أن يقتصد في جميع أموره؛ لأنه إن قصر فاته خير كثير، وإن شدد فإنه سوف يكلُّ ويعجز عن مواصلة العمل، وأن الفضيلة وسط بين طرفين، وهذا في جميع الأمور، ولا يجوز للإنسان أن يُفْرِط أو يُفَرِّطَ فيما شرع الله.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى رَدِّ مَا بَنَوْا عَلَيْهِ أَمْرَهُمْ.. وَإِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُشَدِّدَ لَا يَأْمَنُ مِنَ الْمَلَلِ بِخِلَافِ الْمُقْتَصِدِ فَإِنَّهُ أَمْكَنُ لِاسْتِمْرَارِهِ، وَخَيْرُ الْعَمَلِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ»(٢).

ومما روي في هذا الباب «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلَا تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ(٣) وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى»(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «مَنْ يَعْتَقِدُ تَحْرِيمَ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ مِنْ الْمُبَاحَاتِ الَّتِي

---

(١) أخرجه البخاري كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح، حديث رقم:٥٠٦٣.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تعليق: ابن باز رحمه الله، دار المعرفة – بيروت، ط: عام١٣٧٩هـ، ج٩/ص:١٠٥.

(٣) قال ابن الأثير: "يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا انْقُطِع بِهِ فِي سَفَرِهِ وعَطِبت راحلتُه: قَدِ انْبَتَّ، مِنَ البَتِّ: القَطْع، وهو مُطاوِع بَتَّ يُقال بَتَّهُ وأَبَتَّهُ. يُرِيدُ أَنَّهُ بَقِيَ فِي طَرِيقِهِ عَاجِزًا عَنْ مَقْصِدِهِ لَمْ يَقْض وَطَره: وَقَدْ أعْطَبَ ظَهْرُه". النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١/ص:٩٢.

(٤) أخرجه الحاكم وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبُ الْإِسْنَادِ وَالْمَتْنِ، فَكُلُّ مَا رُوِيَ فِيهِ فَهُوَ مِنَ الْخِلَافِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ سُوقَةَ، فَأَمَّا ابْنُ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرٍ، فَلَيْسَ يَرْوِيهِ غَيْرُ مُحَمَّدِ بْنِ سُوقَةَ، وَعَنْهُ أَبُو عَقِيلٍ، وَعَنْهُ خَلَّادُ بْنُ يَحْيَى. معرفة علوم الحديث لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النسابوري، تحقيق: السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الثانية، ١٣٧٩هـ/١٩٧٧م، ص:٩٥.

بَعْضُهَا مُبَاحٌ بِالِاتِّفَاقِ وَبَعْضُهَا مُتَنَازَعٌ فِيهِ؛ لَكِنَّ الرَّسُولَ لَمْ يُحَرِّمْهُ؛ فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ اعْتَقَدُوا وُجُوبَ مَا لَمْ يُوجِبْهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَتَحْرِيمَ مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ.. وَقَدْ يُبْتَلَوْنَ بِمُطَاعٍ يَلْزَمُهُمْ ذَلِكَ فَيَكُونُ آصَارًا وَأَغْلَالًا مِنْ جِهَةِ مُطَاعِهِمْ: مِثْلُ حَاكِمٍ وَمُفْتٍ وَنَاظِرِ وَقْفٍ وَأَمِيرٍ يُنْسَبُ ذَلِكَ إلَى الشَّرْعِ؛ لِاعْتِقَادِهِ الْفَاسِدِ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ الشَّرْعِ»[١].

انطلاقا من هذا المبدأ الصحيح بدأ يوسف خاص حاجب دعوته الإصلاحية، وذهب إلى الذين أَوَوْا إلى الكهف للعبادة، وقابل مع مريدهم (طغرول أرونقاش)[٢]– وكان طغرول يُعد من كبار العلماء في عصره– وقد نحل جسمه هزيلا، بعيشه في الكهف وتركِهِ ما لَذَّ من المأكولات، وكذا سائر من معه من أتباعه في الكهف، وكان منهج الشيخ طغرول في الدعوة والتدريس كأنه رهبانية يخالف منهج العلماء في البلد، فلما مُنِعَ من ممارسة الدعوة والتدريس في البلد لجأ إلى الكهف ومارس نشاطه الدعوي هناك، ولكون الناس متأثرين بمناهج الصوفية وفلسفات المتكلمين انجر وراءه بعض الناس، ودعاهم يوسف بأسلوبه الحكيم مستدلا بالآيات القرآنية، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾[٣]. وقوله تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[٤]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾[٥].

ثم وعظه بأسلوبه الحكيم، ومما قال فيه: «إن الحكمة في خلق الله عضو الإنسان زوجين –كالرجلين واليدين والأذنين والعينين،– أن يستعين بإحداهما في أمور دنياه وبالثانية لأمور آخرته، وأن أحب الأعمال إلى الله إرشاد عباد الله إلى الهدى، والاشتغال بالنوافل أمر ذاتي

---

(١) مجموع الفتاوى، ج١٤/ص:١٥٥.

(٢) لم أقف على ترجمته.

(٣) سورة البقرة. الآية:١٧٢.

(٤) سورة الأعراف. الآية:٣٢.

(٥) سورة النحل. الآية:١١٦.

ينحصر نفعه في الإنسان، وأما الدعوة وتعليم الناس أمور دينهم فنفعه يتعدى إلى الخلق أجمع، وعلى العالم ألا يحرم الناس من علومه» فما زال يعظه حتى اقتنع الزاهد طغرول على ترك الرهبانية وانضمامه مع إخوانه العلماء للدعوة والتعليم على ضوء المنهج الصحيح(١).

إذ ليست مقاييس الخشية والتقوى بتكليف العبد نفسه المشقة وكثرة الانهماك في العبادة، وإنما مقياس الخشية والتقوى في المداومة على الطاعة والإقبال عليها بِحُبٍّ ورغبةٍ، وتذوق لحلاوة الإيمان والطاعة، وإدراك لعظمة الخالق سبحانه، مما ينتج الخشية والتقوى مع التعظيم لله رب العالمين. وهذا يؤكد لنا أن الرهبانية تمثل نوعا من الغلو في السلوك الديني بتضمنها عدة عناصر أساسية كلها يرفضها الإسلام، وهذه العناصر هي:

1. الانقطاع الكامل للتعبد.
2. الامتناع الدائم عن الزواج.
3. الإعراض عن عمارة الأرض، والعمل للدنيا والمعيشة.

والإسلام يرفض هذه المعاني؛ لأنها تقوم على فكرة التوازن بين الروحية والمادية، وبين الدنيا والآخرة، وبين حق الرب وحظ النفس وبين المثالية والواقعية. ومنهج الإسلام يتمثل في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾(٢).

وفي دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم «اَللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»(٣).

والإسلام إنما قام على التوازن والوسطية في كل شيء كما يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ

---

(١) يوسف خاص حاجب، يار محمد طاهر، ص:١٥٠-١٥١-١٥٢ بتصرف.

(٢) سورة البقرة. الآية:٢٠١.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، حديث رقم:٢٧٢٠.

جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً﴾[1]. الإفراط والتفريط في شعائر الإسلام يُعَدُّ ظلما يعرض صاحبه على العقاب، إذ لا استدارك على الشارع أبدا.

---

(١) سورة البقرة. الآية:١٤٣.

المبحث الثالث: الأخلاق والتزكية.

يتمحور الحديث في هذا المبحث على المحاور الأربعة التالية:

المحور الأول: مفهوم الأخلاق في اللغة والاصطلاح:

أ. مفهوم الأخلاق لغة:

الأخلاق: جمع خلق، -بضمِّ اللام وسكونها- هو الدِّين والطبع والسجية والمروءة، وقيل: الخَلْقُ والخُلْقُ في الأصل واحد.. لكن خُصَّ الخَلْقُ بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخُصَّ الخُلْقُ بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة[١].

ب. مفهوم الأخلاق اصطلاحا:

الأخلاق اصطلاحا: قال الجرجاني: بأنَّه: «عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويَّة، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقًا سيئًا»[٢].

ويمكن تعريف الأخلاق اصطلاحا: "بأنها مجموعة من الصفات والسجايا الحميدة التي تبعث الإنسان على التخلق بأخلاق الشريعة، والتأدب بآداب الله التي أدَّب بها عبادَه في كتابه"[٣].

المحور الثاني: ما جاء في فضائل الأخلاق.

وقد وردت كلمة الأخلاق في القرآن في موضعين: الأول: قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[٤]. فخُلُق الأولين هنا بمعنى دِينهم وعادتهم وأخلاقهم ومذهبهم[١].

---

(١) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، ط: الثامنة، ١٤٢٦هـ، ص:٨٨١. لسان العرب، ج١٠/ص:٨٦. مفردات ألفاظ القرآن، ص:٢٩٧.

(٢) التعريفات علي بن محمد الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية – بيروت لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ، ص:١٠١.

(٣) تعريف الطالب الباحث.

(٤) سورة الشعرا. الآية:١٣٧.

والثاني: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢]. أي: لعلى أدب عظيم، وذلك أدب القرآن الذي أدَّبه به، وهو الإسلام وشرائعه[٣].

وعلى هذا تُعَدُّ الأخلاق من أهم مقاصد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم للناس، وأن التحلِّي بحسنِ الخلق جزءٌ رئيس من الإيمان بالله تعالى لا ينفكُّ عنه، وكلَّما قوي إيمان العبدِ كان التزامه بالخلق الحسن أقوى. لقول النبي صلى الله عليه وسلم «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»[٤].

بل حدد النبي صلى الله عليه وسلم غاية دعوته بوضوح تام وبيان موجز بحصر بعثته في حسن الخلق فقال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»[٥].

قال السيوطي: نقلا عن الباجي، «كانت العرب أحسن الناس أخلاقا بما بقي عندهم من شريعة إبراهيم عليه السلام، وكانوا ضلوا بالكفر عن كثير منها فبُعِثَ النبي صلى الله عليه وسلم

=

(١) الجامع لأحكام القرآن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري شمس الدين القرطبي، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ج١٣/ص:١٢٥-١٢٦.

(٢) سورة القلم. الآية:٤.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج٢٣/ص:٥٢٨.

(٤) أخرجه أبو داود كتاب السنة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، حديث رقم:٤٦٨٢. تحقيق: شعيب الأرنؤط ومحمد كامل، دار الرسالة العالمية، ط: الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

(٥) أخرجه أحمد في مسند أبي هريرة رضي الله عنه برقم:٨٩٥٢، تحقيق: شعيب الأرنؤط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى،١٤٢١هـ/٢٠٠١م، قال محققو المسند: صحيح، وهذا إسناد قوي، رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان، فقد روى له مسلم متابعة، وهو قوي الحديث، ج١٤/ص:٥١٣. وأخرجه مالك بلاغا، قال ابن عبد البر: وَهَذَا حَدِيثٌ مَدَنِيٌّ صَحِيحٌ، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْمَعْنَى الصَّلَاحُ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ والدين وَالْفَضْلُ وَالْمُرُوءَةُ وَالْإِحْسَانُ وَالْعَدْلُ فَبِذَلِكَ بُعِثَ لِيُتَمِّمَهُ صلى الله عليه وسلم. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النميري، تحقيق: مصطفى أحمد وآخرون، الناشر: وزارة الأوقاف الإسلامية – المغرب، عام ١٣٧٨هـ، ج٢٤/ص:٣٣٤.

ليتمم محاسن الأخلاق ببيان ما ضلوا عنه وبما خص به في شريعته»[١].

وقد كان المنهج النبوي في تحقيق هذه الغاية منهجاً متكاملاً جديراً بالوقوف معه لدى الدعاة القراخانيين، حيث استفادوا من الهدي النبوي في تربيتهم الناسَ على مكارم الأخلاق، وفاضل السلوك، وسامي القيم، يشهد لهم ذلك ما تركوا من المؤلفات في الأخلاق، وجهودهم في إخراج جيل متفرِّد يسمو بأخلاقه وعلوِّ همَّته في كل الميادين.

المحور الثالث: الدعوة إلى الأخلاق.

لقد عني الدعاة القراخانيون في الدعوة إلى الأخلاق، مثلما عنوا في الدعوة إلى الشعائر، ومن أبرز الدعاة في هذا المجال يوسف خاص حاجب، لاهتمامه البالغ جناب الأخلاق ألف كتابه الفريد (قوتادغو بيليك) وهو كتاب علمي تربوي أخلاقي، يتألف من سبعة آلاف بيت تعتبر من خزائن الحكم العقلية الفذة، بأسلوبه الرائع يدعو المجتمع إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة وترك سفاسفها. لذلك ترجم عنوان الكتاب إلى علم السعادة، والعلم اللائق بالملوك[٢].

ولا شك أن الأخلاق تجلب السعادة للعبد في الدنيا والآخرة، لكونها أثقل في ميزان العبد يوم القيامة بعد الصلاة، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي المِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ»[٣].

ومنهم: العالم المربي الأديب أحمد بن محمود يوكنكي[٤] وكتابه عتبة الحقائق، ألف العالم

---

(١) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، المكتبة التجارية الكبرى- مصر، عام ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ج٢/ص:٢١١.

(٢) القراخانيون، دراسة في أصولهم التاريخية، تأليف: أ.د/ سعاد هادي حسن إرحم الطائي، دار صفحات سورية — دمشق، ط: الثانية، عام ٢٠١٦م، ص:١٤٣.

(٣) أخرجه الترمذي أبواب البر والصلة باب ما جاء في حسن الخلق، حديث رقم:٢٠٠٣، وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ، وقال الألباني: صحيح.

(٤) ولد في قرية يوكنك في مدينة سمرقند عام ١١١٠م، وبرع في علم التفسير والحديث والفقه والأدب،

كتابه في أواخر عهد الدولة القراخانية، يتألف الكتاب من ١٤ بابا ويتضمن ٤٤٨ بيتا، واستهل بالحمد والثناء على الله ثم الصلاة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الآل والأصحاب، ثم تحدث عن شرف العلم وقبح الجهل، ثم أتبعه بذكر مجالات الأخلاق كلها مدعما بالأدلة والآثار[(١)].

وهناك العديد من العلماء المربين المهتمين جناب الأخلاق من خلال دروسهم ومؤلفاتهم، مما يدل على اعتناء الدعاة القراخانيين تربية المجتمع بالتحلي بالأخلاق الحسنة والتخلي عن سفاسفها، وبعض تلك المؤلفات ما زالت مخطوطة، مثل: (معالم آداب أولي الألباب ومكارم ذوي الأشواق). للعالم اللغوي محمد بن علي الكاشغري[(٢)] توجد هذه المخطوطة في مكتبة "شستربيتي" في مدينة دبلن في إيرلندا.

المحور الرابع: التزكية.

السلوك الصحيح وتزكية النفوس من أعظم أمور الدين، وأجل خصاله وإحدى مهام الرسالة، لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾[(٣)]. وتزكيته صلى الله عليه وسلم أمته بمعنى تطهير قلوبهم من الشرك والأخلاق الرديئة، كالغل والحقد والحسد، وتطهير الأقوال من بذيء ها والأفعال من شرورها، وتدريبهم على الفضائل. وإذا ننظر إلى التزكية في النصوص القرآنية نجد أنها تنسب تارة إلى العبد

=

وتوفي فيها عام ١١٨٠م. ينظر: مه شهور ١٠٠ ئويغور، محمد تورسون، ص:١٤٦-١٤٧.

(١) عتبة الحقائق، أحمد بن محمود يوكنكي، تحقيق: خه مت تومور، وتورسون ئايوب، الناشر: شنجانك خه لق نه شرياتي، ئورومچي، ط: الأولى، ١٩٨٠م، ص:٣ وما بعدها.

(٢) هو مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عَليّ الكاشغري النَّحْوِيّ اللّغَوِيّ، أَقَامَ بِمَكَّة أَربع عشرَة سنة، وصنف، فَجمع الغرائب، وَاخْتصرَ أَسد الغابة، وَقدم الْيمن ومات فيها سنة خمس وَسَبْعمائة. ينظر: السلوك في طبقات العلماء والملوك، بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي الكندي، تحقيق: محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد- صنعاء، عام ١٩٩٥م، ج٢/ص:١٤٤.

(٣) سورة الجمعة. الآية:٢.

لاكتسابه ذلك نحو قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[١]. وتارة إلى الله تعالى لكونه فاعلا لذلك في الحقيقة نحو قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾[٢]. وتارة إلى النّبيّ صلى الله عليه وسلم لكونه واسطة في وصول ذلك إليهم. نحو قوله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٣]. وتارة إلى العبادة الّتي هي آلة في ذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ﴾[٤].

مفهوم التزكية في اللغة والاصطلاح:

أ. مفهوم التزكية في اللغة:

التزكية لغة: من زَكَا يَزْكو زَكَاء وزُكُوّاً وزكاة. أُطلق فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ على: الطَّهَارَة، والنَّماء، والبَرَكة، والمدْح، ويُطْلَقُ عَلَى الْعَيْنِ أيضا وَهِيَ الطَّائِفَةُ مِنَ الْمَالِ المزَكَّى بِهَا، وَعَلَى المعنى وَهِيَ التَّزْكِيَة، كقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ﴾ الْمُرَادُ الْمَعْنَى الذي هو التَّزْكِيةُ[٥].

ب. مفهوم التزكية اصطلاحا:

أما مفهومها اصطلاحا: فيشير شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى «أَنَّ التَّزْكِيَةَ هُوَ الْإِخْبَارُ بِالتَّقْوَى. ثم يقول: فَأَوَّلُ التَّزَكِّي، التَّزَكِّي مِنْ الشِّرْكِ.. وَالتَّزَكِّي مِنْ الْكَبَائِرِ الَّذِي هُوَ تَمَامُ التَّقْوَى»[٦]. مستدلا من قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[٧]،

---

(١) سورة الشمس. الآية:٩.

(٢) سورة النساء. الآية:٤٩.

(٣) سورة التوبة. الآية:١٠٣.

(٤) سورة مريم. الآية:١٣. قال الضحاك وابن جريج: (الزكاة: العمل الصالح الزكي). تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج٥/ص:٢١٧.

(٥) لسان العرب، ج١٤/ص:٣٥٨.

(٦) مجموع الفتاوى، ج١٦/ص:١٩٨-١٩٩، باختصار.

(٧) سورة النجم. الآية:٣٢.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾[١].

ويمكن تعريفها اصطلاحا: "بأنها تعني تطهير النفس من الأدران والأوصاف الذميمة وتنميتها بالفضائل والأوصاف الحميدة وتحليتها بذلك"[٢].

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «النَّفْسُ وَالْأَعْمَالُ لَا تَزْكُوا حَتَّى يُزَالَ عَنْهَا مَا يُنَاقِضُهَا، كما لَا يَزْكُو الزَّرْعُ حَتَّى يُزَالَ عَنْهُ الدَّغَلُ[٣] وَلَا يَكُونُ الرَّجُلُ مُتَزَكِّيًا إلَّا مَعَ تَرْكِ الشَّرِّ؛ فَإِنَّهُ يُدَنِّسُ النَّفْسَ وَيُدَسِّيهَا»[٤].

وعلى هذا يرى حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله، أن تزكية النفس فرض عين على الإنسان قائلا: «فحماية القلب عن وسواس الشيطان واجبة وهو فرض عين على كل عبد مكلف، وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضاً واجب، ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة، ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة..»[٥].

وكأَنَّ الأصلَ عند الغزالي وجود هذه الأمراض في الإنسان، وليست السلامة منها، لكن إذا نظرنا إلى نصوص الوحيين يظهر أن الأصل في الإنسان هو السلامة والنقاء من هذه الأمراض، لقوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾[٦].

---

(١) سورة النساء. الآية:٤٩.

(٢) تعريف الطالب الباحث.

(٣) قال ابن فارس: الدَّالُ وَالْغَيْنُ وَاللَّامُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى الْتِبَاسٍ وَالْتِوَاءٍ مِنْ شَيْئَيْنِ يَتَدَاخَلَانِ.. وَمِنْهُ الدَّغَلُ فِي الشَّيْءِ، وَهُوَ الْفَسَادُ. وَيَقُولُونَ: أَدْغَلَ فِي الْأَمْرِ، إِذَا أَدْخَلَ فِيهِ مَا يُخَالِفُهُ. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر- بيروت، عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج٢/ص:٢٨٤.

(٤) مجموع الفتاوى، ج١٠/ص:٦٢٨-٦٢٩ بتصرف.

(٥) إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة بيروت، بدون تاريخ، ج٣/ص:٣٢.

(٦) سورة الروم. الآية:٣٠.

ولقوله صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»(١). والله أعلم بالصواب.

مهما يكن من شيء فتلك النصوص والأقوال تدل على أهمية التزكية في حياة الإنسان؛ لأن تزكية النفس أو القلب إنما تعود إلى صاحبها، فهو الذي يجني ثمرتها في الدنيا والآخرة، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾(٢).

وبزكاء النّفس وطهارتها يصير الإنسان زاكيا بحيث يستحقّ في الدّنيا الأوصاف المحمودة، وفي الآخرة الأجر والمثوبة، لذلك يجب على الإنسان الاتصاف بها.

ولَمّا كان للتزكية شأن في الإسلام بهذا المقام، عُني الدعاة القراخانيون بها مثل غيرهم من الدعاة في المجتمع التركستاني الإسلامي، وأثمرت جهودهم في إخراج جيل عالم عابد مجاهد داعية إلى الإسلام، وقد وجد الكثير من العباد والزهاد في المجتمع حتى من بيت الأسرة المالكة، ونجد عند ذكر العديد من العلماء والأمراء يقال عنهم: إنه كان عابدا زاهد وَرِعًا، كما قال ابن الأثير: عند ذِكْر الملك طفغاج خان وولده «وَكَانَ طفغاج خان أَبُو الْمُظَفَّرِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ نَصْرٍ أَيْلَكَ يُلَقَّبُ عِمَادَ الدَّوْلَةِ، وَكَانَ بِيَدِهِ سَمَرْقَنْدُ وَفَرْغَانَةُ، وَكَانَ أَبُوهُ زَاهِدًا وَمُتَعَبِّدًا، وَهُوَ الَّذِي مَلَكَ سَمَرْقَنْدَ، فَلَمَّا مَاتَ وَرِثَهُ ابْنُهُ طُفْغَاجُ، وَمَلَكَ بَعْدَهُ، وَكَانَ طُفْغَاجُ مُتَدَيِّنًا لَا يَأْخُذُ مَالًا حَتَّى يَسْتَفْتِيَ الْفُقَهَاءَ، فَوَرَدَ عَلَيْهِ أَبُو شُجَاعٍ الْعَلَوِيُّ الْوَاعِظُ، وَكَانَ زَاهِدًا، فَوَعَظَهُ وَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ لَا تَصْلُحُ لِلْمُلْكِ. فَأَغْلَقَ طُفْغَاجُ بَابَهُ، وَعَزَمَ عَلَى تَرْكِ الْمُلْكِ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْبَلَد وَقَالُوا: قَدْ أَخْطَأَ هَذَا، وَالْقِيَامُ بِأُمُورِنَا مُتَعَيِّنٌ عَلَيْهِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ فَتَحَ بَابَهُ»(٣).

ومن صلاح هذا الأمير الصالح أنه لم يقابل الشر بمثله عندما اعتدى على مملكته

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الجنائز بَابُ إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ، هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ الإِسْلاَمُ، حديث رقم:١٣٥٨. جمعاء: سليم الجسم والأعضاء. جدعاء: مقطوع الأعضاء.

(٢) سورة فاطر. الآية:١٨.

(٣) الكامل، ج٧/ص:٦٤٤-٦٤٥.

السُّلْطَانُ أَلِبْ أَرْسَلَانَ ونهبها أَيام عَمِّهِ طُغْرُلْبَكَ، بل اكتفى بالشكوى إلى الخليفة ليكفه عن بلاده، فَأُجِيبَ إِلَى ذلك وأرسل إليه الخليفة العباسي أبو جعفر عبد الله القائم بأمر الله الْخِلَعَ والْأَلْقاب لموقفه السامي وتصرفه الحكيم(١).

ومن العلماء الذين اشتهروا بدعوة المجتمع إلى تزكية النفس: أبو عبد الله الحسين بن علي بن خلف بن جبريل بن الخليل بن صالح بن محمد الألمعي الكاشغري المعروف بالفضل، قال أصحاب التراجم عنه: «كان شيخا صالحا متدينا فاضلا واعظا، وكان بكاء خائفا خاشعًا لَا تأخذه في الله لَوْمَةُ لائمٍ، تاب على يده خلق كثير، ومن أشهر مؤلفاته في تزكية النفس: الْمقنع فِي تَفْسِير الْقُرْآن، وَكتاب التَّوبة، وَكتاب الْوَرع، وَكتاب الزُّهد، وزاد العابدين وذخر الزاهدين. تزيد مؤلفاته على مائة وعشرين أكثرها في التصوف والآداب الدِّينِيَّة، رَحل وَسمع وَوعظ، قدم نيسابور سنة خمس وستين وأربعمائة فسمع الكثير وصنف وخرج، وتوفي بعد سنة أربع وثمانين وأربعمائة في بغداد»(٢).

يُعد الكاشغري أستاذ عصره ومربي الأجيال تربية إسلامية، ومآثره مازالت تذكر في أرجاء تركستان، ومن جاء بعده من العلماء الأماثل مثل: محمود الكاشغري (صاحب ديوان لغات الترك) ويوسف خاص حاجب، وأحمد يوكنكي، يرجعون إلى كتبه ويستدلون بأقواله، لاسيما في مجال التربية والأخلاق وتزكية النفس. وكان نشاط هؤلاء العلماء التربويين ينحصر في نقطتين أساسيين هما:

١- تربية الفرد المسلم تربية روحية وفكرية منظمة، وخلق إرادة إيمانية في نفس كل مؤمن والارتقاء به إلى أعلى مراتب الإيمان وهو الإحسان.

٢- العمل على تكوين مجتمع إسلامي منظم تنظيما مثاليا بحيث يصبح كل

---

(١) المرجع السابق، ج٧/ص:٦٤٥.

(٢) الأنساب للسمعاني، ج١١/ص:٢٢. والوافي للوفيات، صلاح الدين الصفدي، ج١٣/ص:١٥. الأعلام للزركلي، ج٢/ص:٢٤٦. لسان الميزان أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: دائرة المعارف النظامية – الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، ط: الثانية، ١٣٩٠هـ /١٩٧١م ج٢/ص:٣٠٥.

شخص في المجتمع متمما للآخر، فينتج عنه مجتمع إسلامي منظم يرتضيه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. وقد استطاعوا — بتوفيق من الله – بالفعل تزكية كثير من الناس فوصلت عظمة الإسلام إلى قلوبهم، فصار الجيل الجديد أصبح شغلهم الشاغل هو الدعوة إلى الله، حيث حملوا على عاتقهم مهمة تبليغ دعوة الإسلام فاجتهدوا فيه قصارى جهدهم، وأدوا دورا مهما في أسلمة القبائل المغولية عندما احتل المغول منطقة تركستان.

المبحث الرابع: المعاملات

ينطلق الحديث في هذا المبحث حول عناية الشريعة في المعاملات شرحاً وتوضيحاً، وإرشاد الناس في تداول المعاملات بالطرق الشرعية الصحيحة مع التحذير من الحرام. ثم تسليط الضوء على جهود الدعاة القراخانيين في المعاملات، وإرشادهم المجتمع في ذلك على ضوء الشريعة بالتدريس والتأليف.

أولا: المعاملات على ضوء الشريعة.

خلق الله ما في هذا الكون لمصلحة بني آدم وسخر له ما في الأرض جميعا، وجعل في يد كل واحد منهم ما لدى الآخر حاجة إليه، وجعل سبحانه وتعالى للحصول على ما بيد الآخر سبيلاً شرعياً مباحاً في المعاملات، حتى لا يبغي بعض الناس على بعض، فشرع لهم العقود حتى يصل كل واحد منهم إلى مبتغاه من غير اعتداء على غيره، وفاضل بين الناس في الأرزاق وجعل القدر ركنا من أركان الإيمان وبين حكمته في ذلك بقوله: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ﴾[1].

وقد حد الله دائرتين منفصلتين: إحداهما دائرة الحلال والأخرى دائرة الحرام – وبينهما أمور متشابهات – وميز بينهما فأذن للإنسان في التصرف في دائرة الحلال وفق ضوابط، منها:

١- أن يعلم أن ما يتصرف فيه ليس ملكا له، وإنما هو ملك لله فليس له أن يفسد فيه ولا أن يضيعه، كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»[2].

٢- عدم الإسراف، وهو صرف الشيء فيما ينبغي زائدًا على الحاجة، وقد حرمه

---

(١) سورة الحديد. الآية:٢٣.

(٢) أخرجه الترمذي أبواب صفة القيامة والرقائق والورع باب في القيامة، حديث رقم:٢٤١٧، وقال هذا حديث حسن صحيح.

الله ذلك وشنع على أهله فقال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[١].

٣- عدم التبذير: وهو تبديد المال فيما لم يؤذن فيه على وجه الإسراف، وقد حذر الله منه فقال: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾[٢].

٤- أن يتعلم الإنسان حكم الله في المعاملات فمن لم يتعلم أحكام المعاملات لا يمكن أن يأتي بها على الوجه الصحيح، كما قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه: «لَا يَبِعْ فِي سُوقِنَا إِلَّا مَنْ قَدْ تَفَقَّهَ فِي الدِّينِ»[٣].

٥- ألا يكون في العقد ما يؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل فإن ذلك مما حرمته الشريعة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾[٤].

٦- ألا تتضمن العقود ما هو مناف للإجمال في الطلب، لقوله صلى الله عليه وسلم: «جِبْرِيلُ عليه السلام نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّهُ لاَ تَمُوتُ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ عَلَيْهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلاَ يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَأْخُذُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ»[٥].

فإذا تقرر هذا فإن للرزق وجهين: وجها لتحصيله، ووجها لصرفه من أين اكتسبه وفيم

---

(١) سورة الأعراف. الآية:٣١.

(٢) سورة الإسراء. الآية:٢٦-٢٧.

(٣) أخرجه الترمذي أبواب الصلاة باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حديث رقم:٤٨٧، وقال هذا حديث غريب، وقال الألباني: حسن الإسناد.

(٤) سورة البقرة. الآية:١٨٨.

(٥) أخرجه البزار في مسنده (البحر الزخار) أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن وآخرين، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ط: الأولى، ١٩٨٨م، ج٧/ص:٣١٤، حديث رقم:٢٩١٤، قال الألباني: حسن صحيح، ورواته ثقات إلا قدامة بن زائدة بن قدامة فإنه لا يحضرني فيه جرح ولا تعديل. صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض، ط: الخامسة، بدون تاريخ، ج٢/ص:١٤٤.

أنفقه، فاقتضى ذلك معرفة ضوابط جمعه وضوابط صرفه. كما قال ابن عابدين نقلا عن العلامي: «كُلُّ مَنْ اشْتَغَلَ بِشَيْءٍ يُفْرَضُ عَلَيْهِ عِلْمُهُ وَحُكْمُهُ لِيَمْتَنِعَ عَنْ الْحَرَامِ فِيهِ، وعَلَى التُّجَّارِ معرفة أحكام البيوع لِيَحْتَرِزُوا عَنْ الشُّبُهَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ فِي سَائِرِ الْمُعَامَلَاتِ، وَكَذَا أَهْلُ الْحِرَفِ»[١].

ثانيا: اهتمام الدعاة القراخانيين في دعوتهم للمعاملات.

لقد اعتنى العلماء القراخانيون بشأن المعاملات كغيرهم من العلماء الآخرين في منطقة تركستان، إذ المعاملات جزء من الشريعة بعد العقيدة والعبادة لا يمكن إهمالها، بل لا تقل أهمية في الدعوة من العقيد، كما روي عن محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله تعالى أنه لما قيل له: لم لا تصنف كتابا في الزهد؟ قال: صنفت كتابا في البيوع[٢].

يعنى: الزاهد من يتحرز عن الشبهات، والمكروهات، في التجارات، وكذلك في سائر المعاملات والحرف. لذلك أتت جهود العلماء القراخانيين ضافية فيها قديما وحديثا في الصور التالية:

١- تأليف الكتب الفقهية وتدريسها.

اهتم العلماء في تصحيح المعاملات في المجتمع التركستاني لتوعية المجتمع أحكام المعاملات وضوابطها بتأليف الكتب وتدريسها، منهم: عَلَاء الدّين أَبُو بكر بن مَسْعُود بن أَحْمد الكاساني[٣] الْحَنَفِيّ، صنف الْبَدَائِع الصنائع في ترتيب الشرائع، وَهُوَ شرح التُّحْفَة وَعرضه على شَيْخه فازداد فَرحا بِهِ وزوجه ابْنَته وَجعل مهرهَا مِنْهُ ذَلِك، فَقَالَ الْفُقَهَاء في عصره شرح تحفته وزوجه ابْنَته، وَله غير الْبَدَائِع من المصنفات مِنْهَا: السُّلْطَان الْمُبين فِي

(١) رد المحتار على الدر المختار محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز بن عابدين الدمشقي الحنفي، دار الفكر-بيروت، ط: الثانية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج١/ص:٤٢، بتصرف يسير.

(٢) تعليم المتعلم طرق التعلم، برهان الإسلام الزرنوجي، تحقيق: مروان قباني، المكتب الإسلامي، ص:٢٨.

(٣) قال ياقوت: كاسان: مدينة..كثيرة الخيرات واسعة الساحات متهدّلة الأشجار حسنة النواحي والأقطار بما وراء النهر. معجم البلدان، ج٤/ص:٢٩٥.

أصُول الدّين، وَتَوَلَّى التدريس بالحلاوية، يقول ضِيَاء الدّين مُحَمَّد بن حبش الْحَنَفِيّ: حضرت الكاساني عِنْد مَوته فشرع فِي قِرَاءَة سُورَة إِبْرَاهِيم حَتَّى إذا انْتهى إِلَى قَوْله تَعَالَى ﴿يثبت الله الَّذين آمنُوا بالْقَوْل الثَّابِت فِي الْحَيَاة الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَة﴾ خرجت روحه عِنْد فَرَاغه من قَوْله وفِى الْآخِرَة. يَوْم الْأَحَد بعد الظّهْر عَاشر رَجَب سنة سبع وَثَمَانِينَ وَخَمْسمائَة[١].

ومنهم: عز الدين أبو الفضل الكاشغري الحنفي. كان إمام بارعا، عالما فقيها، وله مشاركة في عدة علوم. أفتى ودرَّس وانتفع به جماعة من فقهاء الحنفية، توفي تاسع شهر رجب سنة سبع وستين وستمائة بكاشغر[٢].

٢- بناء المدارس.

وقد بنيت مدارس كثيرة لتدريس الفقه وتأهيل الأجيال في فقه المعاملات، وأول مدرسة بنيت لتعليم العلوم الشرعية - بما فيها المعاملات - هي: "المدرسة الساجية للعلوم الإسلامية" تأسست في كاشغر في أوائل سنة (٣٩٠هـ/١٠٠٠م)، في عهد الملك حسن بن سليمان، المشهور بـ هارون بغرا الثاني، ثم تأسست مدرسة حميدية في قرية "دَوْلَتْباغ"، في كاشغر أيضا، وتأسست أيضا في قرية "أُفالْ" التابعة لكاشغر مدرسة محمودية، دَرَّسَ فيها الفقهاء أبواب الفقه أبناء المسلمين في البلاد بشكل منتظم، ثم توافد إليها أبناء المسلمين من الدول المجاورة، لاشتهار المدرسة في تدريس الفقه بشكل علمي ودقيق، وتخرج منها آلاف العلماء والدعاة[٣].

واستمر التدريس في هذه المدارس حتى بعد الدولة القراخانية إلى عهد قريب، لكن بعد وقوع البلاد في قبضة الشيوعية هدموا بعضها وغيروا اسم بعضها وعطلوا منهجها.

٣- إسهام الأمراء في الدعوة إلى فقه المعاملات.

لم يكتف الأمراء بتشجيع العلماء للتأليف والتدريس فحسب، بل باشروا بأنفسهم فقه

---

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ج٢/ص:٢٤٤-٢٤٥-٢٤٦.

(٢) المنهل الصافي لابن تغري الحنفي، ج١/ص:٢٣٨.

(٣) قه دىمكى ئويغورلا وه قاراخانلا، ص:٣٩٤-٣٩٥. شنجاكدا ئوتكه ن ئىسلام خانلقلىرىنك قسقىجه تاريخي، ص:١٣٨.

المعاملات ودراسة الفقه. وفي طليعتهم: السُّلْطَانُ نَصْرُ بن إِبْرَاهِيْمَ، كَانَ مِنْ أَفَاضِلِ المُلُوْك عِلْماً وَرَأْياً وَسِيَاسَةً وَحَزْماً، درس الفِقْه.. وَخَطَبَ عَلَى مِنْبَرِي بُخَارَى وسَمَرْقَنْد، وَتَعَجَّبُوا مِنْ فَصَاحتِهِ[١]. بسبب اهتمام الأمراء لفقه المعاملات، هيئو الظروف للعلماء كي يقوموا بتفقيه المجتمع، وصارت مدينة بخارى مركزا للعلم في عهد الدولة القراخانية، حتى قيل: إن عدد المدارس فيها يزيد على نظرائها في كل مدن آسيا، وسميت مدينة بلخ بقبة الإسلام[٢].

كما أولى الحكام اهتماما ببناء المدارس في مدينة كاشغر حتى سميت المدينة بخارى الصغرى، لكثرة ما بنيت فيها من المدارس، وتوافد أبناء المسلمين إلى بخارى وكاشغر من أقطار العالم لتحصيل العلوم الشرعية، وما زال في المدينتين روح العلم ومحبة العلماء في قلوب الناس إلى يومنا.

---

(١) سير أعلام النبلاء، ج١٩/ص:١٩٣.

(٢) تاريخ بخارى منذ أقدم العصور إلى العصر الحاضر، تأليف: أرمنيوس فامبري، ترجمة وتعليق: د/ أحمد الساداتي ويحيى الخشاب، مكتبة نهضة الشرق- القاهرة، بدون تاريخ، ص:١٠٩.

الفصل الثالث

أصناف المدعوين في دولة القراخانيين

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الوثنيون الكفار.

المبحث الثاني: أهل البدع.

المبحث الثالث: عوام المسلمين.

المبحث الأول: الوثنيون الكفار.

الناظر في تاريخ الأرض يجد دينين اثنين فقط يدينهما البشرية: دين الأنبياء ودين الوثنيين، أما دين الأنبياء فقام بتعريف الناس بربهم، وهو أول دين عرفه الإنسان عند وجوده على وجه الأرض، وذلك: أن آدم عليه السلام كان نبيًّا يعبد الله وحده لا شريك له، وعلَّم أبناءه التوحيد، وأما دين الوثنيين فحادث؛ وقع بعد وفاة آدم عليه السلام بفترة. حدث ذلك لما بدأ ذريته بالانحراف عن الدين فتدرجوا في ذلك حتى وقعوا في الشرك، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾(١). وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ﴾(٢).

ومن السنة قول ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «كَانَ بَيْنَ آدَمَ، وَنُوحٍ عَشَرَةُ قُرُونٍ كُلُّهُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْحَقِّ، فَلَمَّا اخْتَلَفُوا بَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ وَأَنْزَلَ كِتَابَهُ فَكَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً»(٣).

والأنبياء جميعا دينهم واحد ورسالتهم واحدة، وكانوا يدعون قومهم لعبادة الله وحده، كما يقول الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾(٤).

والتزم بهذه الدعوة كل السائرين على درب الأنبياء، وبينما الجميع يسيرون على درب الأنبياء إذ تسللت أمم وتنكبت الطريق المستقيم، وسارت على درب الضلال والزيغ وأنكرت الرب وعبدت الكثير من الآلهة البشرية؛ فكل أمة من الأمم صنعت إلهها المزعوم من البشر

---

(١) سورة البقرة. الآية:٢١٣.

(٢) سورة يونس. الآية:١٩.

(٣) أخرجه الحاكم، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي، المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: الأولى، ١٤١١هـ، ج٣/ص:٤٨٠، حديث رقم:٣٦٥٤.

(٤) سورة المؤمنون. الآية:٣٢.

وغيرهم، كما عبدوا العبد الصالح، عبدوا الماكر الطالح والحيوان الشارد، ضمن سلسلة الآلهة المزعومة الطاغوتية، وعمت هذه الآفة في أقطار الأرض حتى وصلت شرارتها إلى منطقة تركستان. ومرجع تلك الآلهة أصنام وأوثان.

مفهوم الوثن لغة واصطلاحا.

أ. مفهوم الوثن لغة:

يطلق الوثن في اللغة: على الإقامة في المكان والثبات، قال ابن منظور: «الوَثْنُ والوَاثِنُ: الْمُقِيمُ الرَّاكِدُ الثَّابِتُ الدَّائِمُ.. وَقَدْ وَتَنَ ووَثَنَ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، مَعْنَاهُمَا الدّوْمُ عَلَى الْعَهْدِ.. والوَثْنة: الكَفْرَةُ. والمؤْثُونة: المرأَةُ الذَّلِيلَةُ»(١).

ب. مفهوم الوثن اصطلاحا:

يطلق الوثن في الاصطلاح: «على التمثال الذي يُعبد من دون الله، سواء أكان من خشب أم حجر أم نحاس أم فضة أم غير ذلك. وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ مَنْ يَتَدَيَّنُ بِعِبَادَتِهِ عَلَى لَفْظِهِ فَيُقَالُ رَجُلٌ وَثَنِيٌّ وَقَوْمٌ وَثَنِيُّونَ وَامْرَأَةٌ وَثَنِيَّةٌ وَنِسَاءٌ وَثَنِيَّاتٌ»(٢).

الفرق بين الوثن والصنم، كما قال ابن الأثير: «الوثن كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض، أو من خشب، أو حجارة كصورة الآدمي تعمل وتنصب فتعبد. والصنم: الصورة بلا جثة، ومنهم من لم يفرق بينهما، وأطلقهما على المعنيين»(٣).

وقد يطلق الوثن على غير الصورة، لحديث عدي بن حاتمﷺ قال: «أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب، فقال لي: يا عدي اطرح عنك هذا الوثن»(٤).

واسم الوثن يتناول كل معبود من دون اللّه. سواء كان ذلك المعبود قبراً، أو مشهداً، أو

---

(١) لسان العرب، ج١٢/ص:٤٤٢.

(٢) المعجم الوسيط، ج٢/ص:١٠١٢. المصباح المنير، ص:٦٤٨.

(٣) النهاية في غريب الحديث ١٥١/٥ و٥٦/٣.

(٤) أخرجه الترمذي كتاب التفسير، باب: ومن سورة التوبة، حديث رقم:٣٠٩٥. قال الألباني: حسن.

صورة، أو غير ذلك. وكل من دعا نبيّاً أو وليّاً أو ملكاً أو جنيّاً، أو صرف له شيئاً من العبادة فقد اتخذه إلهاً من دون الله[١].

وأول ديانة شركية وثنية وصلت إلى تركستان منذ العصر الحجري هي الديانة الشامانية[٢]. وتليها البوذية[٣]، وذلك أن بعض القبائل التركية لما اطلعوا على مناقب بوذا من كرامات ومعجزات المدَّعَيَةِ في المنشورات الدعوية للبوذيين في منطقتهم، مالت أنفسهم إلى اعتناق الديانة البوذية وارتدوا عن الشامانية. ولم يعتنق أتراك آسيا الوسطى وتركستان

---

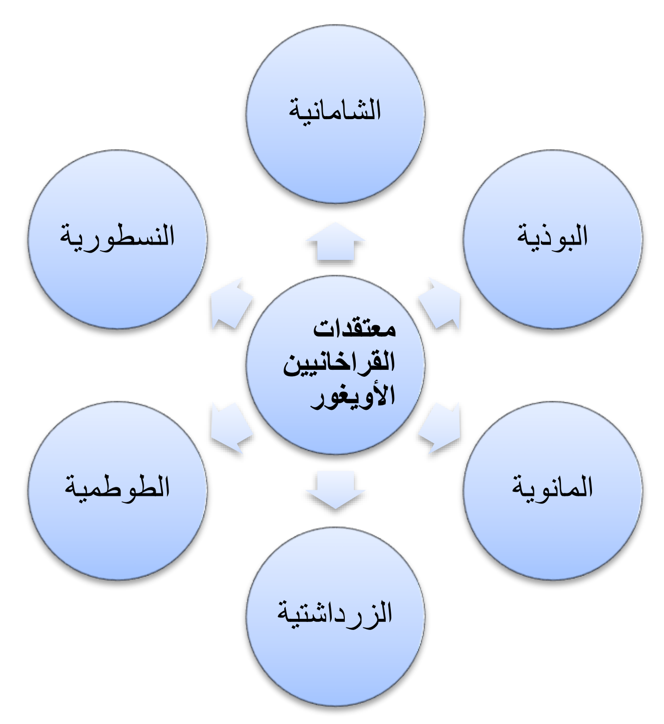
(١) فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية- القاهرة، ط: السابعة ١٣٧٧هـ، ص:٢١٩-٢٢٠.

(٢) وهي ظاهرة دينية تعتمد على السحر والكهانة والتنجيم والطب الروحي. وجدت في سيبيريا ثم انتشرت في آسيا الوسطى ومناطق أخرى في العالم، مثل: أستراليا وأفريقيا وأمريكا الشمالية والجنوبية وغيرها. وهي كلمة سيبيرية معناها "العارف"، ومن المرادفات لها: الوسيط، المشعوذ، الدجال، الساحر، الكاهن، العراف، المنجم. والمعرفة التي يمتلكها الشامانز هي المعرفة الباطنية، يدعي أتباعها أن الشامان يطلع على ماوراء العالم. ينظر: الشامانية للباحث مرسيا إيلياد، ترجمة: صفا محمد، منشورات أكاديمية ريكي زن، ط: السادسة، بدون تاريخ، ص:٣. وينظر: موسوعة تاريخ الأديان، فراس السواح، دار التكوين للنشر، دمشق- سوريا، ط: الرابعة، ٢٠١٧م، ج١/ص:١٥٩ وما بعدها. وينظر: قه دىمكي ئويغور مه دنييتي (ثقافة الأويغور الأوائل)، تأليف: ئىمىن تورسون، شىنجانغ خه لق نه شرياتي، ط: الأولى، ٢٠٠٠م، ص:٨٧ وما بعدها.

(٣) نسبة إلى مؤسسها الملقب ببوذا، كان اسمه عند ولادته (سدهاتا) وفي مرحلة الرهبنة سمي (جوتاما) أي: الراهب المنعزل عن الناس، ثم في النهاية سمي (بوذا) أي: العارف المستيقظ والعالم المتنور. ولد بوذا ٦٢٣ق م، في مدينة لُمْبَني في دولة نبال، من عائلة آرية ومات سنة ٥٤٣ق م. وعقيدته تدعو إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف والمناداة بالتسامح، ويعتقد البوذيون أن بوذا هو ابن الإله عندهم وأنه مخلِّص البشرية من مآسيها. ينظر: الإسلام والأديان (دراسة مقارنة) د/ مصطفى حلمي، دار الكتب العلمية بيروت — لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ، ص:٦٦. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط: الرابعة، ١٤٢٠هـ، ج٢/ص:٧١٢.

الشرقية دينا معينا بشكل أساسي وجماعي قبل الإسلام[١].

وهذا ما سهل انتشار الإسلام في المنطقة بشكل سريع؛ لأنه لما كثر تقلب الأديان في البلاد توقف بعض العقلاء عن التدين، فلما وصل الإسلام إلى بلادهم قبلوه بصدر رحب وقناعة نفس. وبالجملة: الأديان التي اعتنقها الأويغور في تاريخهم قبل الإسلام ستة، كما تتضح في الشكل التالي:



وكان لطريق الحرير العظيم – الذي يمر عبر آسيا الوسطى – دور مهم في حياة الشعب الاجتماعية والثقافية، وكان رجال العلم في العالم يقومون بمهمة نقل الآثار الفلسفية والأدبية والمدنية والأديان من الغرب إلى الشرق أو العكس. وكانت بلاد تركستان لأمن طرقها وحسن نظامها ممرا للأديان والأفكار إلى الهند وإيران وغيرهما من الدول، من الشرق الأدنى إلى الشرق الأقصى، فاحتك أهل البلاد مع هؤلاء وتأثروا بديانتهم الباطلة[٢].

وفيما يلي: نبذة عن تلك الأديان.

---

(١) قضية تركستان الشرقية، عيسى يوسف آلبتكين، ص:٤٩. قصة الديانات تأليف: سليمان مظهر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط: بدون، عام ١٤١٥هـ، ص:١٤٠.

(٢) تركستان قلب آسيا، عبد العزيز جنكيزخان، ص:٢٢.

١- الشامانية:

تعتبر الشامانية من أقدم الممارسات الروحانية في العالم، تعود جذورها للعصر الحجري، وكانت أول ديانة القبائل التركية في تركستان قديما واستمرت فيهم ألفي سنة[١]، والشامان (الساحر أو الكاهن) عند الأتراك كالعزيز أوالقِدِّيسِ عند النصارى، وبالغوا في تقديسه حتى قالوا: إن الشامان يعلم الغيب ويتصرف في أحوال الجوّ، فَيُنَزِّلُ الْغيثَ، ويُرْسِلُ الرياحَ متى شاء، ويمنع الآفات، أو يسلّط المصائبَ والأهوالَ على من يشاء، ويملك الشفاعة عند إله السماء لمن يشاء. إضافة إلى اعتقادهم أن من أراد منهم أن يكون له حظّ من الاتصال بإله السماء فيتلقى منه الوحي نزحَ إلى خلوةٍ ومارسَ الرياضة على الطريقة الصوفيّة يُصبحَ شامانَ بعد مدة، يحذر الناس من لعنته، والعوام ينظرون إليه نظرة الإجلال والتوقير[٢].

ويطلق الشامان أيضا على الطبيب الذي يعالج المرضى مستعينا بعلم السحر، وكانوا يعتقدون أيضا أن الشامان مرشد الأرواح في العالم الآخر، وذلك أن أرواح الموتى إذا انتقلت للعام الآخر تصاب العديد منها بصدمة ولا تعرف طريقها، وتحتاج إلى مرشد يساعدها في الوصول إلى بيتها الجديد، وهنا يأتي دور الشامان[٣].

ولم يزل بعض آثار الاعتقاد الشامانية في أوساط المجتمع الأويغوري في تركستان الشرقية إلى يومنا هذا، وبالأخص أثر الطب الروحاني، ومن ذلك: وجود ناس يَدَّعون أنه سُخِّرَ لهم الجنُّ ويقدرون على فك السحر وعلاج المرضى بمساعدة الجن. يُسمون في المجتمع "جِنْكَشْ"، والبعض الآخر يَدَّعي أنه ورث كرامة أو حصل على إجازة في علاج المرضى بالرقية- التي فيها أخلاط من الألفاظ العربية والفارسية وألفاظ غير مفهوم المعنى، بضرب خفيف بسيف مغمود أو بقرن الحيوانات على أماكن الألم في الجسم- يُسمى ذاك الشخص

---

(١) قه دىمكي ئويغور مه دنييتي، ص:٨٧.

(٢) الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها، تأليف: الشيخ فريد الدين آيدن، دار العبر للطباعة والنشر إسطنبول- تركيا، ط: الأولى، ١٩٩٧م، ص:١٢-١٥. قه دىمكي ئويغور مه دنييتي، ئىمىن تورسون، ص:٨٤-٨٥.

(٣) الشامانية للباحث مرسيا إيلياد، ص:٤. قه دىمكي ئويغور مه دنييتي، ص:٨٩-٩٠.

"باخْشِي" أو "داخانْ"، وكثير من الناس يرجعون إلى هؤلاء للاستشفاء رغم تحذير العلماء عن ذلك. بسبب عدم وجود من يرقي بالرقية الشرعية.

٢- البوذية:

وصلت العقيدة البوذية إلى تركستان من الهند في القرن الثاني قبل الميلاد، وانتشرت في مدينة خُتَنْ، وكاشغر، وكوچا، وقارا شهر، وطورفان، وبعض أهل هذه المدن قبلوا هذه الديانة وصاروا بوذيين، ومازال انتشار البوذية بعد الميلاد أيضا في المنطقة(١).

ومن آثار هذه الديانة في البلد ما سجله التاريخ من الحروب والقتال مع الدولة القراخانية الإسلامية، ووجود معابد بوذية فيها، كثير من الأصنام والتماثيل في كل من مدينة طورفان وكوچار وقراشَهَرْ، قال: أحد السياح الصيني الذي زار تركستان الشرقية قديما «رأيت في مدينة قوجو (وهو الاسم القديم لمدينة طورفان) عاصمة دولة إيديقوت خمسين معبدا بوذيا»(٢). وتوجد بعض هذه المعابد إلى يومنا هذا، لكنها صارت متحفا، لعدم وجود مرتاديها من البوذيين في المجتمع التركستاني.

٣- المانوية:(٣).

هذه الديانة حديثة في تركستان، واعتنقها أتراك الأويغور بعد سنة (١٤٥هـ/٧٦٢م)،

---

(١) تاريخ الأتراك وحضارتهم في آسيا الوسطى، تورغون آلماس، ص:٣٥.

(٢) تاريخ تركستان الشرقية، محمد قاسم أمين، ص:٢٣٦.

(٣) لفظ فارسي معناه الفريد أو النادر. وصار مذهبا يُنسب إلى ماني بن فاتك، وهو رجل فارسي من أهل بابل، وقيل: من أهل همذان، ظهر في زمان سابور بن أردشير، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور وذلك بعد عيسى ابن مريم عليه السلام. بين عامي (٢١٥- ٢٧٦م)، أحدث دينا بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام. ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام. ادعى النبوة وقال: إن كل شيء يخرج من أصلين رئيسيين هما: النور والظلام أو الخير والشر. وقال عن المرأة: "هي خير ما صنع، وهي عامله الأكبر في إغواء الرجل وإيقاعه في الذنوب". ينظر: الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، مؤسسة الحلبي، بدون تاريخ، ج٢/ص:٤٩. وكتاب ماني والمانوية، تأليف: جيو وايد نفرين، ترجمة: د/سهيل زكّار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق — سوريا، ط: الأولى، ١٤٦هـ، ص:٤٠. قصة الحضارة، ج١١/ص:٢٩٥.

وسبب وصوله إلى تركستان، أن زعيم الأتراك آنذاك (بوغو قاخان) لما رأى قومه يتأثرون بالثقافات الصينية ويقبلون معتقداتهم البوذية، ذهب إلى الصين في التاريخ المذكور، والتقى بالرهبان الصغديين المانويين هناك، وقبل الديانة المانوية وتعلم مبادئها جيدا، ثم أخذ في معيته أربعة من الرهبان الصغديين، بغية أن ينقذ قومه من تأثير الصينيين البوذيين، حتى لا يقع شعبه فريسة للصينيين مستقبلا.

وبينما كان هذا المعتقد ينتشر في البلاد، تعرض بوغو قاخان للاغتيال قبل تحقيق هدفه، لذلك لم ينتشر إلا قليلا. ثم انتشرت نوعا ما، بعدما هاجر بعض الأتراك من منغوليا إلى تركستان، حدود سنة (٢٢٥هـ/٨٤٠م)، فكان هؤلاء قد قبلوا الديانة المانوية في منغوليا، وبعد وصولهم إلى تركستان زاد أتباع المانوية، وبرز المانيون في الساحة، وأثناء انتشار هذا المعتقد في تركستان صادف قيام الدولة القراخانية الإسلامية فانكمش[١].

ومن آثار هذه الديانة في المجتمع التركستاني تعظيم الشمس، وإلى الآن مازال هذا الأثر، حيث يقول بعضهم عند التعهد على شيء "الشمس مشرقة وواقفة هنا وأنا أَفي بعهدي، أو لا أكذب" إلى غير ذلك من التعظيم. وكذلك وجود بعض الآثار، حيث اكتشف علماء الآثار في محافظة لُبْنُورْ — التابعة لولاية كورلا - قبراً وجدوا فيه ميتا يرجع تاريخه إلى عهد بعيد، وقد سُنِّمَ القبرُ بالأخشاب على قرص الشمس من أجل تعظيمهم لها[٢].

٤- الزرادشتية:[٣]

---

(١) شه رقي توركستان تاريخي، ص:١١٨-١١٩. تاريخ الأتراك وحضارتهم في آسيا الوسطى، تورغون آلماس، ص:٣٥. ماني والمانوية، جيو وايد نفرين، ص:١٧٠. أتراك الأويغور، أركن آلبتكين، الناشر: وقف تركستان الشرقية، ط: الأولى، ٢٠١٢، ص:١٠٤.

(٢) قه دىمكي ئويغور مه ده نيتي، ص:٧٤-٧٥.

(٣) نسبة إلى مؤسسها زرادشت الفارسي الذي عاش (٦٧٤-٥٥١ق.م) وتعرف هذه الديانة أيضا بالمجوسية، يَعتقد الزرادشتيون بوجود إلهٍ للخير وإلهٍ للشرِّ، فيسمُّون إله الخير أو النور "أهورامزدا" ويسمُّون إله الشر أو الظلمة "آهرمان". ويقولون بوجود صراع بين هذين الإلهين؛ كما يعتقدون أن زرادشت نبي الله. ويقدسون النار، لذلك يتلثمون عند إيقادها لئلا يصيب الزفير إليها فيلوثه.

وجد هذا المعتقد الباطل في تركستان في وقت مبكر مع المعتقدات السابقة المنتشرة في المنطقة، لكن رغم قلة معتنقيها في المجتمع التركستاني بقي بعض آثارها في البلد إلى عصرنا الحاضر، ومن تلك الآثار: التبرك بالنار دون اعتقاد التقديس لها، جهلاً عن الوقوع في المخاطر والتقليد. كاستشفائهم بالنار للأطفال الصغار، إلى السنة من الولادة، بجمع حزمة من الحطب الصغير من عدة جهات في الشارع العام، ووضعه في صحن مع قطعة شحم ثم إشعال النار فيه، ثم إدارة النار من فوق الطفل الصغير عدة مرات، زعما أن ذلك يشفيه من مرض المغص ويوقفه عن البكاء الزائد. ومن تبركهم بالنار أيضا وضع النار في عتبة الباب عند زفاف العروس إلى زوجها ومفارقة بيت أبيها، حيث تقفز على هذه النار. زعما أن ذلك يقيها من شر المعاشرة الزوجية.

٥- الطوطمية:[(١)]

يعتقد أصحاب هذا المعتقد أن لكل نسمة له صلة وقرابة بمخلوق آخر، ويرجحون هذا المخلوق: الثور الجبلي أو النسر، وكانوا إذا أرادوا التنقل من مكانهم إلى مكان آخر، أو أرادوا الحرب يطلقون النسر أولا ثم يطلقون ثورين بعده، وينزلون حيث وقع النسر، وفي الحروب أيضا يُقْدِمون إذا طار النسر، وإذا لم يطر فيتوقفون. وانتشر هذا المعتقد في تركستان

=

ينظر: أطلس الأديان، تأليف: سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، مكتبة عبيكان، ط: الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م، ص:٦٠٠ وما بعدها.

(١) الطَّوْطَم كلمة مشتقة من لغة الأبجوا الأمريكية الأصلية، وهي ديانة مركبة من الأفكار والرموز والطقوس تعتمد على العلاقة بين جماعة إنسانية وموضوع طبيعي يسمى الطوطم، والطوطم يمكن أن يكون طائراً أو حيواناً أو نباتاً أو ظاهرةً طبيعية أو مظهراً طبيعياً مع اعتقاد الجماعة بالارتباط به روحياً. ينظر: حاشية الطوطم والحرام، سيغموند فرويد الألماني، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت، عام١٩٦٥م، ص:١١. الطوطم والتابو، تأليف: سيغموند فرويد، ترجمة: بوعلي ياسين، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية- اللاذقية، ط: الأولى، ١٩٨٣م، ص:١٢٣. الطوطمية أشهر الديانات البدائية علي عبد الواحد وافي، دار المعارف — مصر، عام١٩٥٩م، ص:٧-٨.

بين أهالي مدينة "آلتاي[١]"[٢].

يقول الكاتب/ سيغموند فرويد: أن الطوطم «نظام ديني واجتماعي في آن معا، فمن وجهة النظر الدينية يتجلى في علاقات الاحترام والمراعاة المتبادلة بين الإنسان وطوطمه، ومن وجهة النظر الاجتماعية يتمثل في التزامات متبادلة قائمة بين أفراد العشيرة، وكذا التزامات الترابط بين قبيلة وأخرى.. وينجم عن هذا الاعتقاد امتناعهم عن قنص الحيوان الطوطم وقتله وأكله، بل يحرم في اعتقادهم لمسه ومناداته، متى ما انتهك شخص هذه المحظورات الحامية للطوطم يعاقب آليا بأمراض خطيرة وبالموت»[٣].

لقد قَلَّ أتباع هذا المعتقد فيما يبدو أيام انتشار الدعوة البوذية في المنطقة، بل اندمجوا مع البوذيين مثل: الشامانيين، ولهذا لا يوجد أي آثار لعُبّادِ الطوطم في تركستان. بينما توجد للشامانيين والبوذيين بعض التقاليد والعادات والآثار في المنطقة، وبالأخص في البوادي.

٦- **النسطورية:**[٤].

جاءت النسطورية إلى تركستان بواسطة التجار الصغديين الذي جاؤوا من بخارى وطشقند[٥] وسمرقند[١]. يعتقد أتباعها أن القتل وقع على المسيح من جهة ناسوته، لا من

---

(١) وهي مدينة تقع في أقصى شمال تركستان الشرقية، فيها جبال معروفة بجبال ألتاي، الممتدة منها إلى سيبريا، وهو الموضع الأصلي للعرق التركي. كما تذكره كتب التاريخ. تعريف الطالب الباحث.

(٢) قه دىمكي ئويغور مه ده نيتي، ئىمىن تورسون، ص:٦٤.

(٣) الطوطم والحرام، سيغموند فرويد الألماني، ص:١٣٦-١٣٧، بتصرف.

(٤) أصحاب نسطور بطريركا بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ الذي ظهر في زمان المأمون، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه. قال: إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، والعلم، والحياة. وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات، ولا هي هو. واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام، لا على طريق الامتزاج.. كإشراق الشمس في كوة على بلورة. وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم. الملل والنحل للشهرستاني، ج٢/ص:٢٩، باختصار.

(٥) وهي المنطقة الواقعة فيما وراء النهر، عاصمة أوزبكستان حاليا، وكانت تعرف قديما بإقليم الشاش، فتحها العرب المسلمون في القرن الثامن للميلاد، ثم استولى عليها جنكيزخان في القرن الثالث عشر للميلاد، واستولت عليها روسيا القيصرية عام ١٨٦٨م، وظلت إحدى جمهوريات الاتحاد

جهة لاهوته[٢]، لأن الإله لا تحله الآلام.. وإن المسيح ابتدأ من مريم عليها السلام، وإنه عبد صالح مخلوق، إلا أن الله تعالى شرفه وكرمه لطاعته وسماه ابنا على التبني، لا على الولادة والاتحاد. إضافة إلى اعتقادهم أن الرجل إذا اجتهد في العبادة، وترك التغذي باللحم، والدسم، ورفض الشهوات الحيوانية والنفسانية.. يبلغ ملكوت السماوات، ويرى الله تعالى جهرة وينكشف له ما في الغيب فلا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء[٣].

ومن آثار هذا المعتقد في البلد وجود الكنيسة في كل من مدينة طورفان، وقارا شهر، وكوچا، ومازال أتباعها ينشرون دعوتهم بوسائل مختلفة بدعم من الغرب.

تلك جملة الكفار الوثنيين الذين تعاقبت معتقداتهم تركستان عبر التاريخ، ومع دُنُوِّ فجر الإسلام إلى المنطقة اندمجت الطوائف كلها مع الوثنيين البوذيين، لذلك لا نجد أي خبر لتلك الطوائف مع الدولة القراخانية الإسلامية سوى خبر البوذيين من دعوتهم إلى الإسلام والحرب والهدنة معهم وما أشبه ذلك. وفيما يلي بعض التفاصيل في دعوة القراخانيين مع البوذيين.

جهود الدعاة القراخانيين في دعوة الوثنيين الكفار.

حرص الدعاة القراخانيون في دعوة البوذيين إلى الإسلام ولم يألوا جهدا في سبيل ذلك، منذ مستهل دولتهم الإسلامية في البلد، وفي طليعتهم: ملك تركستان ستوق بغراخان،

= السوفييتي منذ عام ١٩٢٤م، إلى أن نالت استقلالها عام ١٩٩١م. ينظر: الموسوعة العربية الميسرة، لمجموعة من المؤلفين، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ط: الثالثة، ٢٠٠٩م، ج١/ص:١٨٨٨.

(١) ينظر: قه دىمكي يىپه ك يولىدىكي مه دىنىيه ت، الناشر: شىنجانك كوزه ل سه نئه ت نه شرىياتي، عام ١٩٩٤م، ص:٨٤.

(٢) الناسوت: الطبيعة البشرية، واللاهوت: الألوهية. المعجم الوسيط، ج٢/ص:٨٤١.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني، ج٢/ص:٣٠، باختصار. وينظر: الفِصَلْ في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري، مكتبة الخانجي- القاهرة، بدون تاريخ، ج١/ص:٤٧-٤٨.

وشيخه الداعية أبو نصر الساماني، ولفيف من العلماء المساندين لهم من نيسابور[١] وخراسان وأفغانسان، وقد أسلم على أيديهم عدد كبير من الناس. واستهل بغراخان بدعوة المجاورين لمقر حكمه، في كل من مدينة كاشغر، وياركند، وآقسو[٢]، وئيلي (غولجا)، وبلاساغون، وقد لاقت دعوته استجابة بين قومه، وسرعان ما انتشر الإسلام في هذه المدن وعم بين جميع أهاليها[٣].

تفنن الدعاة لتحقيق ذلك الهدف النبيل في الوسائل والأساليب انطلاقا من قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[٤].

ومن أصر على الكفر ولم تنفعه تلك الأساليب الطيبة من البوذيين، بل حاربوا الدعوة، لم يجبن الدعاة عن مجابهتهم فما ضعفوا وما استكانوا، ولبوا نداء ربهم للجهاد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾[٥]. وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾[٦]. وتحقق فيهم مدح ربهم: ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٧]

وقوله صلى الله عليه وسلم: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ

---

(١) قال ياقوت: «وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء، وقد خرج منها من أئمة العلم من لا يحصى، ولم أر فيما طوّفت من البلاد مدينة كانت مثلها، وهي دهليز المشرق، وعهدي بها كثيرة الفواكه والخيرات». معجم البلدان، ج٥/ص:٣٣١-٣٣٢، باختصار.

(٢) وهي إحدى أكبر مدن تركستان، تقع في الجزء الجنوبي منها، ومعظم أراضيها خصبة، لذلك يكثر فيها العديد من أنواع الزروع والثمار، مثل: القطن والحبوب والفواكه والزيوت، والشمندر، واليقطين. الموسوعة الحرة: نت، تاريخ الزيارة:١/١٢/١٤٤٠هـ.

(٣) قه دىمكى ئويغورلا وقاراخانىلا، ص:٢٣٩.

(٤) سورة النحل. الآية:١٢٥.

(٥) سورة التوبة. الآية:١٢٣.

(٦) سورة البقرة. الآية:١٩٠.

(٧) سورة آل عمران. الآية:١٤٦.

مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»[1].

وبناء على ذلك قام الدعاة بإزالة العوائق أمام الدعوة فقاتلوا البوذيين، حتى كتب الله لهم النصر والظفر على أعدائهم، وقد خُيِّرَ البوذيون بين الإسلام وبين القتال، أو الاستسلام، مع دفع الجزية عن يد وهم صاغرون، وقد حدث كل الحالات معهم في عدة وقائع.

مثال الاستجابة للدعوة: إسلام نحو مِائَتَيْ أَلْفِ خَرْكَاةٍ من كفار الترك الوثنيين في عهد الملك سليمان أرسلان خان بن ستوق بغراخان، في يوم واحد عام ٣٤٩هـ/٩٦٠م[2]، أي مائتي ألف أسرة ما يعادل مليون شخص. ولم يزل الدعاة يدعون هذا الصنف من المدعوين، حتى آتت جهودهم الدعوية أُكلها، بإسلام عشرة آلاف أسرة مِنْ كُفَّارِ التُّرْكِ أيضا في عهد شرف الدولة أبي شجاع أرسلان خان، عام ٤٣٥هـ/١٠٤٣م، وهؤلاء البوذيون كانوا من أهل التبت، قد اعتادوا على قضاء فصل الشتاء بِنوَاحِي بَلَاسَاغُونَ وَكَاشْغَرَ، ومن عادتهم النهب والإفساد حيث نزلوا، فخرج إليهم الملك أبو شجاع أرسلان خان ليصد شرهم ويحاربهم، لكنه فضل دعوتهم ودعاهم إلى الإسلام، فاستجابوا وأسلموا، وَكَفَى اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ شَرَّهُمْ. وهؤلاء الكفار كَانُوا يَجْتَمِعُونَ لِيَحْمِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا تَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ، فَكَانَ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ أَلْفُ أسرة تقريبا لِأَمْنِهِمْ[3].

ومثال دفع الجزية: بعدما أخضع ستوق بغراخان أهالي مدينة ختن وكوچار من البوذيين، وجه دعوته إلى دولة إديقوت البوذية المتمركزة في قراشهر وطورفان، عام ٣٣٩هـ/٩٥٠م، فلم تقبل الدولة البوذية الدعوة الإسلامية بل أعلنت الحرب على الإسلام،

---

(١) متفق عليه. خ: كتاب الإيمان باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة فخلوا سبيلهم، حديث رقم:٢٥. م: كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، حديث رقم:٣٢.

(٢) تجارب الأمم وتعاقب الهمم لابن مسكويه، ج٦/ص:٢٢٢. الكامل، ج٧/ص:٢٣٠. تاريخ الترك في آسيا الوسطى، بارتولد، ص:٨٩.

(٣) الكامل، ج٨/ص:٤٥.

وخاض بغراخان معهم في حرب ضروس، وبعد قتال شديد استسلمت وخضعت للدولة الإسلامية، فلم تتشرف بالإسلام، بل رضيت على دفع الجزية عن يد وهم صاغرون[١].

ومثال القتال: عندما نقض البوذيون العهد في مدينة ختن، وأعلنوا التمرد على القراخانيين، وهاجموا الجيش الإسلامي، حاربهم ستوق بغراخان، وهذا أول قتال للجيش الإسلامي مع الكفار البوذين حتى استسلموا، وأسلم معظمهم، لكن بعضهم ارتدوا عن الإسلام لاحقا عام (٤٠١هـ/١٠١٠م)، وقاتلهم يوسف قدرخان شر قتال، واستأصل البوذين عن بكرة أبيهم، إلا من عصم نفسه بالإسلام، كما يقول بارتولد: «ولم يُرَ الإسلامُ حسب آخر معلوماتنا يُنْشرُ في تركستان بقوة السلاح إلا في هذه الموقعة»[٢].

وهكذا أصبح الدين كله لله في أرض تركستان. سبحان القائل: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾[٣]. تحقق ذلك بعدما كانت البلاد مشحونة بالأديان الباطلة، ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[٤].

---

(١) قه دىمكى ئويغورلا وقاراخانىلا، هاجي نور هاجي ص:٢٤٠-٢٤١.

(٢) تاريخ الترك في آسيا الوسطى بارتولد، ص:١٠٥. قه دىمكى ئويغورلا وقاراخانىلا، ص:٢٤٠، وص: ٢٥٩، ٢٦٠.

(٣) سورة الأنفال. الآية:٣٩.

(٤) سورة الروم. الآية:٤-٥-٦.

المبحث الثالث: أهل البدع:

إن دعوة المبتدع لا تقل أهمية عن دعوة المشرك، حيث إن القضاء على الشرك حمايةٌ للتوحيد، كذلك القضاء على البدعة حمايةٌ للكتاب والسنة، وحمايةٌ للبلاد والعباد. والبدعة من أكثر ما يواجه المسلمون في حياتهم، وأخطرها جلباً للمصائب فيما بينهم، حيث يفعلها الجاهل أو مطموس البصيرة من أدعياء العلم – ليس ظناً فحسب بل – مدعياً أنها سنة. ومن دأب هؤلاء قديماً وحديثاً أنهم يَحْتَمُون بالحكام الفسقة، وتسببوا قديماً لمحنة كثير من العلماء الربانيين انحيازا لهوى الحكام وإرضاءً لهم. وقصة إمام السنة أحمد بن حنبل رحمه الله خير دليل على ذلك.

مفهوم البدعة لغة واصطلاحا:

أ. البدعة لغة: من «بدَع الشيءَ يَبْدَعُه بَدْعاً وابْتَدَعَه: أَنشأَه وبدأَه.. وأَبدعْتُ الشَّيْءَ: اخْتَرَعْته لَا عَلَى مِثال. والبَديع: مِنْ أَسماء اللَّهِ تَعَالَى لإِبْداعِه الأَشياء. والبِدْعُ: الشَّيْءُ الَّذِي يَكُونُ أَوّلًا. وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾[1]، أَي مَا كُنْتُ أَوّلَ مَنْ أُرْسِلَ، قَدْ أُرسل قَبْلِي رُسُلٌ كَثِيرٌ. وأَبْدَعَ وابْتَدَعَ وتَبَدَّع: أَتَى بِبدْعةٍ، قَالَ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها﴾[2] وبَدَّعه: نَسَبه إِلى البِدْعةِ. والبِدْعةُ: الحَدَث وَمَا ابْتُدِعَ مِنَ الدِّينِ بَعْدَ الإِكمال»[3].

قال الراغب الأصفهاني: «والبدعة في المذهب إيراد قول لم يستن قائلها وفاعلها فيه بصاحب الشريعة وأماثلها المتقدمة وأصولها المتقنة»[4].

ب. أما البدعة اصطلاحا: فهي اسم من الابتداع، وهي أمر محدث، سواء كانت محمودة، أم مذمومة، ثم غلب استعمالها فيما هو نقص في الدين أو زيادة. وعلى هذا جاء تعريف العلماء لها. قال الصنعاني رحمه الله بأنها: «الذهاب إلى قول لم يدل عليه

---

(١) سورة الأحقاف. الآية:٩.

(٢) سورة الحديد. الآية:٢٧.

(٣) لسان العرب، ج٨/ص:٦.

(٤) المفردات للراغب الأصبهاني، ص:١١٠-١١١.

دليل»[١].

وقال الشاطبي رحمه الله، بأنها «عِبَارَةٌ عَنْ: طَرِيقَةٍ فِي الدِّينِ مُخْتَرَعَةٍ، تُضَاهِي الشَّرْعِيَّةَ يُقْصَدُ بِالسُّلُوكِ عَلَيْهَا الْمُبَالَغَةُ فِي التَّعَبُّدِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ»[٢].

تاريخ نشأة البدعة:

أول بوادر البدعة وبذورها ظهرت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة، وهي: بدعة الخوارج الحرورية، لكنها لم تكن ظاهرة على السطح، أو بارزة للعيان، ولم تكن قد اتخذت مساراً فكرياً أو عملياً واضحاً، وإنما كانت بمثابة اعتراضات سطحية جانبية لم تشكل عمقاً، ولم تكن ذات بال، ولولا أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر بأنها بِذْرَةٌ لفِرْقة تخرج فيما بعد، لما التُفِتَ إليها ولم تُفْطَنْ لها. وبطل هذه البلية وحامل لواءها، وأسوتها السيئة إلى يوم القيامة، هو ذو الخويصرة التميمي، وهو مثل: عمرو بن لحي الذي سن عبادة الأصنام في جزيرة العرب، ومثل: قابيل الذي سن القتل في بني آدم. وقد سنَّ ذو الخويصرة البدعة في الإسلام بالاعتراض والطعن على صاحب الشريعة، وخير البرية محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم. فعن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا، أَتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ، فَقَالَ: وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ. فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ[٣]، يَمْرُقُونَ[١] مِنَ الدِّينِ كَمَا

(١) القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، لسعدي أبو حبيب، دار الفكر، دمشق- سورية، ط: الثانية: عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص:٣٢.

(٢) الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان السعودية، ط: الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج١/ص:٥٠.

(٣) مفردها تَرْقُوَةٌ، وهِيَ عَظْمٌ يصلُ بَيْنَ ثُغرة النَّحْرِ وَالْعَاتِقِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ، وَالْمَعْنَى أَن قراءَتهم لَا يَرْفَعُهَا اللَّهُ وَلَا يَقْبَلُهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ تُجاوز حُلوقهم، والمراد أنهم لا يفقهون معناه ولا تخشع له قلوبهم ولا يؤثر في نفوسهم فلا يعملون بمقتضاه. وَلَا يَحْصُلُ لَهُمْ غَيْرُ الْقِرَاءَةِ. لسان العرب لابن منظور،

يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ[٢]، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ[٣] فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ[٤] فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ، - وَهُوَ قِدْحُهُ[٥] -، فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ[٦] فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ[٧]، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ[٨]، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ، أي: زمن فرقة بينهم، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ صلى الله عليه وسلم

=

ج١٠/ص:٣٢. بتصرف.

(١) المروق: سرعة الخروج من شيء. والمروق أيضا أَن يُنْفِذ السَّهْمُ الرَّمِيَّةَ فَيَخْرُجَ طَرَفُهُ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ وَسَائِرُهُ فِي جَوْفِهَا، وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الْخَوَارِجُ مارِقةً. أَي يَجُوزونَهُ ويخرقونَهُ كَمَا يَخْرُقُ السَّهْمُ الشيءَ المَرْميَّ. المرجع السابق، ج١٠/ص:٣٤١.

(٢) وهي كل دابة مرمية رماها الصياد. غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق: د/حسين محمد محمد شرف، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ط: الأولى، ١٤٠٤هـ، ج١/ص:٣٣٦.

(٣) النصل: حديدة الرمح والسهم والسكين. المعجم الوسيط، ج٢/ص:٩٢٧.

(٤) الرصاف جع رصفة، وهي: عقبَة تلوى عَلَى مدْخل النصل فِي السهْم. غريب الحديث، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: د/عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ، ج١/ص:٣٩٦.

(٥) القِدْحُ: العُودُ، وقُدُوحُ الرحْلِ: عِيدانُه، لسان العرب لابن منظور، ج٢/ص:٥٥٦.

(٦) قال أبو عبيد القاسم بن سلام: «القذذ: ريش السهم كل واحدة منها قذة.. فتأويل الحديث المرفوع: أن الخوارج يمرقون من الدين مروق ذلك السهم من الرمية. يعني أنه دخل فيها، ثم خرج منها لم يعلق به منها شيء. فكذلك دخول هؤلاء في الإسلام، ثم خروجهم منه، لم يتمسكوا منه بشيء». غريب الحديث لأبي عبيد، ج١/ص:٣٣٦-٣٣٧.

(٧) قال الزمخشري: «شبههم فِي دُخُولهمْ فِي الإسلام ثمَّ خُرُوجهمْ مِنْهُ لم يَتَمَسَّكُوا من علائقه بِشَيْء، بِسَهْم لم يتَعَلَّق بِهِ شَيْء من فرثها ودمها لفرط سرعَة نُفُوذه». الفائق في غريب الحديث للزمخشري، ج٣/ص:٣٥٥-٣٥٦.

(٨) التَّدردر والتدلدل: أَن يَجِيء وَيذْهب. المرجع السابق، ج٣/ص:٣٥٥.

وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ فَأُتِيَ بِهِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الَّذِي نَعَتَهُ»[١].

وهذه البدعة التي فاح شيء من نتنها في عهد النبوة المبارك، لم تكن سوى ومضة تشبه ارتداد الطرف في ضحى أشرق بالسنا النبوي، فلم يكن لها أن تطمس شيئاً من نور الهدى الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وما كان ليحدث ذلك والوحي يتنزل، والنبي صلى الله عليه وسلم حي، وهو الناصح الأمين والمجاهد الجاهد في دمغ كل ما يعادي دين الله ﷻ. بيد أن هذه البدعة كانت نواة بدع ضخام كبرى فيما بعد.

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فَإِنَّ التَّكَلُّمَ بِبِدْعَتِهِمْ ظَهَرَ فِي زَمَانِهِ صلى الله عليه وسلم؛ وَلَكِنْ لَمْ يَجْتَمِعُوا وَتَصِيرُ لَهُمْ قُوَّةٌ إلَّا فِي خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ ﷺ. ثُمَّ ظَهَرَ فِي زَمَنِ عَلِيٍّ التَّكَلُّمُ بِالرَّفْضِ؛ لَكِنْ لَمْ يَجْتَمِعُوا وَيَصِيرُ لَهُمْ قُوَّةٌ إلَّا بَعْدَ مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ ﷺ، بَلْ لَمْ يَظْهَرْ اسْمُ الرَّفْضِ إلَّا حِينَ خُرُوجِ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بَعْدَ الْمِائَةِ الْأُولَى لَمَّا أَظْهَرَ التَّرَحُّمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رَفَضَتْهُ الرَّافِضَةُ فَسُمُّوا "رَافِضَةً" وَاعْتَقَدُوا أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ هُوَ الْإِمَامُ الْمَعْصُومُ. وَاتَّبَعَهُ آخَرُونَ فَسُمُّوا "زَيْدِيَّةً" نِسْبَةً إلَيْهِ. ثُمَّ فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ نَبَغَ[٢] التَّكَلُّمُ بِبِدْعَةِ الْقَدَرِيَّةِ وَالْمُرْجِئَةِ فَرَدَّهَا بَقَايَا الصَّحَابَةِ؛ كَابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَجَابِرٍ.. وَغَيْرِهِمْ؛ وَلَمْ يَصِرْ لَهُمْ سُلْطَانٌ وَاجْتِمَاعٌ حَتَّى كَثُرَتْ الْمُعْتَزِلَةُ وَالْمُرْجِئَةُ بَعْدَ ذَلِكَ. ثُمَّ فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ التَّابِعِينَ ظَهَرَ التَّكَلُّمُ بِبِدْعَةِ الْجَهْمِيَّة نفاة الصِّفَاتِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ اجْتِمَاعٌ وَسُلْطَانٌ إلَّا بَعْدَ الْمِائَةِ الثَّانِيَةِ فِي إمَارَةِ الْمَأْمُونِ؛ فَإِنَّهُ أَظْهَرَ التَّجَهُّمَ وَامْتَحَنَ النَّاسَ عَلَيْهِ وَعَرَّبَ كُتُبَ الْأَعَاجِمِ: مِنْ الرُّومِ واليونانيين وَغَيْرِهِمْ. وَفِي زَمَنِهِ ظَهَرَتْ الْخُرَّمِيَّةُ، وَهُمْ زَنَادِقَةٌ مُنَافِقُونَ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ وَتَفَرَّعُوا بَعْدَ ذَلِكَ إلَى الْقَرَامِطَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ والْإِسْماعيلِيَّة»[٣].

---

(١) متفق عليه: خ: كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم:٣٦١٠. م: كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم، حديث رقم:١٠٦٤.

(٢) أي ظهر، يقال: نبغ المرء في العلم والفن نبغا ونبوغا برع وأجاد، والشيء من الشيء ظهر، ويقال: نبغ منه أمر ما كنا نتوقعه، ونبغ من قلبه ما أضمره. المعجم الوسيط، ج٢/ص:٨٩٨.

(٣) مجموع الفتاوى، ج٢٨/ص:٤٩١.

وعمت شرارة هذه الفتنة أرجاء العالم الإسلامي حتى وصلت منطقة تركستان، وأبرز طوائف أهل البدع في تركستان اثنان، هما: الشيعة والصوفية. وفيما يلي: نبذة عن الطائفتين، وبيان جهود العلماء في دعوتهما.

الأول: الشيعة: وتعريفها في اللغة والاصطلاح، وتاريخ نشأتها.

أ. مفهوم الشيعة في اللغة:

أصل الشيعة: الفرقة من الناس، وتقع على الواحد والاثنين والجمع، والمذكر والمؤنث، بلفظ واحد. ويدور معاني مشتقاتها: الشيعة، والتشيع، والمشايعة في اللغة: حول معنى المتابعة، والمناصرة، والموافقة بالرأي، والاجتماع على الأمر، أو الممالأة عليه. وبهذا المعنى اللغوي جاء لفظ "الشيعة" في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾[١]. وقوله ﷻ ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾[٢]. فلم يكن استعمال هذه اللفظة في العصر الأول من الإسلام إلا في معناه الأصلي. ثم استعملت "الشيعة" في المعاني التالية:

١- الشيعة قوم يَتْبَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَلَيْسَ كُلُّهُمْ مُتَّفِقِينَ، وكلُّ فِرْقةٍ تُكفِّرُ الْفِرْقَةَ الْمُخَالِفَةَ لَهَا، ويدعون أنهم يَهْوَوْنَ هَوى عِتْرةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ويُوالونهم[٣].

٢- كلُّ قَوْمٍ اجتَمَعوا عَلَى أَمْر، فَهُمْ شِيعةٌ. وكلُّ قَوْمٍ أَمرُهم وَاحِدٌ يَتْبَعُ بعضُهم رأْي بَعْضٍ، فَهُمْ شِيَعٌ.. وتَشايَعَ القومُ: صَارُوا شِيَعاً. وشيَّعَ الرجلُ إِذا ادَّعى دَعْوى الشِّيعةِ.. وَقَدْ غلَب هَذَا الِاسْمُ عَلَى مَنْ يَتَوالى عَلِيًّا وأَهلَ بَيْتِهِ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجمعين، حَتَّى صَارَ لَهُمُ اسْمًا خَاصًّا، فإِذا قِيلَ: فُلَانٌ مِنَ الشِّيعة عُرِف أَنه مِنْهُمْ، وَفِي مَذْهَبِ الشِّيعَةِ[٤].

وهذه الغلبة محل نظر؛ لأن أكثر فرق الشيعة غير متابعة لأهل البيت على الحقيقة بل

---

(١) سورة القصص. الآية:١٥.

(٢) سورة الصافات. الآية:٨٣.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط: الأولى، ٢٠٠١م، ج٣/ص:٤٠.

(٤) ينظر: لسان العرب، ج٨/ص:١٨٨-١٨٩.

هي مخالفة لهم ومجافية لطريقتهم.

ب.مفهوم الشيعة في الاصطلاح:

اختلفت أراء العلماء في بيان حقيقة الشيعة، وذكروا تعريفات عدة؛ وكل عرفها بوجهة نظره، وقدكان لقب الشيعة في الأصل يطلق على فرق الشيعة كلها، لكن هذا المصطلح إذا أطلق في عصرنا – في نظر جمع من الشيعة وغيرهم – لا ينصرف إلا إلى طائفة الاثني عشرية دون غيرهم من الطوائف الأخرى. وعلى هذا جاء تعريفهم في الموسوعة الميسرة، بأن الشيعة «تلك الفرقة من المسلمين الذين زعموا أن عليًا هو الأحق في وراثة الخلافة، دون الشيخين وعثمانﷺ أجمعين، وقد أُطلق عليهم الإمامية؛ لأنهم جعلوا من الإمامة القضية الأساسية التي تشغلهم، وسُمُّوا بالاثنى عشرية؛ لأنهم قالوا باثني عشر إمامًا دخل آخرهم السرداب بسامراء على حد زعمهم»[١].

وقال الشهرستاني في تعريفهم: «الشيعة هم الذين شايعوا علياﷺ على الخصوص. وقالوا بإمامته وخلافته نصًّا ووصيَّةً، إما جليا، وإما خفيا. واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بِتُقْيَةٍ مِن عِنده. وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، لا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله. ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر. والقول بالتولي والتبري قولا، وفعلا، وعقدا، إلا في حال التقية..»[٢].

ج. تاريخ نشأة التشيع:

اختلفت أقوال علماء الشيعة في تحديد بدء ظهور التشيع تبعاً لاجتهاداتهم. فمنهم من قال: إن التشيع له وجود قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك ما جاء في الكافي للكليني عن أبي الحسن قال: «ولاية عليٍّ مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان، ج١/ص:٥١.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني، ج١/ص:١٤٦-١٤٧.

يبعث الله رسولاً إلا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ووصية عليّ عليه السلام»[١].

ومنهم من قال: إن التشيع بدأ مع بدء النبي صلى الله عليه وسلم دعوته، معتمدين على الرواية الباطلة التي ذكرها الطبري في تاريخه[٢].

ومنهم من يرى أن تكوين الشيعة لم يكن إلا يوم وقعة الجمل، وهو ابن النديم حيث قال: «لما خالف طلحة والزبير على عليٍ رضي الله عنه وأبيا إلا الطلب بدم عثمان بن عفان، وقصدهما عليٌّ عليه السلام ليقاتلهما حتى يفيئا إلى أمر الله جل اسمه، تسمى من اتبعه على ذلك الشيعة فكان يقول شيعتي»[٣].

وعند علماء المسلمين، أن التشيع نشأ بعد استشهاد عثمانﷺ. وقبله لم يكن هناك خلاف بين المسلمين. وبعد تولِّي عليﷺ إمرة المؤمنين وخلافة المسلمين، نشأ الخلاف بين المسلمين، فمنهم: من رأى رَأْيَ عليﷺ وأنصاره، ومنهم من رأى رَأْيَ معاوية وأتباعه. وهناك تحزب حزبان سياسيان كبيران بين المسلمين، شيعة علي، وشيعة معاوية، وكل واحد من هؤلاء يرى رأيه في تولية الحكم وتدبير الأمور. واستغلت الشيعة هذا الوضع المضطرب،

---

(١) أصول الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط: الثالثة: ١٣٨٨هـ، ج١/ص:٤٣٧.

(٢) خلاصة القصة، أنه لما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ كلف النبي صلى الله عليه وسلم عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بجمع بني عبد المطلب فلما اجتمعوا، قَالَ: «يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ شَابًّا فِي الْعَرَبِ جَاءَ قَوْمَهُ.. بِأَفْضَلَ مِمَّا قَدْ جِئْتُكُمْ بِهِ، إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.. فَأَيُّكُمْ يُؤَازِرُنِي عَلَى هَذَا الأَمْرِ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ؟ قَالَ علي: فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ عَنْهَا جَمِيعًا، فقلت:.. أَنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَكُونُ وَزِيرَكَ عَلَيْهِ فَأَخَذَ بِرَقَبَتِي، ثُمَّ قَالَ: إن هذا أخي ووصى وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا» تاريخ الطبري، ج٢/ص:٣٢٠-٣٢١ بتصرف. وينظر: الشيعة في التاريخ، السيد عبد الرسول الموسوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط: الأولى، عام٢٠٠٢م، ص:٤٠.

(٣) الفهرست، لأبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت – لبنان، ط: الثانية: عام ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص:٢١٧.

حتى تشكلت جماعة بالفعل في معركة صفين، حين انشقت الخوارج وتحزبوا في النهروان[١].

ثم قويت شوكتهم وبرزوا في الساحة على إثر مقتل عليّ‌رضي الله عنه وولده الحسين‌رضي الله عنه وعدد من أسرته‌رضي الله عنهم. وقد اغتبطوا حين وُلِّيَ عليٌّ الخلافة، وحزنوا لمقتله، ورُوِّعوا لمقتل الحسين. وأصبح عليّ والحسين‌رضي الله عنهما بعد موتهما في رأيهم من أولياء الله الصالحين، ولهذا فهم يرون أن جميع الخلفاء ماعدا علياً مغتصبون، لا حق لهم في الخلافة.. ويقولون إن أبناء عليّ هم الأئمة الذين تتمثل فيهم الحكمة الإلهية. ويعتقدون أن الإمام الثاني عشر محمد بن حسن الذي اختفى عام (٢٥٩هـ/٨٧٣م)، أنه لم يمت، ولكنه سيعود في الوقت المناسب ليعيدهم إلى السلطان الشامل والسعادة الدائمة[٢].

وإن حدثت الفرقة بعد مقتل عثمان وبرزت الشيعة في الساحة بعد مقتل عليٍّ والحسين، رضي الله عنهم أجمعين، لكن بذور هذه الفتنة قد وجدت على يد عبد الله بن سبأ، مبعوث اليهود المتستر وراء اسم الإسلام، كما تشهد بذلك كتب الشيعة، بأن ابن سبأ هو أول نواة للشيعة، وقد ظهرت طلائع العقيدة الشيعية وأصل أصولها على يده في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان‌رضي الله عنه، حيث إنه أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان‌رضي الله عنهم أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم. والطعن في الصحابة الآخرين، وكذا هو أول من أشهر القول بفرض إمامة علي، وأن علياً وصي محمد، وهي أساس التشيع كما يراه أكابر الشيعة[٣].

---

(١) الشيعة والتشيع- فرق وتاريخ، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة لاهور – باكستان، ط: العاشرة، عام ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص:٢٦. وينظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، ج١/ص:٣١١.

(٢) ينظر: قصة الحضارة، ج١٣/ص:١٢٩-١٣٠.

(٣) الشيعة والتشيع، إحسان إلهي ظهير، ص:٤٠ وما بعدها. وينظر: فرق الشيعة، أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي، تعليق: هبة الدين الشهرستاني، منشورات الرضا، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص:٥٧-٥٨. وينظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية- عرض ونقد، ناصر بن عبد الله القفاري، رسالة الدكتوراه من جامعة أم القرى، ط: الثانية، ١٤١٥هـ، ج١/ص:٧٨.

لقد بدأ ابن سبأ ينشر آراءه متظاهراً بالغيرة على الإسلام، ومطالباً بإسقاط الخليفة إثر إسلامه المزعوم. ثم دعا إلى التشيع لأهل البيت وإلى إثبات الوصاية لعلي إذ أنه -كما زعم- ما من نبي إلا وله وصي، ثم زعم بعد ذلك أن علياً هو خير الأوصياء بحكم أنه وصي خير الأنبياء. ثم دعا إلى القول بالرجعة، ثم إلى القول بألوهية علي رضي الله عنه، وأنه لم يقتل بل صعد إلى السماء، وأن المقتول إنما هو شيطان تصور في صورة علي، وأن الرعد صوت عليّ، والبرق سوطه أو تبسمه، إلى غير ذلك من أباطيله الكثيرة(١).

د. وصول التشيع إلى تركستان.

وصلت فكرة التشيع إلى تركستان في القرن الرابع الهجري، واستقرت في كل من جزئيها الغربي والشرقي، وفي الشرق انتشرت الرافضة في مدينة ياركند (بجوار كاشغر)، وكذا انتشرت الإسماعلية في مدينة تاشقورغان- على حدود باكستان القريبة من جبال همالايا- بين قومية الطاجيك. وفي بلاد ما وراء النهر، الجزء الغربي للبلاد.

وقل عدد الشيعة الذين في تركستان الشرقية بسبب جهود العلماء وكُبحَ جماحهم، لقربهم من عاصمة البلاد (كاشغر)، أما شيعة ما وراء النهر، الْإِسْمَاعِيلِيَّة فلم تنفعهم أساليب دعوة العلماء، بالرفق واللين، والحكمة، والموعظة الحسنة، التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾(٢).

ولم يكتفوا برفض دعوة العلماء بل قاموا بنشر دعوة التشيع وإثارة الفوضى في البلاد، من خلال دعوتهم إِلَى طَاعَةِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ الْعَلَوِيِّ صَاحِبِ مِصْرَ، فَتَبِعَهُمْ جَمْعٌ كَثِيرٌ، فلما وصل استفحال أمرهم إلى ملك البلاد محمد بغراخان وسمع خَبَرَهُمْ، أَرَادَ بغراخان الْإِيقَاعَ بِهِمْ وقَطْعِ دابرهم، فَأَظْهَرَ لِبَعْضِهِمْ أَنَّهُ يَمِيلُ إِلَيْهِمْ، وَيُرِيدُ الدُّخُولَ فِي مَذَاهِبِهِمْ، وَأَعْلَمَهُمْ ذَلِكَ، وَأَحْضَرَهُمْ مَجَالِسَهُ، وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى عَلِمَ جَمِيعَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَى مَقَالَتِهِمْ، فَعندئذٍ قَتَلَ مَنْ بِحَضْرَتِهِ مِنْهُمْ، وَكَتَبَ إِلَى سَائِرِ الْبِلَادِ بِقَتْلِ مَنْ فِيهَا، فَفُعِلَ بِهِمْ مَا أَمَرَ، وَسَلِمَتْ تِلْكَ الْبِلَادُ مِنْهُمْ.

---

(١) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، د/ غالب العواجي، ج١/ص:٣٢٢-٣٢٣.

(٢) سورة النحل. الآية:١٢٥.

وذلك سَنَة سِت وثلاثين وَأَرْبَعِمائة[١].

وقد اضطر الدعاة إلى استخدام آخر مراتب الدعوة معهم مستنجدين بالحكام، وهي: استخدام القوة في حق المعاندين الظالمين الذين لم يرجعوا إلى الحق، فأمثال هؤلاء من الحكمة في دعوتهم إلى الله تعالى استخدام القوة الفعلية معهم. فإن لها الأثر العظيم في نشر الدعوة، وقمع الباطل وأهله، ونصر الحق وأتباعه لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[٢].

وجهاد أصحاب الظلم والعدوان، والبدع والمنكرات في عموم الحالات له ثلاث مراتب:

(أ) باليد إذا قدر المجاهد على ذلك.

(ب) باللسان إن عجز على جهاده وتغييره باليد.

(ج) بالقلب إن عجز على جهاده بيده ولسانه. لقول النبي صلى الله عليه وسلم «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[٣].

وكان بوسع الدعاة القراخانيين استخدام القوة لردعهم وتغيير المنكر بيدهم، ففعلوا ما بوسعهم. وببركة هذا الجهد سلمت بلاد تركستان من فتنة التشيع، وإن بقي للشيعة بعض الوجود في البلد لكن بقيت خفية، وإلى عصرنا هذا ليس للشيعة أي شوكة بين أهل السنة والجماعة في تركستان بقسميها الشرقي والغربي.

الثاني: الصوفية:

ظهر مصطلح التصوف والصوفية أول ما ظهر في الكوفة بسبب قُربها من بلاد فارس، والتأثُّر بالفلسفة اليونانية بعد عصر الترجمة، ثم بسلوكيات رهبان أهل الكتاب، وأول مَن تسمَّى به، قيل: أبو هاشم الكوفي (المتوفى:١٥٠هـ أو ١٦٢هـ)، وقيل: هو عبدك عبد

---

(١) الكامل لابن الأثير، ج٨/ص:٤٨.

(٢) سورة التحريم. الآية:٩.

(٣) أخرجه مسلم كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ حديث رقم:٧٨.

الكريم (المتوفى:٢١٠هـ) كان من طائفة نصف شيعية تسمي نفسها صوفية. وقيل: أول من تسمى بالصوفي، هو جابر بن حيان تلميذ جعفر الصادق المتوفى سنة (٢٠٨هـ)، وكانت الشيعة تعتبره من أكابرهم(١).

مفهوم الصوفية لغة:

أُختلفَ في مسألة الاشتقاق لكلمة "الصوفية" إلى أقوال عدة، منها:

١- قيل: «إنها نسبة إلى الصُّوف حيث كان شعار رهبان أهل الكتاب الذين تأثر بهم الأوائل من الصوفية».

٢- قيل: «إنها مشتقة من كلمة سوف (SOPH) اليونانية والتي تعني الحكمة، وهذه أرجح الأقوال فيما يبدو من قوة التشابه في أصل الفكرة عند الصوفية واليونان، حيث أفكار وحدة الوجود والحلول والإشراق والفيض»(٢).

ويُستبعَدُ احتمال اشتقاق الصوفية على مقتضى قواعد اللغة العربية، كأن يشتق: من صاف يصيف أو يصوف وهو الميل والعدول، يقال: «صَافَ السهْمُ عَنِ الهَدَفِ يَصُوفُ ويَصِيفُ: عَدَلَ عَنْهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: صَافَ عَنِّي شرُّ فُلَانٍ، وأَصَافَ الله عني شَرَّه»(٣).

كما يستبعد نسبتها إلى أصحاب الصفة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . إذاً هي: كلمة مولدة وليست أصيلة في العربية، كما قال الفيومي: «وَتَصَوَّفَ الرَّجُلُ وَهُوَ صُوفِيٌّ مِنْ قَوْمٍ صُوفِيَّةٍ كَلِمَةٌ مُوَلَّدَةٌ»(٤).

مفهوم الصوفية اصطلاحا:

التصوُّف: «حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعاتٍ فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة كرد فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري.. بغية

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، ج١/ص:٢٥٢.

(٢) المرجع السابق نفسه في الجزء والصفحة.

(٣) لسان العرب، ج٩/ص:٢٠٠.

(٤) المصباح المنير للفيومي، ص:٣٥٢.

الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف والمشاهدة، بعيدا عن منهج أهل السنة والجماعة[١].

يرى بعض الباحثين أن تعاليم التصوف وأوراده وأذكاره، وطرق الوصول إلى المعرفة مستقاة من المذاهب الهندية والمانوية والزرادشتية أيضا، فلا ينكرها منكر، بل إن كبار الكتاب عن التصوف والباحثين فيه من المستشرقين والمسلمين، وحتى الصوفيون أقروا بذلك»[٢].

ووصول هذه الفكرة إلى تركستان في وقت مبكر ليس بأمر غريب، لأن البلد كان مكتظا بتلك الديانات المذكورة آنفا: البوذية وغيرها التي تَمُتُّ مبادؤها بصلة قوية بمبادئ الصوفية. ويرجع تاريخ دخول التصوف في تركستان إلى القرن الرابع الهجري[٣].

لقد بثَّ الصوفيون أفكارهم الصوفية تحت قبة التعليم والتربية، وتحت ستار الزهد والاستغناء عن الدنيا، وممارسة الرياضة والتقشف ولبس المسوح. وانتشرت هذه الأفكار على ساحات واسعة في البلاد، فأقبل عليها جمهور من الناس، حتى ترك بعض رجال الدولة مناصبهم واعتزلوا الناس في المدن، واختاروا العيش في الصحراء لقصد التنسك. وبدأت الدولة الإسلامية تضعف يوما بعد يوم حتى كادت أن تنهار. ولما رأى العلماء والدعاة إلى الله خطورة هذه الظاهرة تصدوا لها، لإنقاذ المسلمين من غزو التصوف وخلصوا عوام المسلمين من سيطرة الصوفيين، ومن لم يقتنع من أئمة الصوفيين على ترك عقيدته الفاسدة ودعوته المنحرفة، استعان الدعاة بالحكام على عزل الصوفيين من المناصب الدينية كالخطابة في الجوامع والتدريس في الجامعات، واستجاب الحكام لذلك. وكان لقدوم العلماء من الدولة السامانية — منذ نشأة الدولة القراخانية– من المحدثين والمفسرين، دور عظيم في نشر العقيدة الصحيحة في المجتمع التركستاني، حتى برز في ساحة الدعوة لاحقا أمثال: الداعية يوسف خاص حاجب الذي عاصر أوائل الصوفيين وزمان نَشْرِ دَعْوتهم، وكان في طليعة الدعاة

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، ج١/ص:٢٤٩، بتصرف.

(٢) التصوف. المنشأ. والمصادر، إحسان إلهي ظهير الباكستاني، إدارة ترجمان السنة، لاهور– باكستان، ط: الأولى، عام ١٤٠٦/١٩٨٦م، ص:٩٧.

(٣) دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى، ص:٨.

الذين لعبوا دوراً هامًّا في القضاء على فتنة التصوف، وبثمرة جهود هؤلاء العلماء، رجع الناس إلى الدين الصحيح، والعقيدة الإسلامية الصحيحة، واستردت الدولة مكانتها وقوتها[١].

إن التصوُّف بأفكاره المنحرفة ومعتقداته الباطلة، خطرٌ عظيمٌ على عقيدة التوحيد والعمل، وعلى الدولة الإسلامية ووحدة المسلمين. فهو يشوِّه الإسلامَ في معانيه ومبانيه وعقيدتِه وشريعته مِنَ الداخل والخارج تشويهًا يخرجه عن حقيقته وكماله. وهو انحرافٌ ظاهرٌ عن الصراط المستقيم، وانحدار خطير عن دعوة الأنبياء والرُّسُل، وعن منهج الإسلام القائم على العلم والعمل، ونشرِ التوحيد ونبذِ الشرك والبِدَع، والأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها ممَّا جاء به النبيُّ صلى الله عليه وسلم مِنْ دِين الإسلام، وقامت عليه حجَّتُه ودعوتُه، وسار عليه صحابتُه الكرام رضي الله عنهم، ومَنِ انتهج منهجَهم مِنْ بعدِهم. ولذلك كانت مواجهته ومحاربته في تركستان في وقته المناسب، ودُفن الشر في موضعه.

---

(١) يوسف خاص حاجب، يار محمد طاهر، ص:٦٨ وما بعدها. شه رقي توركستان تاريخي، محمد أمين بوغرا، ص:١٣٢.

المبحث الثالث: عوام المسلمين.

العَامَّةُ من الناس: خلافُ الخاصَّة والجمع: عَوامٌّ، وعوام المسلمين أحد الأصناف الذين ذكرهم الله في كتابه، في قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾[١]. ولا يُقصدُ هنا كل العوام، بل يقصد منهم الظالمين لأنفسهم، الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، ويمكن أن نعبر عنهم، أنهم: عصاة المسلمين؛ لأن الإنسان مهما بلغت منزلته في العلم والمعرفة، لا يسلم من الخطأ والمعصية، لطبعه البشري الذي جُبِلَ عليه بنو آدم، إلا من عصمه الله، كما قال ﷻ: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[٢].
وقال عليه السلام: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»[٣].

فالإنسان يعصي لجهله، والله عز وجل يوفق برحمته من يشاء للتوبة، فوقوع المعصية ثم إحداث التوبة أمران ينبغي أن يتلازما، فإذا تخلفت التوبة عن المعصية آذن بالخطر الكبير والشرر المستطير، إذ التورط في المعاصي داء يستشري فيردي إذا لم تحسم مادته من أول الطريق وبالأسلوب الحكيم[٤].

وهنا يأتي دور العلماء والمربين في إنقاذ المجتمع من التهلكة، بتثقيف الناس في أمور دينهم، بتعليم الجاهل وتذكير الغافل وتحذير العاصي، تأسيا بإمامهم المصطفى صلى الله عليه

---

(١) سورة فاطر. الآية:٣٢.

(٢) سورة طه. الآية:١٢١-١٢٢.

(٣) أخرجه الترمذي أبواب صفة القيامة والرقائق والورع باب (بدون عنوان) حديث رقم:٢٤٩٩، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ مَسْعَدَةَ عَنْ قَتَادَةَ» وابن ماجه في الزهد واللفظ له باب ذكر التوبة حديث رقم:٤٢٥١، قال شعيب الأرنؤط والألباني: حسن. وزاد الأرنؤط بأن «رجاله ثقات غيرَ علي بن مسعدة، وهو مختلف فيه، وثقه أبو داود الطيالسي، وقال ابن معين: صالح، وقال أبو حاتم: لا بأس به» حاشية سنن ابن ماجه، ج٥/ص:٣٢١.

(٤) ينظر: أساليب دعوة العصاة، لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الرب نواب الدين آل نواب، بحث منشور مجلة الجامعة الإسلامية، عام١٤٢٤هـ، العدد: ١٢٣، ص:١٤٠.

وسلم ، القائل: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا»(١).

وكان غرض المستوقد من النار انتفاع الخلق بها بالاستضاءة والاستدفاء وغير ذلك، لكن الفراش لجهلها جعلت سببا لهلاكها، كذلك العوام من المسلمين يقعون على المعاصي المهلكة جهلا وغفلة واتباعا لهوى النفس أحيانا.

وقد ترك إمام الهداة صلى الله عليه وسلم منهجا دعوياً حكيماً في دعوة المجتمع المسلم، لحرصه على منع أمته عن الإتيان بالمعاصي التي تؤدي بهم إلى الدخول في النار، رأفة ورحمة بهم. كما وصفه ربه ﷻ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

وهكذا ينبغي أن يكون عليه شأن كل الدعاة إلى الله. وعلى هذا الأساس أتت جهود الدعاة القراخانيين في دعوة عوام المسلمين وإصلاحهم، بالتعليم والتثقيف والوعظ والتذكير؛ لأن الاستقامة في الدين مطلب شرعي، وبدونها لا تتحقق السعادة في الدنيا ولا النعيم المقيم في الآخرة، كذلك الابتعاد عن المعاصي وعن أسبابها من بداية الطريق بالحزم مطلب شرعي، كما نجد ذلك كثيراً في آيات القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾(٣). فهو نهي عن مجرد القرب منه بتجنب أسبابه ودواعيه كالنظر والسمع وغيرهما، وهذا أيضا مطلب اجتماعي هام يتحقق به الاستقرار في المجتمع. وقد عاش القراخانيون في ديارهم بالاستقرار آمنين مكرمين زهاء ثلاثة قرون، بسبب الجهود الإصلاحية فيها، يعبدون الله ويدعون إليه، وقد تركزت جهود العلماء تجاه عوام المسلمين في معالجة الجهل والتذكير عن الغفلة والتحذير من المعصية، وفيما يلي: توضيح لذلك.

---

(١) متفق عليه، خ: كتاب الرقاق باب الانتهاء عن المعاصي، حديث رقم:٦٤٨٣. م: كتاب الفضائل باب شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته. رقم ٢٢٨٤.

(٢) سورة يونس. الآية:١٢٨.

(٣) سورة الإسراء. الآية:٣٢.

١-الجهل:

«الجهل: نقيض العلم، يقال: جَهِلْتُ الشَّيْءَ جَهْلًا وَجَهَالَةً، وَجَهِلَ عَلَى غَيْرِهِ بمعنى: سَفِهَ وَأَخْطَأَ، وَجَهِلَ الْحَقَّ بمعنى: أَضَاعَهُ فَهُوَ جَاهِلٌ وَجَهُولٌ، والجَهَالَة: أَن تَفْعَلَ فِعْلًا بِغَيْرِ العِلْم»(١).

ويشمل هذه المعاني جميعا ما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: عَنْ قتادة قَالَ: «أَجْمَعَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم عَلَى أَنَّ كُلَّ مَنْ عَصَى رَبَّهُ فَهُوَ فِي جَهَالَةٍ، عَمْدًا كَانَ أَوْ لَمْ يَكُنْ. وَكُلُّ مَنْ عَصَى اللَّهَ فَهُوَ جَاهِلٌ.. حَتَّى يَنْزِعَ عَنْ مَعْصِيَتِهِ»(٢). وقال رحمه الله: «الْهَوَى وَحْدَهُ لَا يَسْتَقِلُّ بِفِعْلِ السَّيِّئَاتِ إلَّا مَعَ الْجَهْلِ»(٣).

إذاً الجهلُ سبب عظيم لإضاعة الدين والدنيا، فمن غاب عنه العلم لم يحسن التصرف لا في شؤون الدين ولا في الدنيا، لذا حذر الله ﷻ من الجهل وأمر بالعلم، فسبق العلم ضرورة لصحة العبادة لله، لقولهﷻ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾(٤). فإذا كان الاستغفار عمل يمحو به العبد ذنوبه، فلابد من سبق العلم له بأن الله هو الإله الذي يغفر الذنوب، فلا تصح عبادة عبد قبل أن يعلم أن الله هو الإله المستحق للعبادة. لقوله تعالى: على لسان نبيهﷺ ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾(٥)

لقد كان الجهل فاشيا في تركستان عندما وصل الإسلام إليها، وإلا لما حضنت المنطقة الأديان الباطلة المختلفة فيها. وقد اهتم الداعية أبو نصر الساماني للقضاء على هذه الظاهرة بدعم من تلميذه الملك ستوق بغراخان، ملك البلاد. ونشر العلم بين الناس في آفاق البلاد، أَهَّلَهُ ومَكَّنَهُ على ذلك تضلعه بالعلوم الشرعية، إضافة إلى إجادته اللغة الأويغورية (لغة أهل

---

(١) لسان العرب، ج١١/ص:١٢٩. المصباح المنير، ص:١١٣.

(٢) مجموع الفتاوى، ج١٤/٢٩١.

(٣) المرجع السابق، ج١٤/٢٨٩.

(٤) سورة محمد. الآية:١٩.

(٥) سورة الزمر. الآية:٦٤.

تركستان) وهذا ما جعله قوي التأثير في المجتمع[١].

وتابع السير بعدهم علماء أجلاء أمثال: أبي عبد الله الحسين بن على بن خلف بن جبرائيل بن الخليل بن صالح بن محمد الألمعي الكاشغري، وابنه أبو الفتوح عبد الغافر بن الحسين الكاشغري الحافظ الثقة، وسليمان بن داود بن سليمان أبو داود المعروف بحجاج الختني الفقيه، وأَبُو بكر بن مَسْعُود بن أَحْمد الكاساني ملك الْعلمَاء عَلَاء الدّين الْحَنَفِيّ مُصَنف الْبَدَائِع، وغيرهم من العلماء المعاصرين لهم[٢].

ثم تطورت حركة تثقيف المجتمع بالعلم والوعي، حتى بدأت هذه الحركة لاحقاً بشكل منظم في المدارس والمؤسسات التعليمية التي بناها الحكام وساندهم الأغنياء من عامة الشعب بما أغناهم الله من فضله. ومن أشهر تلك المدارس: مدرسة قثم بن العباس، ودار الجوزجانية، ومدرسة رباط حمزة[٣]. وغيرها من المدارس الكثيرة، حتى زال الجهل في البلد بشكل ملفت، بل أصبح البلد مقصدا للعلم يفد إليه الكثير من العالم الإسلامي لحصول العلم فيه، كما سيأتي تفصيله في موضعه إن شاء الله.

٢ – الغفلة:

قال ابن فارس: «الغفلة تدُلُّ عَلَى تَرْكِ الشَّيْءِ سَهْوًا، وَرُبَّمَا كَانَ عَنْ عَمْدٍ»[٤].

والغفلة حالة موؤبة لا تخص مجتمعا دون آخر، ولا عصرا دون غيره، بل تعتري على الإنسان إذا كسل عن طاعة الله وذكره، وداء يُثَبِّطُ الكثيرين عن العمل ليوم الحساب، ومذمومة في كل الأحوال؛ لأنها تُعمي القلب عن العمل وتلهيه بسفاسف الأمور والشهوات، وتخدع النفس بالأماني حتى يدنو الأجل وتنكشف الحقيقة، فيبدأ الغافل في

---

(١) ستوق بوغراخان، ص:٢٢٠.

(٢) ينظر: الأنساب للسمعاني، ج١١/ص:٢٢. ومعجم البلدان، ج٢/ص:٣٤٧. والجواهر المضية في طبقات الحنفية، ج٢/ص:٢٤٤.

(٣) ينظر: القراخانيون وجهودهم في نشر الإسلام، د/ علي بن صالح المحيميد، بحث منشور مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام١٤١٧هـ/١٩٩٦م، العدد: ١٦، ص:٢٩٣.

(٤) معجم مقاييس اللغة، ج٤/ص:٣٦٨.

الندم على ما فرط في جنب الله ولا ينفعه ساعتئذ ندمه.

ويقع في الغفلة كثير من الناس، لقوله ﷻ ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾[١]. ولهذا أوصى الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالذكر، وحذره من الغفلة قائلا: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[٢].

فهذا ينبئ أن الغفلة تُعَدُ منبع شر للإنسان في حياته، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فَالْغَفْلَةُ وَالشَّهْوَةُ أَصْلُ الشَّرِّ»[٣].

«الفرق بينها وبين النسيان، أن الغفلة: ترك العمل باختيار الغافل. وأما النسيان: فهو تركٌ بغير اختيار الإنسان. والذكر هو التخلص منهما»[٤].

لقد اجتهد العلماء والدعاة إلى الله، في عهد الدولة القراخانية للقضاء على هذه الظاهرة التي تجلب البلية للمجتمع، حيث كانوا يذهبون إلى القرى والفيافي والجبال ليبلغوا رسالة الإسلام إلى البوذيين، كذلك كانوا ينبهون المسلمين عن الغفلة للاستعداد إلى المعاد والحساب، ويحثونهم على معرفة الله حق معرفته، كي ينظموا حياتهم على أساس تعاليم الله الخالدة التي جاء بها رسولنا صلى الله عليه وسلم[٥].

بسبب هذا الجهد المستمر صار المسلمون متمسكين بدينهم الحنيف. وسلموا من العقاب الإلهي الذي توعد به الغافلين، كقوله ﷻ: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ

---

(١) سورة يونس. الآية:٩٢.

(٢) سورة الأعراف. الآية:٢٠٥.

(٣) مجموع الفتاوى، ج١٤/ص:٢٨٩.

(٤) مدارج السالكين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط: الثانثة:١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ج٢/ص:٤٣٥.

(٥) دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، د/ هدى دريوش، ص:٩.

كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾[١].

كما يسلم المسلم من العقاب الإلهي في الدنيا بإبعاد الغفلة عن نفسه، كذلك يقي نفسه من عذاب النار الذي يلحق الغافل في الآخرة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ* أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[٢]. استحقوا ذلك العذاب لانغماسهم في الدنيا في شهواتها، وغفلتهم عن آيات الله الدالة على الوعيد. ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾[٣].

٣- المعصية:

«المعصية والعصيان خِلافُ الطَّاعَة. يقال: عَصى العبدُ رَبَّهُ إِذا خالَف أَمْرَه، وَعَصَى فُلَانٌ أَميرَه يَعْصِيه عَصْياً وعِصْياناً ومَعْصِيَةً إِذا لَمْ يُطِعْهُ، فَهُوَ عاصٍ وعَصِيٌّ»[٤].

ومنه قول الشاعر:

أطَعْتِ لآمِريكِ بِصُرْمِ حَبْلى مُريهِمْ فِي أحِبَّتِهِمْ بِذَاكِ
فإنْ هُمْ طَاوَعُوكِ فَطاوِعيهِمْ وَإنْ عاصَوْكِ فاعْصي مَنْ عَصاكِ[٥]

يقول اللغويون: إنَّ ما كان من المصادر على زنة فَعْلان مثل: النزوان والغليان والغثيان، وما أشبه ذلك فيه معنى: الاهتزاز والاضطراب والحركة[٦]، والعصيان من هذا الباب، وعلى هذا لا يُقدِم على المعصية والعصيان إلا مضطرب النفس ناقص المروءة، مهزوز الإرادة، مَنْ خارت عزيمته، ومرض قلبه، وقعدت نفسه عن معالي الأمور، وتطلعت إلى سفاسفها.

والعصاة هم المفّرطون، والمسيئون، وأهل الذنوب، والفساق، والذين خلطوا عملا صالحا

---

(١) سورة الأعراف. الآية:١٣٦.

(٢) سورة يونس. الآية:٧-٨.

(٣) سورة النحل. الآية:٣٣.

(٤) لسان العرب، ج١٥/ص:٦٧.

(٥) ديوان الحماسة، ج٢/ص:١٤٥.

(٦) الكتاب أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي الملقب سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط: الثالثة: عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٤/ص:١٤.

وآخر سيئا، والمرجون لأمر الله. ومعصية الله ورسوله إذا أطلقت دخل فيها الكفر والفسوق.

فالعصاة مهما فرطوا في جنب الله لا يزالون مسلمين، ما لم تصل معصيتهم إلى كبيرة الشرك بالله تعالى، أو يرتكبوا كفراً بواحاً، ومع ذلك فليس العصاة كالأتقياء، لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾[١].

ومعظم أسباب المعصية يكون في الشبهات والشهوات واتباع الهوى. لذلك نرى في النصوص الشرعية الذم والملامة فيها. ففي الشهوات قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[٢].

في الآية الكريمة تعداد للشهوات والغرائز المركبة في الإنسان. وابتدأ تعالى ذكر هذه الشهوات بشهوة النكاح - قبل شهوة حب الولد والنسل، وحب المال، والجاه وزخارف الدنيا والسلطان- لكونها أخطر الشهوات وأنكاها إن لم تعالج مبكرا وفي الإطار المشروع، فيؤدي إلى التهلكة، كما قال صلى الله عليه وسلم: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»[٣]. وذلك بإغرائهن الرجال وإمالتهن إياهم عن الحق.

أما الشبهات فقد ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٤].

والشيطان للإنسان بالمرصاد يزخرف له الشهوات ويزين له الشبهات ليوقعه في حبائله.

---

(١) سورة غافر. الآية:٥٨.

(٢) سورة آل عمران. الآية:١٤.

(٣) متفق عليه: خ: كتاب النكاح باب ما يتقى من شؤم المرأة، حديث رقم:٥٠٩٦. م: كتاب الرقاق بَابُ أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْفُقَرَاءُ وَأَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ النِّسَاءُ وَبَيَانِ الْفِتْنَةِ بِالنِّسَاءِ، حديث رقم:٢٧٤٠.

(٤) سورة آل عمران. الآية:٧.

ومن يستشرف إلى الشبهات يقع في حبائل الشيطان، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ..»[١].

وأما اتباع الهوى فقد ذم الله بقوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾[٢]. ولا يتبع هواه إلا ضعيف الإيمان، لذا لا يوصف باتباع الأهواء في القرآن العظيم إلا أهل الضلالة والشقاوة.

يعرف العصاة بسمة ضعف الإيمان؛ لأن الإيمان بالمعاصي يضعف، كما أنه بالطاعات يزداد ويتقوى، وإذا كثرت المعاصي ران على القلب حجاب كثيف حتى لا يكاد يرى الحق، كما يوضح ذلك حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[٣].

والعلماء في الدولة القراخانية لم يتهاونوا في معالجة هذه الظاهرة، بل هبوا يمرون على الناس يعظونهم ويذكرهم بأيام الله ويحذرونهم من عذابه بسبب المعاصي، حتى مروا على الملوك والأمراء، فضلا عن العوام، ومن جملة هؤلاء الدعاة: أَبُو شُجَاع العلوي[٤] الواعظ الزاهد كان يدخل على أمير سمرقند طفغاج خان، يعظه ويذكره ويخوفه بالله[٥].

وكذلك الملوك لم يغفلوا عن مسئولياتهم تجاه رعيتهم، وأسهموا في دعوة العصاة بالخطابة في الجوامع، ومنهم: شمس الملك نَصْرُ بن إِبْرَاهِيْمَ صَاحِبُ مَا وَرَاءَ النَّهْر، حيث كان يخطب

---

(١) أخرجه مسلم كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم:١٥٩٩.

(٢) سورة محمد. الآية:١٤.

(٣) متفق عليه: خ: كتاب المظالم، بَابُ النُّهْبَى بِغَيْرِ إِذْنِ صَاحِبِهِ حديث رقم:٢٤٧٥، واللفظ له. م: كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي.. حديث رقم:٥٧.

(٤) لم أقف على ترجمته.

(٥) ينظر: الكامل لابن الأثير، ج٧/ص:٦٤٤.

عَلَى مِنْبَرِ بُخَارَى وَمِنْبَرِ سَمَرْقَنْد، وكان عالما فصيحا، تَعَجَّب الناس مِنْ فَصَاحتِهِ[١].

وبانتشار الدعوة في آفاق البلاد قَلَّتْ المعاصي وكثرت الخيرات وتقلصت الشرور، وقوي المسلمون عقدياً وعُدَّةً، حتى هابهم من حولهم من الكفار. ويُعد هذا من الإعداد للقوة: المتمثل في قولهﷻ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[٢].

إن الالتزام بالدين ونشر الدعوة إلى الله تعالى من أقوى القوة. ومن أراد إضعاف الدعوة إلى الله، فإنه يسعى في الحقيقة لإضعاف قوة الدولة الإسلامية، وقوة الإسلام والمسلمين. وكل الخير والصلاح والقوة والازدهار وسعادة الدارين، في التمسك بالدين الحنيف والدعوة إليه، والكف عن المعاصي صغيرها وكبيرها.

---

(١) سير أعلام النبلاء، ج١٩/ص:١٩٢-١٩٣.

(٢) سورة الأنفال. الآية:٦٠.

الفصل الرابع

أساليب الدعوة في عهد الدولة القراخانية

وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول: الحكمة.

المبحث الثاني: الموعظة الحسنة.

المبحث الثالث: النصيحة بين الراعي والرعية.

المبحث الرابع: الترغيب والترهيب.

المبحث الخامس: إرسال الوفود.

المبحث السادس: الصلح.

المبحث السابع: المصاهرة.

المبحث الثامن: الحوار والمناظرات.

المبحث التاسع: الهبة والهدايا.

المبحث الأول: الحكمة.

الدعوة إلى الله تتطلب الحكمة، والداعي إلى الله مأمور بتوخيها حين دعوته الناس، لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ﴾(١).

وَلكونه تَعَالَى أَحكمُ الحاكمين وأَحكمُ الحكماءِ أمر بالحكمة عند دعوة عباده. والحكمة: «اسم جامع لكل كلام أو علم يراعى فيه إصلاح حال الناس واعتقادهم إصلاحا مستمرا لا يتغير»(٢).

وهي مِنَّةٌ ونعمةٌ عظيمة من الله تعالى يمتن بها على من يشاء من عباده الصالحين، لقوله سبحانه: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾(٣).

حيث ربطت الآية الكريمة بين الحكمة والخير، ووجه ذلك أن الحكمة تشمل المعاني الصائبة في القول والفعل. وكان للصحابة رضوان الله عليهم – ومن نهج منهجهم بعدهم – حظ وافر من هذا الخير الكثير، فلما طبقوا الحكمة في دعوتهم، سائرين على هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم ونهجه، دخل الناس في الإسلام أفواجا، وانتشر الإسلام في بقاع الأرض، وأصبح الدين كله لله، وصارت العزة لله ولرسوله وللمؤمنين. ومن أولئك الأتباع الأخيار: الدعاة القراخانيون في تركستان.

مفهوم الحكمة لغة واصطلاحا:

أ. مفهوم الحكمة لغة:

وردت كلمة الحكمة في نصوص الشرع، مراداً بها: الكتب السماوية من القرآن والإنجيل والتوراة وغيرها. ووردت أيضا يراد بها الأوصاف الجليلة: كالنبوة، والعَدْل، والعِلْم، والحِلْم(٤). وفي اللغة: وردت الحكمة في المعاني التالية:

١- المنع: وَأَوَّلُ ذَلِكَ الْحُكْمُ، لأنه يمنع مِنَ الظُّلْمِ. وَسُمِّيَتْ الحديدة التي تكون في

---

(١) سورة النحل. الآية:١٢٥.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور، ج١٤/ص:٣٢٧.

(٣) سورة البقرة. الآية:٢٦٩.

(٤) القاموس المحيط للفيروز آبادي، ص:١٠٩٥.

لجام الدابة حَكَمَةً لِأَنَّهَا تَمْنَعُهَا عَنْ مُخَالَفَةِ رَاكِبِهِ وتُذَلِّلُهَا له. ويقال: حَكَمْتُ السَّفِيه وأَحْكَمْتُه إذا أخذت عَلَى يَدِهِ. وَالْحِكْمَةُ هَذَا قِيَاسُهَا، لِأَنَّهَا تَمْنَعُ مِنَ الْجَهْلِ. وَمِنْهُ أُشْتُقَّتْ الْحِكْمَةُ لِأَنَّهَا تَمْنَعُ صَاحِبَهَا مِنْ أَخْلَاقِ الْأَرَاذِلِ(١).

٢- الإتقان: مِنْ حَكَمَ الأمر إذا أتقنه، الحَكَمُ والحَكِيمُ وَهُمَا بِمَعْنَى الحاكِمِ والقاضي. والحكيم: هُوَ الشَّيْخُ المجَرِّبُ الْمُتْقِنُ للأُمور الْمَنْسُوبُ إِلى الحِكْمة الَّذِي يُحْسِنُ دَقَائِقَ الصِّناعات، ويُحْكِمُ الأَشياءَ وَيُتْقِنُهَا(٢).

٣- إِصَابَة الْحق وَالْعَمَل بِهِ، وَهِي: الْعلم النافع وَالْعَمَل الصَّالح(٣).

وهذه الأقوال كلها قريب بعضها من بعض؛ لأن الحكمة مصدر من الإحكام، وهو الإتقان في قول أو فعل، فكل ما ذكر فهو نوع من الحكمة التي هي الجنس، فكتاب الله حكمة، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم حكمة، والعلم حكمة؛ لأنه يمتنع به من السفه، وبه يعلم الامتناع من السفه الذي هو كل فعل قبيح(٤).

ب. مفهوم الحكمة اصطلاحا:

تعددت أقوال العلماء في تعريف الحكمة اصطلاحا، وقالوا في مفهومها الأقوال التالية:

١- إنَّهَا: الْعِلْمُ بِأَحْكَامِ اللهِ الَّتِي لَا يُدْرَكُ عِلْمُهَا إِلَّا بِبَيَانِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا(٥).

٢- كل كلمة وعظتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة(٦).

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ج٢/ص:٩١. المصباح المنير، ص:١٤٥.

(٢) لسان العرب، ج١٢/١٤٠-١٤٣.

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد – مكة المكرمة، ط: الأولى،١٤٣٢هـ، ج١/ص:١٤٠. والمفردات للراغب الأصفهاني، ص:٢٤٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج٣/ص:٣٣٠.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، ج٢/ص:٥٧٦.

(٦) تفسير البحر المحيط لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط: الأولى، عام ١٤٢٠هـ،

٣- هي: وضع الشيء في موضعه[١]. وهذا الأخير تعريف عام يشمل الأقوال والأفعال وسائر التصرفات. وهو الراجح إن شاء الله.

ونقيض الْحِكْمَة: الطيش والسفه والجهل، يُقَال سفه إِذا أسمعهُ الْقَبِيح. وَيُقَال: للجاهل سَفِيهٌ، ولِلْمَفَازَةِ الَّتِي لَا عَلَمَ بِهَا مَجْهَلٌ، ولِلْخَشَبَةِ الَّتِي يُحَرَّكُ بِهَا الْجَمْرُ مِجْهَلٌ. والطيش خِفَّةٌ مَعهَا خطأ فِي الْفِعْل، وَهُوَ من قَوْلك طاش السهْم إِذا خف فَمضى فَوق الهدف، فَشُبه بِهِ الْخَفِيفُ المفارقُ الصَّوَابَ فِي الْفِعْل[٢].

على ضوء ما سبق يمكن أن نعرف الحكمة بأنها "الإصابة في الأقوال والأفعال، على ضوء العلم وفقه الواقع، ووضع كل شيء في موضعه اللائق بإتقان"[٣].

وبهذا التعريف يتضح أن الحكمة في الدعوة إلى الله لا تقتصر على الأسلوب اللين، أو على الترغيب فحسب، بل يراد بالحكمة إتقان الأمور وإحكامها، بأن تنزل جميع الأمور منازلها، فيوضع القول الحكيم والتعليم والتربية في مواضعها، وتوضع الموعظة الحسنة في موضعها، والمجادلة بالتي هي أحسن في موضعها، ومجادلة الظالم المعاند في موضعها، وُيوضع الزجر والقوة والغلظة والشدة والسيف في مواضعها، مع مراعاة لأحوال المدعوين في الزمان والمكان، وهذا هو عين الحكمة[٤].

ومن صور توظيف الدعاة القراخانيين الحكمة في دعوتهم، ما يلي:

١- الدعوة الفردية.

=

ج١/ص:٦٢٦.

(١) منازل السائرين، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، دار الكتب العلمية – بيروت، عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص:٧٨.

(٢) الفروق اللغوية أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق وتعليق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص:٢٠٤. معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ج١/ص:٤٨٩.

(٣) تعريف الطالب الباحث.

(٤) مجموع الفتاوى، ج١٦/ص:٥٨٥.

هذا الأسلوب الدعوي طريقة سريعة لكسب أكبر عدد من أنصار الدين، وتكون أنجح من الدعوة العامة في تربية الأفراد، وذلك لما يلي:

١- يمكن أن تتم في كل الظروف والأحوال.

٢- تتم بدون حواجز والصعوبات بين الداعي والمدعو.

٣- تتميز بالصلة القوية مع المدعو.

٤- تتيح للمدعو الفرصة للاستفسار عن كل ما يرغب السؤال عنه.

٥- كما أنها لا تحتاج إلى جهد كبير، أو إعداد عميق.

دلت على مشروعيتها نصوص من الكتاب، منها: قوله تعالى: حكاية عن نوح عليه السلام في دعوة قومه، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا۝ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا۝ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾[1].

والآية تبين ما كان يفعله نوح عليه السلام مع قومه من دعوة فردية بنصحهم سراً في بيوتهم وفي أماكن خاصة، كما قال: الشوكاني رحمه الله في تفسير الآية، ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ «الْمَعْنَى: أَنْ يَدْعُوَ الرَّجُلَ بَعْدَ الرَّجُلِ يُكَلِّمُهُ سِرًّا فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ دَعَاهُمْ عَلَى وُجُوهٍ مُتَخَالِفَةٍ وَأَسَالِيبَ مُتَفَاوِتَةٍ، فَلَمْ يَنْجَعْ ذَلِكَ فِيهِمْ»[2].

ومن السنة دعوته صلى الله عليه وسلم أبا جهل. فعن الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ يَوْمٍ عَرَفْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنِّي كُنْتُ أَمْشِي أَنَا وَأَبُو جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ فِي بَعْضِ أَزِقَّةِ مَكَّةَ، إِذْ لَقِينَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِأَبِي جَهْلٍ: يَا أَبَا الْحَكَمِ هَلُمَّ إِلَى اللهِ عز وجل وَإِلَى رَسُولِهِ أَدْعُوكَ إِلَى اللهِ، قَالَ أَبُو جَهْلٍ يَا مُحَمَّدُ هَلْ أَنْتَ مُنْتَهٍ عَنْ سَبِّ آلِهَتِنَا هَلْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ نَشْهَدَ أَنْ قَدْ بَلَّغْتَ فَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ قَدْ بَلَّغْتَ، فو الله لَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ ما تقول حقّا لاتَّبَعْتُكَ، فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: فو الله إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ مَا يَقُولُ حَقٌّ، وَلَكِنَّ بَنِي قُصَيٍّ قَالُوا: فِينَا

---

(١) سورة نوح. الآية:٨-٩.

(٢) تفسير فتح القدير، للشوكاني، ج٥/ص:٣٥٦.

الْحِجَابَةُ فَقُلْنَا نَعَمْ، فَقَالُوا فِينَا النَّدْوَةُ فَقُلْنَا نَعَمْ، ثُمَّ قَالُوا فِينَا اللِّوَاءُ فَقُلْنَا نَعَمْ، قَالُوا فِينَا السِّقَايَةُ فَقُلْنَا نَعَمْ، ثُمَّ أَطْعَمُوا وَأَطْعَمْنَا حَتَّى إِذَا تَحَاكَّتِ الرُّكَبُ[(١)]، قَالُوا: مِنَّا نَبِيٌّ والله لا أفعل»[(٢)].

حيث اختار أبو نصر الساماني هذا الأسلوب في دعوة ستوق بغراخان إلى الإسلام، فكان ذلك طريقاً حكيماً واختياراً صائباً مثمراً. يُذكرُ عن أبي نصر أنه ذات ليلة ظهر له النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال له: استيقظ واذهب إلى تركستان، حيث تجد الأمير ستوق بغرا خان في انتظار حضورك للدخول في الإسلام. فعزم أبو نصر على اتخاذ التجارة حرفة له، وبدلا من محاولة جمع الثروة عن طرق التجارة جعل نصب عينيه دعوة الأمير الشاب، وكان هذا الأمير الشاب رأى أيضا في نومه رؤيا مماثلا، تحثه على انتظار شخص يدعوه إلى الدين[(٣)]. وذكر ابن الأثير تفصيل تلك الرؤيا «أَنَّهُ رَأَى فِي مَنَامِهِ كَأَنَّ رَجُلًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ فَقَالَ بِالتُّرْكِيَّةِ مَا مَعْنَاهُ: أَسْلِمْ تَسْلَمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَأَسْلَمَ فِي مَنَامِهِ، وَأَصْبَحَ فَأَظْهَرَ إِسْلَامَهُ»[(٤)].

إن صحت تلك الروايات، فكان بغراخان في استعداد تام لقبول الدعوة، بل كانت نفسه تتوق إلى معرفة الدين الحق، ويبحث عنه، وكان يريد أن يحقق في يقظته ما رآه في

---

(١) أي: «تماست واصطكّت والمراد تساويهم في الشَّرَف وتشاكلهم في المنَزْلة. وقيل: تجاثيهم على الرُّكب للتَّفَاخُر». الفائق في غريب الحديث والأثر، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة لبنان، ط: الثانية، بدون تاريخ، ج١/ص:٣٠١.

(٢) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: د/ عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى، عام ١٤٠٨هـ، ج٢/ص:٢٠٧. وصحيح السيرة النبوية، محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية عمان — الأردن، ط: الأولى، بدون تاريخ، ص:١٦٢.

(٣) الدعوة الإسلامية، توماس أرنولد، ص:٢٤٥. بتصرف. وينظر: ستوق بوغراخان، سيف الدين عزيزي، ص:٢٢٠.

(٤) الكامل لابن الأثير، ج٩/ص:١١٦.

منامه، لذلك كان يكثر السياحة في الأرض ليرى تلك الحقيقة، فلما رأى شيخه أبا نصر مع بعض أتباعه ذات يوم، وهم يؤدون إحدى الصلوات، أقبل نحوهم وسأل أبا نصر عما يفعلون، فأخبره بأنها الصلاة مما فرضها الله تعالى على عباده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، وسأل بغراخان عن أهمية الصلاة، فأخبر أبو نصر بأنها نجاة من النار ووسيلة لدخول الجنة. واستفسر بغراخان عن الله ورسوله وعن الجنة والنار، وقدم أبو نصر عرضا رائعا عن الإسلام، وتحدث عن الرب تبارك وتعالى بذكر بعض أسمائه وصفاته، حتى وجد الأمير بغراخان قناعة في نفسه، واختلى مع أبي نصر فأشهر إسلامه[١].

ثم أصبح الأمير بغراخان يدعو أعوانه إلى الإسلام، ومن حكمته في دعوته: أنه بدأ بالأقربين من حراسه واحدا واحدا في الخلوة، مخافة أن يرفضه أحدهم ثم يتبعه الآخرون، فيفشل الجهد، وهم كانوا زهاء أربعين فارسا من خيرة رجاله، وبدأهم فردا فردا حتى أسلموا جميعا[٢].

سبب نجاح دعوة أبي نصر، ودعوة تلميذه ستوق بغراخان، هو دور الحكمة فيها، حيث استخدم أبو نصر الخطاب اللائق للأمير، في الوقت المناسب للدعوة وهو حالة الاستعداد للقبول، وفي المكان المناسب وهو حالة الانفراد. وبالأسلوب نفسه دعا بغراخان أعوانه إلى الإسلام فتبعوه. ثم دعا قومه فاستجابوا له وأسلموا.

وعلى الداعية أن يهتم بأصحاب الشأن من المدعويين الذين لهم التأثير في المجتمع، ويعمل جاهداً على كسبهم وإسلامهم، لكي تتقوى بهم الدعوة، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على إسلام عمر ﷺوإسلام أبي جهل، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَال: «آللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ قَالَ: وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ»[٣].

---

(١) بوغراخانلا ته زكرسي، تأليف: موللا هاجي، تحقيق: عبد الرحيم سابت، قه شقه ر خه لق نه شرنياتي، ط: الأولى، عام ١٩٨٨م، ص:٢٣-٢٤. شه رقي تور كستان تاريخي، ص:١٣١.

(٢) بوغراخانلا ته زكرسي، ص:٢٥. ستوق بوغراخان، سيف الدين عزيزي، ص:٥٤-٥٥.

(٣) أخرجه الترمذي كتاب المناقب بَابٌ فِي مَنَاقِبِ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث

لأن الرجلين كانا يتصفان بالشجاعة والمنعة، وكان صاحب الحظ من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عمرﷺ، فلما أسلم استفاد المسلمون من شجاعته وازدادوا قوة، حتى إنهم أظهروا أنفسهم بعدما كانوا متسترين. وهكذا حرص أبو نصر الساماني إسلام ستوق بغراخان، وجعل دعوته في نصب عينيه، حتى قرت عينه بإسلامه. وقد غير إسلام ستوق بغراخان أحوال المسلمين في المجتمع التركستاني من القلة والضعف إلى العزة والقوة.

٢-التدرج في تطبيق الأحكام الإسلامية.

عندما قضت الدولة الإسلامية على نظام العبودية الجائرة في البلد، اعترض عليها البوذيون وحاولوا إبقاء النظام، لكن الدولة أخضعتهم بالقوة. وبعد مدة ثار البوذيون يطالبون بإعادة نظام العبودية، والسماح لعبادة الأصنام، وحرضوا بعض الضعفاء من المسلمين الجدد ليساندوهم. في هذا الوضع المضطرب لم تلجأ الدولة إلى الضغط والإكراه، ولم تفرض عليهم تطبيق الأحكام الإسلامية، بل تريثت في تطبيقها، خشية أن يرتد هؤلاء الضعفاء لكونهم حديث عهد بالإسلام. كما تريث الحكام في مواجهة هؤلاء الكفار البوذيين. حتى شرح الله صدور بعضهم للإسلام، فصاروا سندا للمسلمين وجنودا للإسلام، ثم لما فقه هؤلاء الضعفاء الجدد الدين، طبقت الدولة عليهم قوانين الإسلام[١].

٣-عرض الدعوة باللطف وعدم الإكراه.

الدعوة باللين والعرض الجميل منهج رباني، أوصى الله به موسى وهارون عليهما السلام في دعوة أعتى أهل الأرض، وقال ﷻ: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[٢]. أي: سهلا لطيفا، برفق ولين وأدب في اللفظ من دون غلظة في المقال، أو فظاظة في الأفعال، لَعَلَّهُ بسبب القول اللين يَتَذَكَّرُ ما ينفعه فيأتيه، أَوْ يَخْشَى ما يضره فيتركه.. وقد فسر القول اللين في قوله: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ

=

رقم:٣٦٨١. وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ. وقال الألباني: صحيح. سنن الترمذي، ج٥/ص:٦١٧.

(١) شه رقي تور كستان تاريخي، ص:١٣٢-١٣٣. ستوق بوغراخان، ص:٢٠٧، ص:٢٢٥-٢٢٦.

(٢) سورة طه. الآية:٤٣-٤٤.

فَتَخْشَىٰ﴾[١]. فإن في هذا الكلام من لطف القول وسهولته وعدم بشاعته ما لا يخفى على المتأمل فإنه أتى بـ "هل" الدالة على العرض والمشاورة التي لا يشمئز منها أحد[٢].

بهذا الأسلوب دعا الدعاة القراخانيون البوذيين المجاورين لهم إلى الإسلام، ومن أمثلة ذلك ما حدث في عهد شرف الدولة (أبو شجاع أرسلان خان) عام (٤٣٨هـ/١٠٤٧م) أن عددا كبيرا من الأتراك الوثنيين خرجوا من هضبة التبت، وكانوا يعيشون فيها، فراسلوا أرسلان خان، يشكرونه على حسن سيرته في رعيته، واستأذنوا الإقامة في أرضه فترة للنزهة، وأخبروا بأنهم لا ينوون أي نية سيئة إلى مَمْلَكَتِهِ، فأذن لهم أرسلان خان، وراسلهم ودعاهم إلى الإسلام، فلم يجيبوا، ولم ينفروا منه، وتركهم أرسلان خان على حالهم دون إجبارهم على الإسلام، لما آنسه فيهم من روح المسالمة والطاعة، ثم اعتنقوا الإسلام في السنة التالية[٣].

٤-استخدام القوة والشدة في موضعها.

لجأ الدعاة القراخانيون إلى استخدام القوة، عندما تمرد البوذيون في ختن وجيشوا لمحاربة الدولة الإسلامية – بعد أن خضعوا لها- وأفسدوا في الأرض بالقتل والنهب، بإجبار من حولهم من المسلمين على الارتداد من الإسلام، وقَتْلِ مَنْ رفض ذلك ثم نَهْبِ ممتلكاتهم، حتى استولوا على بعض المناطق حول مدينة كاشغر، فوقعت حرب دينية بين المواطنين، وواجههم الحكام بما تقتضي الحال لصد عدوانهم، وقاتَلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون كله لله، وكتب الله لهم النصر، وكسروا شوكة الكفار، فأمن العباد والديار من شر البوذيين[٤].

وكذا لما وقف أهل مدينة "كوچا" و"قرا شهر" ضد الدعوة الإسلامية، ومنعوا دخول الدعاة فيهما، قاتلهم الحكام حتى أخضعوهم، ونشروا الإسلام في أنحاء المدينتين[٥].

العاقل ذو الفطرة السليمة لا يكابر عن سماع الحق ويقبله بدليله، أما الظالم المتبع لهواه

---

(١) سورة النازعات. الآية:١٨-١٩.

(٢) تفسير السعدي، ص:٥٠٦، بتصرف.

(٣) الكامل لابن الأثير، ج٨/ص:٥٨. الدعوة الإسلامية، توماس أرنولد، ص:٢٤٦.

(٤) ستوق بوغراخان، سيف الدين عزيزي، ص:٢٦٧-٢٦٨.

(٥) شنجاكدىكي مسلله تله ر نىك تاريخي، ج٢/ص:٦٥٣.

المعاند في قبول الحق، فلا ترده إلا القوة والسلاح. وما أحسن ما قاله الشاعر في هذا المعنى:

دعـا المصـطفى دهـرا بمكـة لم يجـب ... وقـد لان منـه جانـب وخطـاب

فلمـا دعـا والسـيف صـلت بكفـه ... لـه أسـلموا واستسـلموا وأنابـوا[١]

لأن الشريعة الكاملة جاءت باللين في محله، والشدة في محلها، فلا يجوز أن يوضع اللين في محل الشدة، ولا الشدة في محل اللين، وإلاّ يبقى الجهد بلا نتيجة. وعلى الداعية إلى الله تعالى أن تكون أقواله وأفعاله وتدبيراته وأفكاره نابعة من الحكمة، موافقة للصواب، غير متقدمة على أوانها ولا متأخرة، لا زيادة فيها عما ينبغي ولا نقص فيما يلزم، مجتهداً في معرفة نفعه وصلاحه، سالكاً أقرب طريق يوصل إلى ذلك كي يتحقق الهدف.

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، تأليف: علماء نجد الأعلام، الناشر: الدرر السنية، ط: السادسة، عام ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج١٦/ص:١٣٣. وينسب البيت إلى حسان بن ثابت رضي الله عنه فلم أجده في ديوانه.

المبحث الثاني: الموعظة الحسنة.

الموعظة الحسنة باب من أبواب الدعوة إلى الله بواسطة الكلمة الطيبة التي يخاطب بها الداعية الناس، فترق قلوبهم بها، ويحسّون من خلالها صدق الداعي وحرصه على جلب الخير لهم، ودفع الضر عنهم، لكونها تذكر وتخاطب القلوب والمشاعر والأفئدة، وقد مثل لها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[١].

وقد وردت مشتقات مادة "وعظ" في القرآن الكريم على ثلاثة عشر وجهاً[٢].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾[٣]. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾[٤]. وقوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ﴾[٥].

وهذا يدل على أن للموعظة الحسنة أهمية كبرى في مجال الدعوة إلى الله تعالى، سواء اتخذت صفة النصح أو التذكير أو الترغيب والترهيب.

قال ابن القيم رحمه الله: «جعل سُبْحَانَهُ مَرَاتِب الدعْوَة بِحَسب مَرَاتِب الْخلق فالمتسجيب الْقَابِل الذكي الَّذِي لَا يعاند الحق وَلَا يأباه يُدعى بطرِيق الْحِكْمَة، والقابل الَّذِي عِنْده نوع غَفلَةٍ وَتَأَخُرٍ يُدعى بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَة.. والمعاند الجاحد يُجَادَلُ بِالَّتِي هِيَ أحسن. فإن رجع إلى الحق وإلا انتقل معه من الجدال إلى الجلاد إن أمكن»[٦].

---

(١) سورة إبراهيم. الآية:٢٤-٢٥.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية- القاهرة، عام ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م، ص:٧٥٥.

(٣) سورة النساء. الآية:٥٨.

(٤) سورة النساء. الآية:٦٦.

(٥) سورة النحل. الآية:١٢٥. ينظر: بقية الأوجه في المعجم المفهرس لمحمد فؤاد عبد الباقي، ص:٧٥٥.

(٦) مفتاح دار السعادة، ج١/ص:٤٣٣. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي

أغلب من يدعى بالموعظة الحسنة، هو الشخص الذي يعترف ويقر بصدق ما تدعوه إليه، ولكنه لا يوافِق عَمَلُه عِلمَه لغفلة طرأت عليه، فهذا يُنَبَّهُ ويُحَثُّ على العمل بالموعظة الحسنة ترغيبًا وترهيبًا؛ لأنه أحوج ما يكون إلى الجذب إليه، وهذا في الغالب يكون مع الصالحين الذين قال الله ﷻ عنهم ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١).

مفهوم الموعظة لغة واصطلاحا:

أ. مفهوم الموعظة لغة:

الموعظة في اللغة: مصدر من مادّة (وع ظ) وعظ يعظ عظة وموعظة، وتدلّ على التّخويف، والزجر، والتذكير بالخير، والنصح. قال الخليل: «وَعَظْتُ الرّجلَ أَعِظُهُ عِظَةً وموعظة: وهو تذكيرُك إيّاه الخيرَ ونحوَه ممّا يرقُّ له قلبُهُ»(٢).

وقال الجوهري: «الوَعْظ: النُّصْح والتذْكير بالعَواقِب، تقول: وَعَظْتُهُ وَعْظاً وعِظَةً فاتَّعَظَ، أي قبِلَ المَوْعِظَةَ»(٣).

وقَالَ ابْنُ منظور: نقلا عن ابن سِيدَهْ «هُوَ تَذْكِيرُكَ للإِنسان بِمَا يُلَيِّن قلبَه مِنْ ثَوَابٍ وعِقاب»(٤).

=

بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن القيم الجوزية، تحقيق: د/ علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة – الرياض، ط: الثالثة، عام ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج٤/ص:١٢٧٦، بتصرف.

(١) سورة الذاريات. الآية:٥٥.

(٢) كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د/ مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون تاريخ، ج٢/ص:٢٢٨. ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، ج٦/ص:١٢٦.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط: الرابعة، عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٣/ص:١١٨١.

(٤) لسان العرب، ج٧/ص:٤٦٦.

ب. مفهوم الموعظة اصطلاحا:

عرفها البيضاوي بأنها: «الخطابات المقنعة والعبر النافعة لدعوة العوام»[١].

وقال ابن القيم: «هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب»[٢].

وَعرفها ابْنُ عَطِيَّةَ بأنها: «التَّخْوِيفُ وَالتَّرْجِيَةُ وَالتَّلَطُّفُ بِالْإِنْسَانِ بِأَنْ تُجِلَّهُ وَتُنَشِّطَهُ، وَتَجْعَلَهُ بصورة من يقبل الْفَضَائِلَ»[٣].

على ضوء ما سبق يمكن أن نعرف الموعظة الحسنة، بأنها: "نصح وتذكير بالخير بجذب المشاعر، مقترن بالرغبة والرهبة في العواقب"[٤].

يتضح مما سبق أهمية الموعظة في الدعوة، بأنها تدعو إلى ما فيه خير وصلاح، وتحذر مما فيه شر وفساد. والواعظ هو الذي يرشد الجاهلين، وينبه الغافلين، ويعالج النفوس الطائشة مع أهوائها، ليعيدها إلى فطرتها السليمة، من الإقبال على الفضائل والترفع عن السفاسف والرذائل.

استخدام الدعاة القراخانيين الموعظة في دعوتهم.

لقد اشتهر "بالوعظ" عدد من العلماء القراخانيين وإن لم تأت تفاصيل مواعظهم في

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، عام ١٤١٨هـ، ج٣/ص:٢٤٥. بتصرف يسير.

(٢) تفسير القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط: الأولى، عام ١٤١٠هـ، ص:٣٥٩. ومفتاح دار السعادة، لابن القيم، ج١/ص:١٥٣.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية –بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ، ج٣/ص:٤٣٢. والبحر المحيط لأبي حيان، ج٦/ص:٦١٣.

(٤) تعريف الطالب الباحث.

المصادر التاريخية، لكن المؤلفات التي ألفوها تدل على اهتمامهم بالموعظة الحسنة في دعوتهم، وأبرز من اشتهر من الدعاة في الوعظ:

١- حسين بن خلف بن جبريل الكاشغري رحمه الله.

لم يكن الكاشغري مجرد عالم فحسب، بل كان داعية وواعظا ومربيا، لذلك يُعد أستاذ عصره في تزكية النفس والزهد والورع. ويشار إليه بالبنان في المواعظ، وقد ذكر أصحاب التراجم بأنه كان بكاء خائفا واعظا، لا يخاف في الله لومة لائم، تاب على يده خلق كثير[١]. وكان لا يداري في مواعظه أحدا، يروى أنه كان يدخل على الملك محمد بغراخان ويعظه، وكان الملك يطلب منه ذلك، وفي إحدى المرات استشاره الملك في قمع المعارضين على ملكه، فوعظه موعظة بليغة: «بأن الاستقرار في السلطة لا يبرر الاضطهاد، والبغي يصرع أهله، وأن الظلم مرتعه وخيم» ووعظه بأن يتحلى بالصبر والتحلم والعفو عنهم، والاستماع إليهم، فتأثر الملك بموعظته واتعظ، حتى اقتنع على العدول عن رأيه[٢].

٢- الداعية الفيلسوف يوسف خاص حاجب البلاساغوني.

جمع يوسف خاص حاجب بين العلوم الشرعية والعصرية، وهذا ما لم يجتمع لأحد في عصره، لذلك وجد قبولا في جميع أطياف المجتمع: من الأمراء والعلماء والأدباء والمثقفين والعوام، وبذكائه الخارق تعامل مع الكل حسب مستواهم حتى انتفعوا منه. ولذلك اختاره ملك البلاد مستشارا خاصا له، بعدما اطلع على كتابه "قوتاديغوبيليك"، إعجابا لغزارة علمه وقوة عقله وصفاء فكره، والكتاب وإن غلب عليه صبغة الأدب، لكنه مليء بالمواعظ الدينية، شامل جميع جوانب الحياة من رئاسة الدولة إلى رعاية الأسرة.

ومن لم يمعن النظر في الكتاب، أو قصر فهمه عن قصد المؤلف من تأليف كتابه، قال:

---

(١) لسان الميزان، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الفتاح أبي غدة، دار البشائر الإسلامية، ط: الأولى، عام ٢٠٠٢م، ج٣/ص:١٩٨. طبقات المفسرين للسيوطي، ص:٤٥.

(٢) محمود كاشغري، يه رهات جبلان، شنجاك خه لق نه شرياتي، ط: الأولى، ٢٠١١م، ص:٣٠٦-٣٠٩. معجم البلدان، ج٤/ص:٢٢٧.

إن الكتاب في علم الاجتماع أو في علم الأدب فقط. وذلك فهم قاصر[١].

والمؤلف لما شاهد أن معظم العلماء يركزون في دعوتهم العوام من الناس، أراد أن يعظ الطبقة العليا في المجتمع، ولصعوبة اللقاء والمشافهة معهم، ألف كتابه المذكور بصبغة الأدب بأسلوب رائع. استهل الكتاب بالحمد على الله، وأطنب فيه حتى ضمنه موعظة في التوحيد في أنواعه الثلاثة[٢].

ثم أورد فيه القصص والأمثال والحكم، مستشهدا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، التي تحث على العدل وبيان فضله وتمنع من الظلم مع بيان عاقبته[٣].

ومن ذلك ما ذكره في كتابه: «أن العدل أساس قيام الدولة، وعلى الحكام العدل والعفة، والأمة ترتقي بعدل الحكام، وبعدلهم تدوم دولتهم. ولا تتحقق الأماني إلا بالعدل، وكذا رفع البلايا والمحن لا يكون إلا بالعدل»[٤].

ومكانة العدل كما قال خاص حاجب؛ لأن بالعدل يحسن الزمان، وتخصب البلاد وتأمن السبل ويطيب العيش، وتنتظم أسباب الحياة. وباستعماله يحصل رضا الخالق ومحبة المخلوقين؛ والسعادة في دار الأبد؛ والفوز بالنعيم السرمد.

كما أورد المؤلف في الكتاب مواعظ تحث على الزهد في الدنيا، والاكتفاء بالكفاف منها، وملازمة الذكر والاستغفار، وذكر الموت واغتنام العمر قبل مفاجأة الحِمام، والاستعداد ليوم الحساب[٥].

٣- الداعية الأديب أحمد يوكنكي.

هكذا اشتهر كما اشتهر من قبله يوسف خاص حاجب. وأُثِرَتْ مواعظه عبر كتابه

---

(١) مقدمة قوتادغوبلك، تحقيق: لجنة تحقيق قوتادغوبلك، شنجاك خه لق نه شرياتي، عام ١٩٨٣م، ص:٢٤، وما بعدها.

(٢) قوتادغوبلك، ص:٤٤-٤٩.

(٣) ينظر: مقدمة قوتادغو بلك، ص:٥ -١٢.

(٤) قوتادغوبلك، ص:٢١١.

(٥) ينظر: قوتادغوبلك، ص:١٢٤٣-١٢٤٨. فهذا موجز ما في الكتاب وأما التفاصيل فيه فكثيرة.

"عتبة الحقائق"، حيث جمع أحمد يوكنكي في كتابه المذكور مواعظ نادرة وأقوالاً مأثورة، بَيْدَ أنه ولد أعمى البصر، إلا أن الله ملأ قلبه وروحه بنور البصيرة. وقد ألف كتابه بهدف تفسير عدد من المسائل والقضايا الاجتماعية والسياسية والروحية والأخلاقية، على أساس تعاليم الدين الإسلامي على شاكلة «قوتادغوبيليك»[١].

وأول موعظة استهل بها الأديب أحمد كتابه - بعد الحمد لله عز وجل والثناء على رسوله صلى الله عليه وسلم - هي موعظة في فضل العلم وذم الجهل، ومدح العلم والعلماء بلهفة بالغة، وعرّف بأن المعرفة تفتح طريق السعادة أمام الإنسان. ومما قال فيه: «يعرف الأشخاص بالعلم، والجاهل يعتبر مفقودًا بينما هو حي، وإذا مات العالم فإن اسمه لا يموت، ومهما يكون الجاهل سليمًا معافىً فإن اسمه ميت»[٢].

وأشبع الحديث في قضية الأخلاق، والشجاعة، والتواضع، والتعاطف، والعدالة، والمروءة، والكرم، والفضيلة. ومما قال فيه: «إن الصالح من هذا الشعب هو الشخص الكريم؛ لأن الكرم يزيد الشرف والرتبة والجمال، وإذا أردت أن تكون محبوبًا بين الناس كن كريمًا، فالكرم يجعلك محبوبًا»[٣].

هذا بعض ما جاء في الكتاب من الأمثلة في المواعظ، والكتاب صغير الحجم مقارنة بكتاب "قوتادغوبلك" لكنه كان عظيم الفائدة في المجتمع التركي المسلم، وبالأخص في أوساط المثقفين والأدباء، لكونه ينحو ناحية الأدب.

سبب عدم وصول مؤلفات علماء الدين الخالصة في المواعظ المستندة على الكتاب والسنة، لعل تلك المؤلفات تعرضت للإتلاف على يد قوات "چنگيزخان" كما حدث في بغداد، ثم تعرض المسلمون في تركستان على يد المنشوريين بأبشع الظلم والاضطهاد، وتعرضوا أيضا على يد الشيوعيين أشد من ذلك، في عهد الثورة الثقافية من عام ١٩٦٦-١٩٧٩م، حيث أتلف في هذه الفترة كل ما هو إسلامي، ولكون الكتابين السابقين من

(١) عتبة الحقائق، أحمد بن محمود يوكنكي، ص:٤-٦.

(٢) المرجع السابق، ص: ١٨-٢١.

(٣) المرجع السابق، ص:٣٠-٥٦.

ضمن كتب الأدب والاجتماع، سلما من الإتلاف إلى عصرنا الحاضر. وذلك التخريب نفسه حصل في تركستان الغربية، في عهد القياصرة الروس والشيوعيين[١].

هذا هو السبب لفقد كثير من الكتب الدينية في تركستان، وإلا قيل: عن عدد غير قليل من علماء البلاد، أنهم ألفوا العديد من الكتب في شتى العلوم الشرعية، كأمثال: أبي عبد الله حسين بن علي بن خلف بن جبريل الألمعي الكاشغري، ذكر عامة أصحاب التراجم عنه أن له أكثر من مائة تصنيف[٢].

٤- **الواعظ أَبُو الْمَعَالِي طغرل شاه بن مُحَمَّد بن الْحُسَيْن الكاشغري.**

(المتوفى: ٥٦٠هـ).

لم يؤثر عنه كتاب في الوعظ، وإنما أثر عنه جهوده البالغة في موعظة الناس، حيث كَانَ حسن الْوَعْظ كثير الْمَحْفُوظ جوالاً فِي الْبِلَاد لموعظة الناس، وَكَانَ لَهُ معرفَة بالتفسير وَالْأَدب. وله شعر في الزهد، ومنه قوله:

خطـرات ذكـرك تستكين مـودتي ... وأحـس مِنْهَـا فِي الْفُـؤَاد دبيبـا

لَا عُضْـو لي إِلَّا وَفِيـه صـبَابَة ... فَكَـأَن أعضـائي خُلِقْـنَ قلـوبا[٣]

---

(١) ينظر: مقدمة كتاب القند في ذكر علماء سمرقند، نجم الدين عمر بن أحمد النسفي، تحقيق: يوسف الهادي، الناشر: مرآة التراث – طهران، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص:٣٦-٣٧.

(٢) معجم البلدان، ج٤/ص:٤٣٠. طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط: الأولى، عام ١٩٩٧، ص:١٤٠.

(٣) الوافي بالوفيات، للصفدي، ج١٦/ص:٢٦١.

المبحث الثالث: النصيحة بين الراعي والرعية.

النصيحة في الدين من أهم الأساليب الدعوية، ولها أهمية كبرى في حياة الأفراد والجماعات، لذلك اهتمت الشريعة بها منذ النبوة الأولى، وأضفت لها الخصائص العظيمة، والأهمية البالغة، نرى ذلك عند التتبع بنصوص الوحيين، ومن تلك الخصائص والأهمية:

١- إنها وظيفة من وظائف الأنبياء، كقوله تعالى: عن نوح عليه السلام ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]. وقال تعالى: عن صالح عليه السلام بعد أن دعا قومه ورفضوا دعوته: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[2]. وهكذا هي طريقة كلِّ مَن سار على دربِهم من العلماء، وسائر الدعاة إلى الله.

٢- إنها دعامة من دعامات الإسلام، وقوامة من قوائمه، لقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾[3]. ولقوله صلى الله عليه وسلم: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ..»[4].

قال الإمام النووي رحمه الله: «هذا حديث عظيم الشأن، وعليه مدار الإسلام.. وأما ما قاله جماعات من العلماء: أنه أحد أرباع الإسلام، أي أحد الأحاديث الأربعة التي تجمع أمور الإسلام، فليس كما قالوه، بل المدار على هذا وحده»[5].

٣- إنها سبيل النجاة من العقاب الإلهي، لقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن

---

(١) سورة الأعراف. الآية:٦٢.

(٢) سورة الأعراف. الآية:٧٩.

(٣) سورة العصر. الآية:١-٣.

(٤) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة، حديث رقم:٥٥. وتكملته: «قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ».

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي — بيروت، ط: الثانية، عام ١٣٩٢هـ، ج٢/ص:٣٧.

سَبِيلٍۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

إذا ارتبطت نجاة أهل الأعذار – من الضعفاء والمرضى لقعودهم عن الجهاد- بالنصيحة، فنجاة غيرهم تتعلق بها من باب أولى، لاشتراط النبي صلى الله عليه وسلم النصح لكل مسلم، عند البيعة لأحد على الإسلام. فعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قَالَ: «..أتيت النبي صلى الله عليه وسلم قُلْتُ: أُبَايِعُكَ عَلَى الإِسْلاَمِ فَشَرَطَ عَلَيَّ: وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، فَبَايَعْتُهُ عَلَى هَذَا، وَرَبِّ هَذَا المَسْجِدِ إِنِّي لَنَاصِحٌ لَكُمْ..»[٢].

٤- إنها من أُولَيات حق المسلم على أخيه المسلم، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»[٣].

أقوال العلماء في أهمية النصيحة.

● الناصحون خلفاء الله في الأرض، قاله الحسن البصري رحمه الله: «ما زال لله ناس ينصحون لله في عباده، وينصحون لعباد الله في حق الله عليهم، ويعملون له في الأرض بالنصيحة، أولئك خلفاء الله في الأرض»[٤].

● من نصحك فقد أحبك، قاله الحارث المحاسبي رحمه الله: «وَاعْلَم أَن من نصحك فقد أحبك وَمن داهنك فقد غشك وَمن لم يقبل نصيحتك فَلَيْسَ بِأَخ لَك»[٥].

---

(١) سورة التوبة. الآية:٩١.

(٢) أخرجه البخاري كتاب العلم باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة، حديث رقم:٥٨.

(٣) أخرجه مسلم كتاب السلام باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، حديث رقم:٢١٦٢.

(٤) شرح صحيح البخاري لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – الرياض، ط: الثانية، عام ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ج١/ص:١٣٠.

(٥) رسالة المسترشدين، أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية- حلب سوريا، ط: الثانية، عام ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص:٧١.

● منزلة الناصح تعلو على غيره، قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: «مَا أَدْرَكَ عِنْدَنَا مَنْ أَدْرَكَ بِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، وَإِنَّمَا أَدْرَكَ عِنْدَنَا بِسَخَاءِ الْأَنْفُسِ، وَسَلَامَةِ الصُّدُورِ، وَالنُّصْحِ لِلْأُمَّةِ»(١).

● لا يمكن مقارنة الناصح بغيره، قَالَ ابْنُ عُلَيَّةَ فِي قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ الْمُزَنِيِّ: «مَا فَاقَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِصَوْمٍ وَلَا صَلَاةٍ، وَلَكِنْ بِشَيْءٍ كَانَ فِي قَلْبِهِ، قَالَ: الَّذِي كَانَ فِي قَلْبِهِ الْحُبُّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالنَّصِيحَةُ فِي خَلْقِهِ»(٢).

ولتلك الأهمية للنصيحة في الإسلام، اهتم بها الدعاة إلى الله في العصور في كل أقطار العالم، ومنهم: الدعاة القراخانيون في تركستان، وتفصيل نصيحتهم كما يلي:

أولا: نصيحة الرعاة للرعية.

لم يكن الملوك القراخانيون مجرد حكام فحسب، بل كان منهم: علماء ودعاة إلى الله، وقد حملوا على عاتقهم هَمَّ نشر الدين في بلدهم، لذلك نجد في سيرهم الدعم اللا محدود للعلماء في خدمة نشر العلم، انطلاقا من قوله صلى الله عليه وسلم «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ..»(٣). وقوله صلى الله عليه وسلم «مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ، وَخَلَّتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ، احْتَجَبَ اللَّهُ عَنْهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ، وَفَقْرِهِ»(٤).

---

(١) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: السابعة، عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص:٢٢٥.

(٢) المرجع السابق، ص:٢٢٥.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الجمعة باب الجمعة في القرى والمدن، حديث رقم:٨٩٣. وتكملته: «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» قَالَ الراوي: وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ: «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»

(٤) أخرجه أبو داود كتاب الفرائض باب فيما يلزم الإمام من أمر الرعية والحجبة عنه، حديث

ومن الشواهد على مدى اهتمام الملوك والأمراء القراخانيين بدعوة الرعية ونصيحتهم، أن ملك ما وراء النهر (جَغْرِي خَانْ) لما أمر الأَتْرَاك الْقَارْغِلِيَّة الانتقال مِنْ أَعْمَالِ بُخَارَى وَسَمَرْقَنْدَ إِلَى كَاشْغِرَ.. وَيَشْتَغِلُوا بِالزِّرَاعَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَعْمَالِ.. فَامْتَنَعُوا، فَأَلْزَمَهُمْ وَأَلَحَّ عَلَيْهِمْ بِالِانْتِقَالِ، فَاجْتَمَعُوا وَصَارَتْ كَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةً، فَكَثُرُوا، وَسَارُوا إِلَى بُخَارَى وعاثوا فيها فساداً بالسلب والنهب، فكلَّفَ الملك أحد رجاله في الدولة أن ينصحهم، وهو الْفَقِيهُ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ بُرْهَانِ الدِّينِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَازَةَ، رَئِيسُ بُخَارَى، فَنصحهم قائلا لهم: «إِنَّ الْكُفَّارَ بِالْأَمْسِ لَمَّا طَرَقُوا هَذِهِ الْبِلَادَ امْتَنَعُوا عَنِ النَّهْبِ وَالْقَتْلِ، وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، غُزَاةٌ، يَقْبُحُ مِنْكُمْ مَدُّ الْأَيْدِي إِلَى الْأَمْوَالِ وَالدِّمَاءِ، وَأَنَا أَبْذُلُ لَكُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ مَا تَرْضَوْنَ بِهِ لِتَكُفُّوا عَنِ النَّهْبِ وَالْغَارَةِ»[1].

ثانيا: نصيحة الرعية للرعاة.

بعد مقتل ملك كاشغر وبلاساغون (الملك محمد بغراخان) على يد زوجته الصغيرة، انتشر الفساد في البلاد، وعم الفوضى في قصر الإمارة، بسبب عدم اتفاق الوزراء على زوجة بغراخان، لتعيين ابنها إبراهيم ملكاً للبلاد خلفاً لوالده، لكونها هي المدبرة لقتل الملك، فلم يلبث أن قُتِل ابنُها، ثم انكشف أمرها بقتل زوجها الملك بغراخان، واستفحل الفساد في البلاد بعد ذلك، حيث استغل هذا الاضطراب بعض الوزراء لنهب أموال الدولة، وكثرت السرقة والغصب بين الناس، بسبب الفراغ في السلطة، وعدم وجود نظام في البلد.

ساعدت هذه الأجواء المضطربة ظهور العقيدة الصوفية التي كانت ممنوعة من قبل، لكونها تدعو الناس إلى التقشف في الحياة، وترك ملذات الدنيا بما فيها المناصب في الدولة، حتى ترك بعض الوزراء الصالحين مهامهم في الدولة، واعتزلوا الناس والبلاد ولجئوا إلى كهوف في الجبال، بغرض اعتزال الفتنة. وكان هذا التصرف منهم، يهدد الدولة من الداخل بحدوث الاقتتال للتنافس على السلطة، ومن الخارج فرض الهيمنة على الدولة، من قِبَلِ بعض القوى

=

رقم:٢٩٤٨، قال الألباني: صحيح.

(١) ينظر: الكامل لابن الأثير، ج٩/ص:٣١٥.

المنافسة للدولة كالسلاجقة والخوارزم شاه. والقوى المعادية لها كالقراخطاي الصيني، كل ذلك حصل لاحقا، لكن جهود العلماء أخرت ذلك.

فما كان من الدعاة الناصحين إلا أن قاموا بواجبهم الديني تجاه قومهم وبلدهم، فنصحوا الرعية بالإمساك عن الفوضى، وحذروا الفاسدين من عاقبة السوء في الدنيا والآخرة، ونصحوا المتأثرين بفكر التصوف - الذين أووا إلى الغار والكهوف - بترك هذا الغلو والعودة إلى بيوتهم، ونصحوا الوزراء الصالحين الذين تركوا مناصبهم زهدا واتقاء من الفتنة، لمزاولة مهامهم، حتى هدأت الفتنة وصرفت الشرور من البلد(١).

ورجعت الأمور إلى صوابها، بعد قيادة البلاد الملك طغرل خان(٢) بْن يُوسُفَ قَدْرَ خَانَ عام (٤٤٩هـ/١٠٥٧م)، وحكم البلاد سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً. وبعد وفاته عام (٤٦٦هـ/١٠٧٤م)، تولى الملك ابْنُهُ طُغْرُلْتِكِينُ(٣)، وَأَقَامَ شَهْرَيْنِ، ثُمَّ تولى الْمُلْكَ، الملِك حسن بن سليمان المشهور بـ هَارُون بُغْرَا خَان.. وَأَقَامَ مَالِكًا تِسْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، فَوَلِيَ الملكَ بعده ابْنُهُ أَحْمَدُ بْنُ أَرْسَلَانَ خَانَ، وَأَرْسَلَ رَسُولًا إِلَى الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَظْهِرِ بِاللَّهِ يَطْلُبُ مِنْهُ الْخِلَعَ وَالْأَلْقَابَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَا طَلَبَ، وَلَقَّبَهُ نُورَ الدَّوْلَةِ، وحكم البلاد إلى عام (٥٢٢هـ/١١٢٨م)(٤).

وهؤلاء الحكام ثبتوا الأمن في البلاد، وأحسنوا على الرعية وقاموا بإصلاح جذري للدولة، حتى حافظت الدولة على هيبتها ومكانتها بين جاراتها، وعز الإسلام والمسلمون في

---

(١) ينظر: يوسف خاص حاجب، يار محمد طاهر، ص:٦٠-٨١. ئويغور يلنامسي، ص:١٤٠-١٤٣.

(٢) اسمه محمود بن قدرخان يوسف، بعد تولي الملك نقل العاصمة من مدينة بلاساغون إلى مدينة كاشغر، واختار ابن أخيه حسن بن سليمان نائبا له، وحاولا معا توحيد البلاد شرقها مع غربها، لكن خشية إراقة الدماء، رضيا ببعض التنازل عن أمير غرب البلاد. غه ربي يورت تاريخمزدىكي خاقانلا، ص:١٨٦.

(٣) اسمه عمر بن محمود طغرل خان.

(٤) الكامل لابن الأثير، ج٧/ص:٤٦٤. معجم الأنساب للزمباور، ص:٣١٣. ئويغور نامه، ص:٢١٥. شنجاكدا ئوتكه ن ئسلام خانلقلرىنىك قسقىچه تاريخي، ص:٧٩-٨٠.

مدة حكمهم.

□

المبحث الرابع: الترغيب والترهيب.

الترغيب والترهيب من أهم الأساليب في مجال الدعوة إلى الله؛ لأن غرس الخوف في نفوس العباد من العقاب الإلهي عاجلا أو آجلا أمر مطلوب، كي يحمل النفس على اتقائه بتجنب ما يغضب الله تعالى، وكذلك غرس الرجاء في النفوس والترغيب فيما عند الله من خيري الدنيا والآخرة أمر مطلوب، كي يبادر الإنسان إلى نيلهما بالتقرب إلى الله بالطاعة.

واقتران الاثنين معا هو أسلوب قرآني دل عليه كثير من الآيات القرآنية، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّيَ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾[١]. وقوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾[٢].

وسبب ذلك أن بعض الناس يستجيبون للترغيب وينتفعون منه، وآخرون لا يجدي فيهم الترغيب والوعود الجميلة، وإنما ينفع معهم التقريع والتعنيف وكسر حدة النفس، ولذلك أتى الترغيب مقرونا بالترهيب.

ومن حكمة الله تعالى بعباده أن رباهم في القرآن بنوعي التربية كليهما: الترغيب والترهيب، لئلا يتمادى العاصون في المعاصي مغترين برحمة الله ومغفرته، ولا ييأس المعترفون بذنوبهم من سعة رحمته خوفا من عذابه، بل يكون حالهم بين الرجاء والخوف، كما يقول الله تعالى: عن عباده الصالحين، ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾[٣].

وَذكر خوف العذاب بعد رجاء الرحمة في الآية، للإِشَارة إِلى أَنَّهُم فِي موقف الأدب مع رَبِّهم فلا يزيدهم القرب من رضاه إِلَّا إِجلالًا له وخوفا من غضبه.

مفهوم الترغيب والترهيب في اللغة والاصطلاح.

أولا: المقصود بالترغيب لغة واصطلاحا:

أ. مفهوم الترغيب لغة:

تدل مادة "رغب" في اللغة: «على طلب الشيء، والحرص عليه، والطمع فيه، وعلى

---

(١) سورة الحجر. الآية:٤٩-٥٠.

(٢) سورة الكهف. الآية:٢.

(٣) سورة الإسراء. الآية:٥٧.

الشيء الواسع.. وأَرْغَبَنِي فِي الشَّيءِ ورغَّبَنِي بِمَعْنًى واحد. وجاء في موسوعة نضرة النعيم، ورَغَّبَهُ في الشيء أي: أوجد فيه الرغبة إليه، ويكون ذلك بتحسينه وتزيينه حتى تميل النفس إليها وترغب فيها»[١].

ب. مفهوم الترغيب اصطلاحا:

ويقصد بالترغيب اصطلاحا: «كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه»[٢].

ثانيا: المقصود بالترهيب لغة واصطلاحا:

أ. مفهوم الترهيب لغة:

تدل مادة "رهب" على الخوف والفزع. يقال: رَهِبَ يَرْهَبُ رَهْبَةً ورُهْباً، ورَهِبْتُ الشَّيءَ أَرْهَبُهُ رَهَباً، أي: خفته. وأَرْهَبْت فلانا، الاسم منه الرَّهَب، والرهباء، ورهبوت، يقال: رَهَبُوت خيْرٌ من رَحَمُوت، أي: أن تُرْهَبَ خيرٌ من أن تُرْحَمَ. وجاء في نضرة النعيم. ورهّبه من الشّيء بمعنى أخافه منه خوفا شديدا ترتعد له فرائصه، ويتحقّق بذلك رهبة منه تخالج شعوره وتدفع صاحبها إلى البعد عمّا يؤدّي إلى المخاطر[٣].

ب. مفهوم الترهيب اصطلاحا:

«يقصد به كل ما يخيف ويحذر المدعوَّ من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله»[٤].

أثر هذين الأسلوبين في الغالب فعّالٌ ناجح؛ لأنه يتوافق مع الفطرة، التي تحب الخير

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ج٢/ص:٤١٥-٤١٦. لسان العرب، ج١/ص:٤٢٢. موسوعة نضرة النعيم، ج٦/ص:٢١٧٠، بتصرف.

(٢) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط: التاسعة، عام ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص:٤٣٧.

(٣) معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، ج٤/ص:٤٧. لسان العرب، ج١/ص:٤٣٦. موسوعة نضرة النعيم، ج٦/ص:٢١٧٠، بتصرف.

(٤) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص:٤٣٧.

وتحرص عليه وتستكثر منه، وهذا الأثر يولد في النفس حافزا ذاتيا، بحيث يحرك عواطف النفس ويدفعها، حتى تلتزم سلوكا معينا يحقق لها الخير ويبعد عنها العقاب. ولا يزال هذا الحافز الذاتي يؤثر في نفس المدعو حتى يقبل التكاليف الشرعية بكل رضا ويحرص عليها.

الترغيب والترهيب في دعوة القراخانيين.

يتناول الترغيب والترهيب جميع جنس الطاعات، وعلى رأسها تحقيق كلمة التوحيد والقيام بمقتضياتها وشروطها، والبعد عما ينقضها ويخدشها، وكذلك بقية أركان الإسلام، وأركان الإيمان، ومن ثم بقية جميع أنواع الطاعات الأخرى. لكنه عند الدعاة القراخانيين، ركز على: الجهاد، وإصلاح المجتمع، وتحقيق العدل في محاكم الدولة، والانتصار للمظلوم.

ومن الشواهد على ذلك: أن ستوق بغراخان بعدما اعتلى على العرش، رغب الناس إلى الجهاد في سبيل الله، قائلا: «لا سبيل لجعل كلمة الله هي العليا في البلاد، وتوطيد الأمن في المجتمع بغير الجهاد، وترك الجهاد يجلب المقت من الله، وبدونه يستحيل نشر الإسلام بين من يحاربه من البوذيين، كما يكون تركه سببا لوهن المسلمين عند عدوهم، وبه يُزال العائقُ لأداء رسالة الإسلام». فاستجاب السلمون لدعوته صابرين محتسبين، حتى فتحوا المدن التي حول كاشغر، وأسلم أهلها[1].

والشاهد الثاني: أن بغراخان لما أرسل كتيبة بقيادة أبي الفتوح بن أبي نصر، لقتال دولة "إدِيقوتْ" البوذية، ورغبهم للجهاد أشد الترغيب، ورهّبهم من عاقبة التولي إلى الأدبار عنه، ووصاهم بالثبات في المعركة، وودعهم مع المصحف الشريف، كي يكون تذكيرا لهم للثبات في ساحة القتال، ليعودوا بالأجر والنصر، ورغم ما أصيب المسلمون من قِبَلِ أعداءهم في المعركة، ثبتوا حتى كتب الله لهم النصر، واستسلم البوذيون في كلٍ من مدينة قاراشهر، و كوچار، وبشبالىق، ودخلوا في طاعة الدولة الإسلامية خاضعين[2].

ومن أمثلة الترغيب والترهيب في تحقيق العدل في المجتمع وإنهاء الظلم بين الناس، وبينهم

---

(١) شنجاكدىكي مىلله تله رىنك تارىخي، أنور بايتور، وخير ينسا سديق، ج٢/ص:٦٤٩ وما بعدها.

(٢) قه دىمكي ئويغورلا وه قاراخانىلا، ص:٢٤٠-٢٤١، شنجاكدىكي مىلله تله رىنك تارىخي، ص:٦٥٢-٦٥٣.

وبين الحكام، ما ذكره يوسف خاص حاجب، في إصلاح محاكم الدولة والعمل على قانون الدولة الإسلامية عند التحاكم، وعدم الانحياز في الحكم بين الشريف والوضيع، وبين الرئيس والمرؤوس، إلى أي طرف. ورغب الحكام إلى العدل وترك الظلم، قائلا: «إنه بمجرد ترك الحكام ظلم الناس، يرتفع الظلم من بين الناس، ويسود التراحم والمحبة بينهم». وشدد على تطبيق القوانين على الجميع، رعاة كانوا أو رعية، وأن ذلك يطيل مدة بقاء الدولة، ويجلب السعادة للمجتمع(١).

وجاء شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد خاص حاجب بقرنين، وذكر ما قاله خاص حاجب بأوضح عبارة – يؤيد ذلك ما قاله خاص حاجب –، فقال: «وَأُمُورُ النَّاسِ تَسْتَقِيمُ فِي الدُّنْيَا مَعَ الْعَدْلِ الَّذِي فِيهِ الِاشْتِرَاكُ فِي أَنْوَاعِ الْإِثْمِ، أَكْثَرُ مِمَّا تَسْتَقِيمُ مَعَ الظُّلْمِ فِي الْحُقُوقِ وَإِنْ لَمْ تَشْتَرِكْ فِي إثْمٍ، وَلِهَذَا قِيلَ: إنَّ اللَّهَ يُقِيمُ الدَّوْلَةَ الْعَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً، وَلَا يُقِيمُ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُسْلِمَةً. وَيُقَالُ: الدُّنْيَا تَدُومُ مَعَ الْعَدْلِ وَالْكُفْرِ وَلَا تَدُومُ مَعَ الظُّلْمِ وَالْإِسْلَامِ. وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ ذَنْبٌ أَسْرَعَ عُقُوبَةً مِنْ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»(٢). فَالْبَاغِي يُصْرَعُ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ مَغْفُورًا لَهُ مَرْحُومًا فِي الْآخِرَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَدْلَ نِظَامُ كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا أُقِيمَ أَمْرُ الدُّنْيَا بِعَدْلِ قَامَتْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِصَاحِبِهَا فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَمَتَى لَمْ تَقُمْ بِعَدْلِ لَمْ تَقُمْ وَإِنْ كَانَ لِصَاحِبِهَا مِنْ الْإِيمَانِ مَا يُجْزَى بِهِ فِي الْآخِرَةِ»(٣).

وظلم السَّلاطين والأُمراء يكون في العادة بِنَحْوِ أخذ أموال الناس قهرا وأكلهم إياه بالباطل، والسب والشتم والتعدي عليهم، والاستطالة على الضعفاء، وخذْلَان المظلوم مع القدرة على نُصرته، وذلك من كبائر الذنوب المستوجبة لسخط الله وعقابه؛ لأن الظلم صفة

---

(١) قوتادغوبيلك، ص:١٣٤-١٣٥.

(٢) ذكره شيخ الإسلام بمعناه ولفظه: عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِثْلُ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ» أخرجه أبو داود كتاب الأدب باب في النهي عن البغي، حديث رقم:٤٩٠٢. قال الألباني: صحيح.

(٣) مجموع الفتاوى، ج٢٨/ص:١٤٦.

حرمها الله تعالى على نفسه، وجعلها بين العباد محرمة، فهي كفيلة بإهلاك العباد ودمار البلاد، فجلبها فساد حتمي، ودفعها واجب شرعي، لما تأنفها النفوس السوية. ولهذا أكثر العلماء مواعظهم فيه للرعاة، وحذروا منه، وحثوا على العدل مع الرعية.

المبحث الخامس: إرسال الوفود.

إرسال الوفود من الأساليب الدعوية التي استخدمه النبي صلى الله عليه وسلم لدعوة القبائل، وقد برز أثر هذا الأسلوب جلياً في نشر الإسلام بين القبائل العربية، حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث رسله إلى الملوك والعشائر يدعونهم إلى الإسلام، فكان من تأثير هؤلاء الرسل أن جاءت العشائر وافدةً إلى النبي صلى الله عليه وسلم فمنهم: طالب للعلم، وآخر معلن للإسلام، وثالث يريد عقد معاهدة، وغيرها من الأغراض، حتى عرفت السنة التاسعة من الهجرة بعام الوفود، وأصبح مسجده صلى الله عليه وسلم في المدينة مركزا لهذه الوفود، فكانت هذه الوفود تعود إلي مراكزها تحمل روحاً جديدة وحماساً في الدعوة إلي الإسلام.

وعندما رأي النبي صلى الله عليه وسلم أن قبائل العرب أخذت تسعي إليه وتفتح قلبها للإسلام، وليس في استطاعة الجميع الحضور للمدينة، أرسل من قبله بعوثا إلى سائر الجهات لتعليم فرائض الدين، وكان ممن بعثه معاذ بن جبل وأبا موسي الأشعري رضي الله عنهما إلي اليمن وأوصاهما قائلاً: «يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا»(١).

وبعد عهد النبي صلى الله عليه وسلم في عهد الصحابة ﷺ ومَنْ بعدهم، كان للوفود دور آخر مع نشر الدعوة في الآفاق، وهو الإصلاح بين فئتين متنازعتين من المسلمين، كمثل ما كان بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، عندما وقع بينهما ما وقع، وأرسل كل منهما وفداً إلى الآخر للإصلاح فيما بينهما أكثر من مرة(٢).

وقد شهد عهد الدولة القراخانية نزاعات مع جارتها الغزنوية، بسبب تنافس الطرفين على وراثة أملاك السامانيين، مع أنهم اقتسموا أراضي الدولة السامانية فيما بينهم، حيث استولى القراخانيون على ما يقع شمال نهر جيحون، بينما استولى الغزنويون على خراسان. وكانت علاقة الدولتين في بادئ الأمر تنطوي على الود والصداقة، غير أن هذه الصداقة لم

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الجهاد والسير باب مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّنَازُعِ وَالِاخْتِلاَفِ فِي الحَرْبِ، وَعُقُوبَةِ مَنْ عَصَى إِمَامَهُ، حديث رقم:٣٠٣٨.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، ج١٠/ص:٥٠٢، وما بعدها.

تستمر طويلا لطمع كل منهما في ممتلكات الآخر. حتى وقعت حروب عدة وآلت بالمآسي على الفريقين[١].

ولعدم تكرار تلك الرزية مرة أخرى، سارع القراخانيون إلى إنهاء تلك النزاعات عام (٤١٦هـ/١٠٢٦م)، بإرسال الوفود إلى الدولة الغزنوية حتى أصلحوا بينهم، وذلك بعدما احتدم الخلاف بينهم لطمع كل منهما على سيطرة أرض الآخر، حيث عبر السلطان محمود الغزنوي نهر جيحون طمعا لممتلكات الدولة القراخانية، فلما علم ذلك يوسف قدرخان جدَّ واجتهد في إيقاف الحرب، ورحل عن كاشغر على رأس وفد كبير من رجاله ليلتقي بالسلطان محمود من أجل الإصلاح والتفاهم وبناء الصداقة بينهما، فوافقه السلطان على ذلك واستقبل قدرخان بحفاوة، ولاطفه كثيرا واعتذر عما بدر، وودَّعه معززا مكرما[٢].

نتيجة هذا الوفد واللقاء المثمر بين الطرفين سلم الطرفان من الاقتتال، واستمرت الصداقة بينهما وتعاونوا في نشر الإسلام إلى أمد بعيد. ثم لما وُلِّيَ السلطان مسعود بعد وفاة أبيه، حرص على استمرار العلاقات الطيبة مع قدرخان وأرسل إليه عام (٤٢٢هـ/١٠٣١م) وفدا برسالة، يروي فيها تفاصيل الوقائع بينه وبين أخيه محمد، ويبين أحقيته بالحكم منه. ويحث قدرخان على توطيد العلاقة بين الطرفين كي يكون بعضهم عوناً لبعضٍ في نشر الإسلام. ومما جاء فيها، «.. يعلم الخان أن العظماء وملوك الدهر عندما يتصادقون وتتوثق بينهم صلات المودة، تقوى بينهم رابطة الإخاء والوفاق.. ولا يتسنى لأعدائهم أن ينتهزوا فرصة أو يقصدوا شيئا، أو يبلغوا مراداً.. وأي خلاف يحدث بيننا — والعياذ بالله — سيؤدي إلى إراقة الدماء يقع وزره على مسببه ويعود عليه.. فينبغي الوفاق بين الأخوين، وإزالة كل أسباب الفرقة والخلاف، لكي يتم على أيدينا ما هو جدير بصلاح العالم.. حتى تُؤدى ما علينا من فرائض لسنة نبينا صلوات الله عليه، ونحافظ بذلك على سيرة آباءنا أيضا، ونبقى مثلا صالحا يحتذيه أعقابنا.. ونحن الآن في انتظار جواب هذه الرسالة بأسرع ما يمكن، حتى

---

(١) الكامل لابن الأثير، ج٧/ص:٥٤٢-٥٤٣. تاريخ الترك في آسيا الوسطى، بارتولد، ص:٨٢.

(٢) زين الأخبار للكرديزي، ص:٢٦٥-٢٦٦.

نرتدي لباس الحبور بتجديد البشائر عن سلامة الأمور، وسيرها على ما يرام»[١].

قبل الإجابة إلى ما جاء في الرسالة مع الوفد توفي قدرخان عام (٤٢٣هـ/١٠٣٢م)، وتأخر الوفد عن العودة من أجل إتمام المهمة، ولما تعين الابن الأكبر لقدرخان مكانه (أرسلان خان) أجاب الوفد بالإيجاب بتجديد العهود والمواثيق السابقة واستمرار الصداقة بين الدولتين والتعاون في نشر الإسلام[٢].

بسبب جهود هؤلاء الوفود انطفت شرارة العداوة بين الدولتين، وانشغلت كل واحدة منها بمهامها الأساسية، وهو نشر العلم والدعوة في داخل محيطها وخارجها، والواقع خير دليل على جهود الدولة القراخانية الدعوية في تركستان بقسميها الشرقي والغربي، وكذا الدولة الغزنوية لها من الآثار للجهود الدعوية في كل من أفغانستان، والسند، والهند. لو انشغلوا بالصراعات والاقتتال فيما بينهم آنذاك —كما حدث بينهم لاحقا مع السلاجقة— لما انتشر الإسلام في الدولتين مثل ما انتشر، وذلك بفضل من الله ثم بجهود الوفود.

---

(١) تاريخ البيهقي، أبو الفضل محمد بن حسين البيهقي، تعريب: يحيى الخشاب، وصادق نشأت، مكتبة الانجلو المصرية، ط: الرابعة، عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م ص:٧٨-٨٥، باختصار.

(٢) المرجع السابق، ص:٤٥٠-٤٥١. تركستان لبارتولد، ص:٤٣٨.

المبحث السادس: الصلح.

الصلح له دور عظيم في جمع كلمة المسلمين ووحدة صفوفهم، ويراد به: الإصلاح، وقد اهتم الإسلام بإصلاح ذات البين حفاظا على قوة المسلمين، وسلامة قلوبهم، لذلك تعلو منزلة المصلح على درجة الصائم القائم المشتغل بخاصة نفسه، كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ»[1].

والبين في كلام العرب من: بانَ يَبِينُ بَيْناً وبينونة، يأتي على وجهين متضادّين: بمعنى الوصل والفصل. ومثال الوصل، قول الشاعر:

لعمْـرِكَ لـولا البَـيْنُ لانْقَطَـعَ الهَـوَى ولـولا الهَـوَى مـا حـنَّ للبَـيْنِ آلِـف[2]

ومثال الفصل، كقول القائل:

فهـاجَ جَـوًى فِي القَلْـب ضَـمَّنه بِبَيْنُونـةٍ، يَنْـأَى بِهَـا مَـنْ يُـوادِعُ[3]

وَفِي حَدِيثِ الشُّرْب قوله صلى الله عليه وسلم: «..فَأَبِنْ الْقَدَحَ عَنْ فِيكَ، ثُمَّ تَنَفَّسْ..»[4]. أَي افصله عن فمك عند التنفس لئلّا يسقط فيه شيء من الريق.

وإصلاح ذات البين على المعنى الأوّل: يكون بمعنى إصلاح صاحبة الفرقة بين المسلمين، وإصلاحها يكون بإزالة أسباب الخصام، أو بالتّسامح والعفو، أو بالتّراضي على وجه من الوجوه، وبهذا الإصلاح يذهب البين وتنحلّ عقدة الفرقة. أمّا إصلاح ذات البين

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب الأدب باب في إصلاح ذات البين، حديث رقم:٤٩١٩. قال الألباني: صحيح. الحالقة: أَي الَّتِي مِنْ شأْنها أَن تَحْلق أَي تُهْلِك وتَسْتَأْصِل الدِّينَ كَمَا تَسْتأْصِل الموسَى الشَّعْرَ. لسان العرب لابن منظور، ج١٠/ص:٦٦.

(٢) الأضداد، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ط: بدون، عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص:٧٥-٧٦.

(٣) لسان العرب، ج١٢/ص:٦٣.

(٤) أخرجه أحمد في مسند أبي سعيد الخدريﷺ حديث رقم:١١٥٤١. قال المحققون: إسناده صحيح.

على المعنى الثّاني، فيكون بمعنى إصلاح صاحبة الوصل والتّحابب والتّآلف بين المسلمين، وإصلاحها يكون برأب ما تصدّع منها، وإزالة الفساد الّذي دبّ إليها بسبب الخصام والتّنازع على أمر من أمور الدّنيا(١).

مفهوم الصلح لغة واصطلاحا:

أ. الصلح في اللغة:

السَّلَامُ والسِّلْمُ والسَّلَمُ والمصالحة. تقول: صَلَحَ: يَصْلَحُ ويَصْلُح صَلاحاً وصُلُوحاً؛ وَهُوَ صَالِحٌ وصَلِيحٌ، وَالْجَمْعُ صُلَحاءُ وصُلُوحٌ؛ والمصدر الصُلْح، يذكّر ويؤنّث. الصَّلاح: ضِدُّ الْفَسَادِ؛ والإصلاح: نقيض الإفْساد. والاستصلاح: نقيض الاستفساد. وَقَدِ اصْطَلَحُوا وصالحوا واصَّلَحُوا وتَصالحوا واصَّالحوا بمعنى واحد(٢).

ب.الصلح في الاصطلاح:

قال الكفويّ: «الصّلاح هو سلوك طريق الهدى، وقيل: هو استقامة الحال على ما يدعو إليه (الشرع) والعقل. والصّالح:.. هو القائم بما عليه من حقوق الله وحقوق العباد»(٣).

ويمكن اختزال التعريف بأنه "سلوك طريق الهدى واستقامة الحال على ما يدعو إليه العقل والشرع"

وعند الفقهاء «هو عقد يرفع النزاع». قال بعضهم: في أهميته في الإسلام، «لَا يَعْمَلُ

---

(١) موسوعة نضرة النعيم، ج٢/ص:٣٦٤-٣٦٥.

(٢) الصحاح للجوهري، ج١/ص:٣٨٣-٣٨٤، لسان العرب، ج٢/ص:٥١٦. المفردات للراغب الأصبهاني، ص:٤٢٣.

(٣) كتاب الكليات - معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة — بيروت، ط: بدون، عام ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص:٥٦١. ولفظ الشرع أضافه أصحاب "موسوعة نضرة النعيم" وهو غير موجود في الأصل.

الشَّيْطَانُ فِي إِيقَاعِ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ فِي بَنِي آدَمَ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ مِنْ إِبْطَالِ الصُّلْحِ»(١).

ولأهمية الإصلاح بين الناس رخص الشرع فيه الكذب، وذلك إذا كان سبيلا للإصلاح ولا سبيل سواه، فعن أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ رضي الله عنها، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا»(٢).

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: «وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخَّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: الْحَرْبُ، وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا»(٣).

وَالصُّلْحُ فِي ذَاتِهِ خَيْرٌ عَظِيمٌ. لذلك ورد النص الشرعي على مدحه بأنه خير كله، قال الله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾(٤).

قال العلماء: معناه جنس الصّلح خير، فيعلم بهذا أنّ جميع أنواع الصّلح حسنة؛ لِأَنَّ فِيهِ إِطْفَاءَ العداوة بَيْنَ النَّاسِ وَرَفْعَ الْمُنَازَعَاتِ الْمُوبِقَاتِ عَنْهُمْ(٥).

وَقَدْ دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى شِدَّةِ التَّرْغِيبِ فِي الصُّلْحِ بِمُؤَكِّدَاتٍ ثَلَاثَةٍ: وَهِيَ الْمَصْدَرُ الْمُؤَكِّدُ فِي قَوْلِهِ: صُلْحاً، وَالْإِظْهَارُ فِي مَقَامِ الْإِضْمَارِ فِي قَوْلِهِ: وَالصُّلْحُ خَيْرٌ، وَالْإِخْبَارُ عَنْهُ بِالْمَصْدَرِ أَوْ بِالصِّفَةِ الْمُشَبَّهَةِ فَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى فِعْلٍ سَجِيَّةٍ(٦).

وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم سبطه الحسن ﷺ قائلا: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي، المطبعة الكبرى الأميرية – بولاق، القاهرة، ط: الأولى، عام ١٣١٣هـ، ج٥/ص:٣٠.

(٢) متفق عليه. خ: كتاب الصلح باب ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، حديث رقم:٢٦٩٢. م: كتاب البر والصلة باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه، حديث رقم:١٠١.

(٣) صحيح مسلم، ج٤/ص:٢٠١١.

(٤) سورة النساء. الآية:١٢٨.

(٥) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي، ج٥/ص:٣٠.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، ج٥/ص:٢١٧.

اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المسْلِمِينَ»[١].

وكان صلى الله عليه وسلم نفسه حريصا على الصلح بين المسلمين، ولما أُخبر أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامَوْا بِالحِجَارَةِ، فَقَالَ: «اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ»[٢].

ولما منع المشركون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من العمرة في الحديبية، آثر النبي صلى الله عليه وسلم الصلح، رغم الإجحاف في الشروط من المشركين، فَعَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: «صَالَحَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم المشْرِكِينَ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ عَلَى ثَلاَثَةِ أَشْيَاءَ: عَلَى أَنَّ مَنْ أَتَاهُ مِنَ المشْرِكِينَ رَدَّهُ إِلَيْهِمْ، وَمَنْ أَتَاهُمْ مِنَ المسْلِمِينَ لَمْ يَرُدُّوهُ، وَعَلَى أَنْ يَدْخُلَهَا مِنْ قَابِلٍ وَيُقِيمَ بِهَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ..»[٣].

انطلاقاً من هذا المبدأ الصحيح وتبعاً للمنهج النبوي، عامل القراخانيون مخالفيهم بالصلح، بدءاً من عهد المؤسس ستوق بغراخان إلى آخر أيام الدولة القراخانية. ومن الشواهد على ذلك ما يلي:

١- مصالحتهم مع الكفار، وذلك أن دولة (إديقوت) لما وقفت ضد الدعوة الإسلامية، ولم تأذن لدخول الدعاة في أراضيها لنشر الإسلام، أرسل بغراخان جيشا بقيادة أبي الفتاح بن أبي نصر الساماني عام (٣٣٩هـ/٩٥٠م)، واستطاع أبو الفتاح فتح عدة مناطق من ديار البوذيين، فلما وصل المجاهدون إلى ثغر مدينة "بشبالق" (أورومجي حاليا) اقتتل الفريقان قتالاً شديداً، واستشهد من المجاهدين عدد كبير، وكذلك قتل من البوذيين عدد كبير، فلما رأى البوذيون ثبات المجاهدين رغم ما أصابهم، طلبوا الصلح، مقابل الاستسلام ودفع الجزية مع البقاء على دينهم، والمجاهدون وإن كانت نفوسهم تأبى قبول الصلح مع البوذيين لرغبتهم بما عند الله، لكن العلماء أقنعوا

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الصلح باب قول النبي صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي رضي الله عنهما، «إن ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ..» حديث رقم:٢٧٠٤.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الصلح بَابُ قَوْلِ الإِمَامِ لِأَصْحَابِهِ: اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ، حديث رقم:٢٦٩٣.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الصلح باب الصلح مع المشركين، حديث رقم:٢٧٠٠.

الحكام والمجاهدين بأن الصلح خير، وصالحوهم على ذلك[١]. وذلك لِما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم به في كتابه ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[٢].

لتكون مدة السلم مدة تَقَوٍّ واستعداد على مواجهة الأعداء إذا نقضوا العهد. وهذا ما حصل للدولة القراخانية، حيث بلغت الدولة على أوج قوتها في عهد هارون بغرا (حفيد ستوق بغراخان) واستطاع إخضاع البوذيين للدولة الإسلامية، وضم دولتهم إلى الديار الإسلامية عام (٣٨٨هـ/٩٩٨م)، ونشر الإسلام في ربوعها[٣].

٢- مصالحتهم مع الغزنويين، وذلك أن محمود الغزنوي لما رَاسَلَ إلى إيلك خان[٤] لإنهاء الخلاف فيما بينهما وعقد المصالحة، أجابه إيلك خان على ذلك، حتى انْعَقَدَتْ بَيْنَهُمَا مُصَاهَرَةٌ مع المِصَالَحَةُ، وزالت العداوة بين الطرفين، وعاشوا بالسَّعَادَة[٥].

ثم توترت العلاقة بينهما مرة أخرى عام (٣٩٧هـ١٠٠٧م)، حتى أدى إلى الاقتتال وانهزم إيلك خان. وبعد ذلك جهز إيلك خان جيشا لِلْعَوْدِ إِلَى خُرَاسَانَ مرة أخرى، عام (٤٠٣هـ/١٠١٣م) لِيَأْخُذَ بِثَأْرِهِ مِنْ يَمِينِ الدَّوْلَةِ، وَكَاتَبَ قَدْرَ خَانَ وَطغان خان لِيُسَاعِدَاهُ عَلَى ذَلِكَ. لكن منيته حالت دونه، فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَلِيَ بَعْدَهُ أَخُوهُ طُغَانَ خان، فَرَاسَلَ يَمِينَ الدَّوْلَةِ وَصَالَحَهُ، وَقَالَ لَهُ: «الْمَصْلَحَةُ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ أَنْ تَشْتَغِلَ أَنْتَ بِغَزْوِ الْهِنْدِ، وَأَشْتَغِلُ أَنَا بِغَزْوِ التُّرْكِ، وَأَنْ يَتْرُكَ بَعْضُنَا بَعْضًا» فَوَافَقَ محمود على ذَلِكَ وَزَالَ الْخِلَافُ بينهما، وَاشْتَغَلَا بِغَزْوِ الْكُفَّارِ[٦].

أثر هذا الصلح كان باهراً على الدولة القراخانية، حيث انشغلت بعد الصلح بإصلاح

---

(١) قه دىمكي ئويغورلا وقه قاراخانىلا، ص:٢٤٠-٢٤١.

(٢) سورة الأنفال. الآية:٦١.

(٣) قه دىمكي ئويغورلا وه قاراخانىلا، ص:٢٤٤-٢٤٥.

(٤) اسمه محمد بن علي بن موسى بن ستوق بغراخان. معجم الأنساب للزمباور، ص:٣١٢.

(٥) الكامل، ج٧/ص:٥٤٢-٥٤٣. البداية والنهاية، ج١٥/ص:٥١٥.

(٦) الكامل، ج٧/ص:٥٨٩. تاريخ ابن خلدون، ج٤/ص:٥١٤.

نفسها، وجمعت قوتها حتى استطاعت نشر الإسلام في خارج حدودها، وكسر طغان خان شوكة كفار القراخطاي وهزمهم شر هزيمة، وازدهر العلم وكثر العلماء في البلد، واستتب الأمن فيه، واضمحلت الفتن، وعاش الناس بالرخاء إلى أمد بعيد[١].

٣- مصالحة القراخانيين مع السلاجقة. لقد حدث خلاف بين السلطان القراخاني محمد أرسلان خان بن سليمان بن داود بغراخان وبين السلطان سنجر، عام (٥٠٧هـ/١١١٤م) فسار إليه سنجر ليودبه، لكن محمد خان عدل عن المواجهة، وبعث إلى الأمير قماج أعظم أمراء سنجر يعتذر ويسأله الصلح، فأجيب إلى ذلك، وسكنت الفتنة بين الطرفين[٢].

٤- مصالحة القراخانيين فيما بينهم. وذلك أن أَبا الْمُظَفَّرِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ نَصْرٍ أَيْلَكَ طفغاج خان الملقب بعماد الدَّولة- وكان بِيَدِهِ سَمَرْقَنْدُ وَفَرْغَانَةُ- قَدْ جَعَلَ الْمُلْكَ في حياته في وَلَدِهِ شمس الملك، فنازعه أَخُوهُ طغان خان بْنُ طُفْغَاجَ، وَحَصَرَهُ بِسَمَرْقَنْدَ، وتغلب شمس الملك على أخيه وصالحه في حياة أبيه. ثم بعد وفاة أبيه حاربه أبناء عمه محمود طغرل خان بن يوسف قدرخان، وابن أخيه هارون بغرا- وكان طفغاج قد استولى على ممالكهما مستغلا منازعة الأخوين في الملك — وقاربا سمرقند للنيل من شمس الملك، لكن كلا الطرفين غلّبا العقول واتفقا على المصالحة بدون أي اصطدام فصَالحا وعادا، فصارت الْأَعمال المتاخمة لِجَيْحُونَ لِشمس الملك، وأَعمال الخَاهِرِ في أَيدي هارون بغرا ومحمود طغرل خان، والحدُّ بينهما خُجَنْدَةُ[٣].

والإصلاح لحقن الدماء شيء عظيم، لأن الخصومة بين المسلمين تحلق دينهم فتؤدي بهم للعداوة والبغضاء والظلم والبغي والتعدي، ثم تذهب قوتهم وتهبط هيبتهم، وقد يصبحون عاجزين عن دفاع أنفسهم من اعتداء الكفار، لذلك كان السعي إلى إزالة الخصومة بالإصلاح أعظم قربة لله تعالى. ولهذا آثر الحسن ﷺ الصلح مع معاوية ﷺ رغم قوته وكثرة

---

(١) شه رقي توركستان تاريخي، محمد أمين بوغرا، ص:١٥٢.

(٢) تاريخ ابن خلدون، ج٤/ص:٥١٩-٥٢٠.

(٣) الكامل، ج٧/ص:٦٤٥.

جنوده، حفظا للأرواح وحقنا للدماء. فعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: «سَمِعْتُ الحَسَنَ، يَقُولُ: اسْتَقْبَلَ وَاللَّهِ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ مُعَاوِيَةَ بِكَتَائِبَ أَمْثَالِ الجِبَالِ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ: إِنِّي لَأَرَى كَتَائِبَ لاَ تُوَلِّي حَتَّى تَقْتُلَ أَقْرَانَهَا، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ وَكَانَ وَاللَّهِ خَيْرَ الرَّجُلَيْنِ: أَيْ عَمْرُو إِنْ قَتَلَ هَؤُلاَءِ هَؤُلاَءِ، وَهَؤُلاَءِ هَؤُلاَءِ مَنْ لِي بِأُمُورِ النَّاسِ مَنْ لِي بِنِسَائِهِمْ مَنْ لِي بِضَيْعَتِهِمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ: عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ، فَقَالَ: اذْهَبَا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ، فَاعْرِضَا عَلَيْهِ، وَقُولاَ لَهُ: وَاطْلُبَا إِلَيْهِ، فَأَتَيَاهُ، فَدَخَلاَ عَلَيْهِ فَتَكَلَّمَا، وَقَالاَ لَهُ: فَطَلَبَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمَا الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ‬ﷺ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ المُطَّلِبِ، قَدْ أَصَبْنَا مِنْ هَذَا المَالِ، وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ قَدْ عَاثَتْ فِي دِمَائِهَا، قَالاَ: فَإِنَّهُ يَعْرِضُ عَلَيْكَ كَذَا وَكَذَا، وَيَطْلُبُ إِلَيْكَ وَيَسْأَلُكَ قَالَ: فَمَنْ لِي بِهَذَا، قَالاَ: نَحْنُ لَكَ بِهِ، فَمَا سَأَلَهُمَا شَيْئًا إِلَّا قَالاَ: نَحْنُ لَكَ بِهِ، فَصَالَحَهُ، فَقَالَ الحَسَنُ: وَلَقَدْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ يَقُولُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى المِنْبَرِ وَالحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً، وَعَلَيْهِ أُخْرَى وَيَقُولُ: إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ»(١)

قال الشَّعْبِيّ رحمه الله: «لَمَّا صَالَحَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ مُعَاوِيَةَ‬ﷺ، قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ قُمْ فَتَكَلَّمْ فَقَامَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَكْيَسَ الْكَيْسِ التُّقَى وَإِنَّ أَعْجَزَ الْعَجْزِ الْفُجُورُ أَلَا وَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي اخْتَلَفْتُ فِيهِ أَنَا وَمُعَاوِيَةُ حَقٌّ لِامْرِئٍ كَانَ أَحَقَّ بِهِ مِنِّي أَوْ حَقٌّ لِي تَرَكْتُهُ لِإِرَادَةِ إِصْلَاحِ الْمُسْلِمِينَ وَحَقْنِ دِمَائِهِمْ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَنَزَلَ»(٢).

قال ابن بطال: «فسلم الحسن‬ﷺ الأمر إلى معاوية‬ﷺ وصالحه وبايعه على السمع والطاعة على إقامة كتاب الله وسنة نبيه.. فكانت تلك السنة سنة الجماعة لاجتماع الناس واتفاقهم وانقطاع الحرب»(٣). نتيجة هذا الصلح أُخمدت نار الفتنة بين المسلمين، وانشغل

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الصلح باب قول النبي صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي رضي الله عنهما، «إن ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ» حديث رقم:٢٧٠٤.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي، ج٦/ص:٤٤٤.

(٣) شرح صحيح البخاري، لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال، تحقيق: أبي تميم ياسر

الصحابة ﷺ بجهاد الكفار، وتبليغ الرسالة إلى العالم.

إذا نظرنا إلى أبعد من ذلك نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوثر الصلح مع المشركين الكفار، لقول الله تعالى: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌۗ﴾ وذلك لما صدته قريش وأصحابه من العمرة، بدأت الرسل يتوافدون بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قريش، والنبي صلى الله عليه وسلم يعرض عليهم الصلح بما يريدون ويجعل القتال آخر ما يذكره، قائلا: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا.. فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جاءَ بُدَيْلُ بْنُ ورْقَاءَ الخُزَاعِيُّ فِي نَفَر منْ قَومِهِ منْ خُزَاعَةَ وكانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم منْ أهْلِ تِهَامَةَ فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ، وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الحُدَيْبِيَةِ، وَمَعَهُمُ العُوذُ المطَافِيلُ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنِ البَيْتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الحَرْبُ، وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً، وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ.. وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي، وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ..»[1].

بن إبراهيم، مكتبة الرشد — الرياض، عام ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ج٨/ص:٩٨.

(١) أخرجه البخاري كتاب الشروط بَابُ الشُّرُوطِ فِي الجِهَادِ وَالمصَالحَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ، حديث رقم:٢٧٣١، باختصار.

شرح الغريب: (خُطَّةً) أمراً وقضية. (عيبة نصح) محل نصحه وموضع أسراره وأمانته (الْأَعْدَاد) جمع: عِدٌّ، بِالْكَسْرِ وَالتَّشْدِيد، وَهُوَ الماء الَّذِي لَا انْقِطَاع لَهُ، يُقَال: مَاء عِدٌّ، ومياه أعداد، والمراد الكثرة، أو هو موضع بمكة. (العوذ) جمع عائذ، وهي الناقة التي ولدت حديثا فهي ذات لبن. (المطافيل) وهي النوق الأمهات التي معها أولادها. والمراد من قوله (معهم العوذ والمطافيل) أنهم خرجوا معهم بذوات الألبان يتزودون من ألبانها ولا يرجعون حتى يناجزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمنعوه من الدخول إلى مكة. (نهكتهم) أضعفت قوتهم، (ماددتهم مدة) أَي: ضربت مَعَهم مُدَّة للصلح. (تنفرد سالفتي) حَتَّى ينْفَصل مقدم عنقِي، أَي: حَتَّى أقتل وَأبقى مُنْفَردا فِي قَبْرِي. (يعظمون فِيهَا حرمات الله) أَي: يكفون عَن الْقِتَال تَعْظِيمًا للحرم. (وليُنَفِّذَنَّ اللهُ) أَي: ليمضين الله أمره فِي نصر دينه ويظهره وَإِن كَرِهُوا). عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج١٤/ص:٧-٩.

وصالحهم على أن يأتي مكة في العام المقبل. إنّ ما حصل في هذا الصلح لَيُعْتَبَرُ مثالًا يُحتذى به في المصالحة بين الطائفتين طلبًا للأمن والسلام. وقد كان من بين بنود هذا الصلح أمور عدّها بعض الصحابة تنازلات غير مقبولة، حسب ما تراءى لهم في الظاهر، حيث كان في الظاهر ضيمًا وهضمًا للمسلمين، وفي الباطن عزًّا وفتحًا ونصرًا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكمته وحنكته يرى أنه مصلحة للمسلمين في القريب العاجل.

وقد فهم سهل بن حنيفﷺ هذا المعنى، وقال لأصحاب عليﷺ الذين اعترضوا على التحكيم يوم صفين. «.. أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ، لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، وَذَلِكَ فِي الصُّلْحِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ..» وذكر اعتراض عمر ﷺ على ذلك ظنا منه أن فيه خضوعا وتنازلا للمشركين، «فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِالْفَتْحِ، فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ، فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَو فَتْحٌ هُو؟ قَالَ: نَعَمْ، فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ»(١)

قال النووي رحمه الله: «وإنما قال سهل هذا القول حين ظهر من أصحاب عليﷺ كراهة التحكيم، فأعلمهم بما جرى يوم الحديبية من كراهة أكثر الناس الصلح وأقوالهم في كراهته، ومع هذا فأعقب خيرًا عظيمًا»(٢).

وهذا مصداق قول الله تعالى: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾ حيث أعقبت مصالحة القراخانيين مع بني جلدتهم من الأتراك البوذيين خيرا عظيما في المجتمع التركستاني، بدخول كثير من هؤلاء البوذيين في الإسلام، ثم صاروا سندا للمجاهدين. وكذلك صلحهم مع الغزنويين أعقب خيرا كثيرا للطرفين معا، حيث حموا سيوفهم من قتل المسلمين من أجل الملك والجاه، وصرفوا عنانهم إلى الهدف الأساسي وهو غزو الكفار. وفي هذه المدة كلا الفريقين خدما الإسلام خدمة جليلة لم تسبق لهم سابقا. وعلى المسلم أن يستسلم للأمر الإلهي، وإن لم يدرك

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الجهاد والسير باب صلح الحديبية في الحديبية، حديث رقم:١٧٨٥، باختصار.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج١٢/ص:١٤١.

الحكمة فيه في آنه، لقوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1].

(١) سورة البقرة. الآية:٢١٦.

المبحث السابع: المصاهرة.

المصاهرة اسم للصلة الحادثة بالزواج بين أحد الزوجين وبعض أقارب الآخر، وجعلها الشارع قسيمة للنسب والقرابة، وشرعها للخَلْقِ لحِكَمٍ عديدة، لتكون من أسباب التآلف بين الغرباء، والتقارب بين البعداء، وتوثيق أواصر القربى بين الأُسَرِ بعضها ببعض. بل بين المجتمع المسلم كله؛ لأنها تنشئ علاقات جديدة بين الزوجين وأهليهما، وهذه سنة من سنن الله تعالى في العائلات والمجتمعات، لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾[١].

وقالﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ﴾[٢]. قال ابْنُ سِيرِينَ رحمه الله: «نَزَلَتْ فِي النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَعَلِيٍّ رضي الله عنه لِأَنَّهُ جَمَعَهُ مَعَهُ نَسَبٌ وَصِهْرٌ»[٣].

فَصِهْرُ الرَّجُلِ قَرَابَةُ امْرَأَتِهِ، وَصِهْرُ الْمَرْأَةِ قَرَابَةُ زَوْجِهَا، وَلِذَلِكَ يُقَالُ: صَاهَرَ فُلَانٌ فُلَانًا إِذَا تَزَوَّجَ مِنْ قَرَابَتِهِ وَلَوْ قَرَابَةً بَعِيدَةً كَقَرَابَةِ الْقَبِيلَةِ. وَيُطْلَقُ الصِّهْرُ على مَنْ لَهُ مَعَ الْآخَرِ عَلَاقَةُ الْمُصَاهَرَةِ مِنْ إِطْلَاقِ الْمَصْدَرِ مَوْضِعِ الْوَصْفِ، فَالْأَكْثَرُ حِينَئِذٍ أَنْ يُخَصَّ بِقَرِيبِ زَوْجِ الرَّجُلِ، وَأَمَا قَرِيبُ زَوْجِ الْمَرْأَةِ فَهُوَ خَتَنٌ لَهَا أَوْ حَمٌ[٤].

الإنسان في ابتداء أَمره وَلَدٌ نَسِيبٌ، ثُمَّ يتزَوَّجُ فيصير صِهْرًا، ثُمَّ يصير له أَصهار وأَختان وقراباتٌ، وهكذا تتكون الأسرة بالزواج، ويتآلف أقرباء الزوج والزوجة بالمصاهرة، ثم يتآلف قبائلهما، ويصبحون مجتمعا قويا بهذا الجمع، يتمكنون على التغلب أي تحديات تواجههم. فمن المعلوم أنّ الإنسان إذا تزوج من قبيلة، أو عشيرة، يصبح بينه وبينهم قرابة بالمصاهرة، وذلك بطبيعته يدعوهم إلى نصرته وحمايته. نجد ذلك من زواج النبي صلى الله عليه وسلم بأمهات المؤمنين من قبائل مختلفة، وما هدفَ إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من وراء هذا الزواج. حيث راعى النبي صلى الله عليه وسلم المصلحة في اختيار كُلِّ زوج من أَزواجه رضي

---

(١) سورة الحجرات. الآية:١٣.

(٢) سورة الفرقان. الآية:٥٤.

(٣) تفسير بحر المحيط، ج٨/ص:١١٩.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، ج١٩/ص:٥٥-٥٦.

الله عنهن، فِي التَّشريع والتَّأْدِيب، فجذب إليه كبار القبائل بمصاهرتهم، ولو كان صلى الله عليه وسلم أَراد بِتَعَدُّدِ الزَّوَاجِ ما يريده الملوك، والأُمراء من التمتع بالحلال فقط، لاختار حِسانً الأَبكارِ على أُولئك الثيبات المكْتَهِلَاتِ، كما قال صلى الله عليه وسلم: لمن اختار ثَيِّبًا: «..فَهَلَّا بِكْرًا تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ..»(١)

يعلم من هذا أن المصاهرة ليست حياة اجتماعية فحسب بل هي أسلوب دعوي يجمع شتات الأمة ويؤلفها. وفيما يلي تسليط الضوء على حكمة مصاهرته صلى الله عليه وسلم مع القبائل بالإيجاز:

١- تزوّجه صلى الله عليه وسلم بأم المؤمنين السيدة (جويرية بنت الحارث رضي الله عنها) سيّد بني المصطلق، وكانت قد أُسِرت مع قومها وعشيرتها، ثمّ بعد أن وقعت تحت الأَسْرِ أرادت أن تفتدي نفسها، فجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه بشيء من المال، فعرض عليها الرسول الكريم أن يدفع عنها الفداء ويتزوج بها، فقبلت ذلك فتزوجها صلى الله عليه وسلم، فقال المسلمون: أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت أيدينا؟ (أي أنهم في الأَسْرِ) فأعتقوا جميع الأسرى الذين كانوا تحت أيديهم. وبفضل هذا التصرف النبوي الحكيم أسلم بنو المصطلق عن طواعية جميعا، وصاروا أعوانا للمسلمين بعد أن كانوا عليهم. فكان زواجه صلى الله عليه وسلم بها بركة عليها وعلى قومها وعشيرتها؛ لأنه كان سبباً لإسلامهم وعتقهم. قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «فَأَعْتَقَ مِائَةُ أَهْلِ بَيْتٍ بِتَزْوِيجِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِيّاهَا، فَلَا أَعْلَمُ امْرَأَةً أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا»(٢).

٢- تزوجه صلى الله عليه وسلم بأم المؤمنين السيدة (صفية بنت حُيّي بن

---

(١) أخرجه البخاري كتاب النكاح باب تستحد المغيبة وتمشط الشعثة، حديث رقم:٥٢٤٧.

(٢) المغازي لأبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعظمي – بيروت، ط: الثالثة: عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ج١/ص:٤١١. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة، دار القلم – دمشق، ط: الثامنة: عام ١٤٢٧هـ، ج٢/ص:٢٥٤.

أخطب رضي الله عنها) التي أُسرتْ بعد قتل زوجها في غزوة خيبر، ووقعت في سهم دحية الكلبي، فقال أهل الرأي والمشورة: هذه سيّدة بني قريظة، لا تصلح إلاّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فعرضوا الأمر على الرسول صلى الله عليه وسلم، وأعطى النبي صلى الله عليه وسلم دحية جارية أخرى من السبايا، ودعا صفية وخيرها فَقَالَ: «إنْ أَقَمْتِ عَلَى دِينِك لَمْ أُكْرِهْك، وَإِنْ اخْتَرْت اللّهَ وَرَسُولَهُ فَهُوَ خَيْرٌ لَك». قَالَتْ: أَخْتَارُ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالْإِسْلَامَ. فَأَعْتَقَها رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَتَزَوّجَها وَجَعَلَ عِتْقها مَهْرها»[١].

وذلك لما رأته رضي الله عنها من جلالة قدره صلى الله عليه وسلم، وعظمته وحسن معاملته معها، وقد أسلمت وأسلم بإسلامها عدد من الناس. وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم بزواجه بها بعد أن أعتقها في باب التسامح والعفو المثل الأعلى، فطالما نال النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين من قومها الشر الكثير، ولا سيما أبوها الذي جمع الجموع في الأحزاب وكان دائم التأليب على النبي صلى الله عليه وسلم، ولعل النبي صلى الله عليه وسلم أراد بهذه المصاهرة بينه وبين اليهود، عسى أن تكون سببا للتخفيف من عدائهم للإسلام، والانضواء تحت لوائه[٢].

٣- تزوجه عليه الصلاة والسلام بأم المؤمنين السيدة أم حبيبة رضي الله عنها (رملة بنت أبي سفيان) وقد أسلمت في مكة، ثمّ هاجرت مع زوجها إلى الحبشة فراراً بدينها، وهناك ارتد زوجها ومات فبقيت وحيدة فريدة، لا معين لها ولا أنيس، وخطبها النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة النجاشي وتزوجها. مع أن أبا سفيان كان وقت ذاك من ألدّ بني أمية خصومة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أشدّهم عداء له وللمسلمين، فكان تزوجه بابنته سبباً لتأليف قلبه وقلب قومه وعشيرته للإسلام، وسبباً لتخفيف الأذى عنه

---

(١) البداية والنهاية، ج٦/ص:٢٩٣. والمغازي للوا قدي، ج٢/ص:٦٧٤-٦٧٥. وأخرج البخاري عَنْ أَنَسٍ ﷺ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَعْتَقَ صَفِيَّةَ وَتَزَوَّجَهَا، وَجَعَلَ عِتْقَهَا صَدَاقَهَا، وَأَوْلَمَ عَلَيْهَا بِحَيْسٍ» كتاب النكاح باب الوليمة ولو بشاة، حديث رقم:٥١٦٩.

(٢) التربية القيادية، د/ منير الغضبان، دار الوفاء مصر - المنصورة، ط: الرابعة، عام ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج٤/ص:٤٩١-٤٩٢.

صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه المسلمين[١].وقد تحقق ذلك، وما أجلَّها من حكمة!

٤- زواجه صلى الله عليه وسلم بأم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها. من بني مخزوم أعز بطون قريش، التي كانت تحمل لواء الحرب والمواجهة لرسول الله صلى الله عليه وسلم. حيث لم يكن هدفه صلى الله عليه وسلم في هذا الزواج لأجل التمتع المباح له، وإنما كان لفضل أم سلمة رضي الله عنها الذي يعرفه المتأمل بجودة رأيها يوم الحديبية، وتفتيت حقد هذه القبيلة واستمالة قلوب أبنائها، والتحبب إليهم ليدخلوا في الإسلام بعد أن صاروا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولعل إسلام سيف الله المسلول البطل المغوار خالد بن الوليد المخزومي رضي الله عنه من نتائج هذه المصاهرة[٢].

ولما كان دور المصاهرة بهذه المثابة في نشر الإسلام، والتآلف مع القبائل والاتحاد مع المسلمين، انتهج القراخانيون هذا النهج السوي النبوي، لاستمالة القبائل والدول المجاورة لهم، كي يكونوا يدا واحدا في تحقيق الهدف المشترك بينهم، وهو نشر الإسلام في ربوع الأرض، بعيدين عن التناحر فيما بينهم من أجل المنافسة على السلطة.

وقد تحقق ذلك الهدف السامي بفضل من الله. حيث انتشر الإسلام على يد الغزنويين في الهند وما جاورها، وانتشر على يد القراخانيين في آسيا الوسطى وقويت شوكة المسلمين بإخماد الفتنة بينهم بالمصاهرة، فلما ضعفت الدولة العباسية خرجت السلاجقة من هذه المنطقة (آسيا الوسطى) منجدين الخلافة العباسية وأعادوا الخلافة إلى هيبتها.

ومن الشواهد على ذلك ما يلي:

أولا: مصاهرتهم مع السلاجقة[٣].

---

(١) السيرة النبوية لأبي شهبة، ج٢/ص:٣١٥-٣١٦. التربية القيادية، د/ منير الغضبان، ج٤/ص:٤٨٦-٤٨٧.

(٢) تفسير المنار، ج٤/ص:٣٠٥. التربية القيادية، ج٣/ص:٣٥٦. السيرة النبوية لأبي شهبة، ج٢/ص:٣٨٧.

(٣) ترجع أصول السلاجقة إلى الترك الغز الذين يُقيمون في تركستان، ثم هاجروا إلى بلاد ما وراء النهر على إثر خلاف بين جدهم سلجوق الذي كان ابنًا لقائد جيش يُدعى "دقاق" ليوغو أو بيغو ملك

ارتبط القراخانيون في بلاد ما وراء النهر مع السلاجقة بمصاهرات، بعد أن امتد نفوذ السلاجقة – بعد إطاحتهم بالغزنويين – من الشام إلى ضفاف نهر جيحون، وعلى غرار ذلك كان السلطان السلجوقي ألب أرسلان يكثر الهجوم على ممتلكات القراخانيين رغبة في التوسع على حسابهم، رغم انتمائه إلى القراخانيين من جهة أمه[1].

نتيجة لأطماع ألب أرسلان المتكررة في أراضي الدولة القراخانية، دبر الملك القراخاني طفغاج خان كبح جماح هذا العدوان، وإبعاد الأمة الإسلامية من فتنة الاقتتال، وبحث أن

=

الخزر – جنوب روسيا – اضطر على إثرها سلجوق بن دقاق وأسرته إلى هجر ديارهم سنة (٣٧٥هـ/٩٨٦م). وسكنوا ناحية "جَند" بالقرب من نهر سيحون في بلاد ما وراء النهر ومعه ألف فارس وألف بعير، وكان أفراد القبيلة وثنيين هداهم الله إلى الإسلام بفضل توطد العلاقات بينهم وبين أهل "جَند" المسلمين. وقد تعاونوا مع السامانيين في حماية الثغور الشرقية للخلافة العباسية فضلا عن نشر الإسلام فيما وراء هذه الحدود بين القبائل الوثنية، ثم بدءوا في الظهور بعد سقوط السامانيين سنة (٣٩٥هـ/١٠٠٥م). وتعاظمت قوتهم في بداية القرن الخامس الهجري، وحاول محمود الغزنوي القضاء عليهم خوفا على سلطته منهم، لكنهم انتصروا على الغزنويين بعد وفاته، حتى أطاحوا الدولة الغزنوية نهائيا، وقد أدت هزائم الغزنويين إلى توسع الدولة السلجوقية في كل من خراسان ومرو ونيسابور وبلخ وطبرستان في عام (٤٢٩هـ/١٠٣٨م)، ثم الجبال وهمذان ودينور والري وأصفهان ما بين عامي ٤٣٣هـ و ٤٣٧هـ، ثم في الفترة ما بين عامي ٤٣٧هـ و٤٤٢هـ واستولوا على خوارزم وأصفهان وأذربيجان ثم استولوا على كامل إقليم إيران، ثُمَّ إنّ طغرلبك طوى الممالك وملك العراق سنة (٤٤٧هـ/١٠٦٥م). ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي، ج٣٠/ص:٣٧٩-٣٨٠. الإنباء في تاريخ الخلفاء، محمد بن علي بن محمد العمراني، تحقيق: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية القاهرة، ط: الأولى، عام ١٤٢١هـ، ص:١٨٨. تاريخ الترك في آسيا الوسطى، بارتولد، ص:١١٩. «جَنْدٌ: اسم مدينة عظيمة في بلاد تركستان، بينها وبين خوارزم عشرة أيام، مما وراء النهر قريب من نهر سيحون، وأهلها مسلمون ينتحلون مذهب أبي حنيفة» معجم البلدان لياقوت الحموي، ج٢/ص:١٦٨.

(١) راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، محمد بن علي بن سليمان الراوندي، ترجمه من الفارسية إلى العربية، إبراهيم الشوربي وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، مصر – القاهرة، ط: الأولى، عام ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م، ص:١٩٠.

يرتبط بالسلطان بعلاقة ودية، ينفكُّ الشر والاقتتال بينهما، ووجد حل ذلك في المصاهرة، وفي هذه الأثناء عرض السلطان ألب أرسلان على الخان المصاهرة، وأرسل إليه رسولا عام (٤٥٦هـ/١٠٦٤م) يخطب لابنه ملكشاه إحدى بناتهم[١].

وكان السلطان أَلب أَرسلان قد تزوَّج ابنة قدرخان يوسف، فوافق شمس الملك على الطلب وزوج بنت عمه عِيسى خان من الأمير مَلِكْشَاهْ، وهي أَمُّ الملِك محمود الَّذِي وَلِيَ السَّلْطَنَةَ بعد أَبِيهِ[٢]. فأدت هذه المصاهرة إلى تهدئة الظروف العدوانية بين الطرفين واستقرار الأوضاع بينهما إلى أمد. بسبب هذه المرأة الذكية التي لعبت دورا في استقرار الأوضاع بين الدولتين في حياة زوجها، وبعده. فقد بلغ نفوذها حتى إصدار الأوامر وتنفيذها بنفسها.

وقد رغب الطرفان في استمرار تهدئة الأوضاع وتقوية العلاقة بينهما، وعلى هذا تزوج الملك شمس الملوك أبو الحسن نصر بن إبراهيم، بابنة السلطان ألب أرسلان عام (٤٦٥هـ/١٠٧٣م) وقد أدت هذه المصاهرة أيضا إلى استقرار الأوضاع بين القراخانيين والسلاجقة بعض الوقت[٣].

ثم تزوج السلطان سنجر من ابنة محمد خان بن أرسلان خان صاحب سمرقند، (تركان خاتون) صاحبت هذه المرأة زوجها في جميع غزواته حتى وقعت أسيرة معه على يد القراخطائيين سنة (٥٣٦هـ/١١٤١م)، وبقيت في الأسر سنة كاملة، حتى فدت نفسها بمبلغ قدره خمسمائة ألف دينار[٤]. وكانت هذه المرأة أيمن امرأة على قبيلتها وقبيلة زوجها، إذ وصلت العلاقة بين القراخانيين والسلاجقة إلى ما يرتجى منها، من الصداقة والتعاون، حيث

---

(١) البداية والنهاية، ج١٥/ص:٧٩٣. تركستان لبارتولد، ص:٤٧٠-٤٧١.

(٢) الكامل، ج٧/ص:٦٤٥. وقال ابن الأثير: ج٨/ص:٣٨٦، أنها ابنته، والله أعلم.

(٣) أخبار الدولة السلجوقية، صدر الدين أبي الحسن علي بن ناصر بن علي الحسيني، تصحيح: محمد إقبال، الناشر: كلية بنجاب لاهور – باكستان، ط: الأولى، عام ١٩٣٣م، ص:٥٣-٥٤. تاريخ ابن خلدون، ج٤/ص:٥١٧.

(٤) تاريخ دولة آل سلجوق، الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصبهاني، مطبعة الموسوعات بمصر، عام ١٣١٨هـ/١٩٠٠م، ص:٢٥٤.

علت مكانة القراخانيين عند الدول المجاورة، وقويت سلطانهم في بلاد ما وراء النهر. وفي بعض الأحيان لولا شفاعتها لقُضِيَتْ على الدولة القراخانية في تلك المدة.

وكان السلطان سنجر يدافع عن الدولة القراخانية، ويحرص لإخماد الفتنة الداخلية فيها، ففي عام (٤٩٤هـ) حدث الاقتتال في داخل الأسرة القراخانية من أجل التنافس على حكم سمرقند، بين قدرخان جبريل بن عمر[١] وبين محمد أرسلان خان بن سليمان بغراخان، والأخير أُمُّهُ ابْنَةُ السُّلْطَانِ مَلِكْشَاهْ، أخت السلطان سنجر، فَقَتَلَ سَنْجَرُ قدرخان وَأَعَادَ الْمُلْكَ إِلَى أرسلان خان، وَثَبَّتَ قَدَمَهُ. وَلَمَّا مَلَكَ مُحَمَّدْ خَانْ الْبِلَادَ أَحْسَنَ إِلَى الرَّعَايَا .. وَحَقَنَ الدِّمَاءَ، وَصَارَ بَابُهُ مَقْصِدًا، وَجُنَابُهُ مَلْجَأً[٢].

ولم يهدأ أهل الفساد في إثارة الفتنة في الدولة القراخانية واستغلوا كل فرصة لإضعافها ثم القضاء عليها، ولما أصيب أرسلان خان بالفالج، واستناب ابنه نصر خان، قتله العلويون من أهل سمرقند وكان أرسلان خان غائباً فعظم عليه، واقتص من القتلة. وبعث إلى السلطان سنجر يستنجد فأجاب سنجر طلبه وسار إليه[٣].

ثم حدث عصيان على محمد أرسلان خان من قبل بعض جُنودِهِ الْقَارْغَلِيَّةِ وَجَرَتْ بَيْنَهما وحشةٌ دعتهم إلى انتزاع الملك منه، فعاود محمد أرسلان خان الاستغاثة بالسلطان سنجر، فعبر سنجر جَيْحُونَ بعساكره لنجدة أرسلان خان سَنَةَ أَرْبَعٍ وعشرين وخمسمائة، فلما وصل إلى سمرقند، هرب القارغلية من بين يديه، وثبت ملك محمد أرسلان خان[٤].

ولما هاجمت قبيلة قراخطاي الصينية بقيادة "كوخان" الصيني، على الدولة القراخانية

---

(١) هو جبريل بن عمر بن أحمد، ويلقب بـ" قدرخان الثاني، تولى حكم سمرقند عام (٤٩٠هـ، ولما أراد أن يتخلص من نفوذ السلاجقة واسترداد ما أخذوا من ملكه، قتله سنجر عام ٤٩٥هـ، وعين مكانه ابن أخته محمد أرسلان خان. معجم الأنساب للزمباور، ص:٣١٣، الكامل لابن الأثير، ج٨/ص:٤٧٦.

(٢) المختصر في أخبار البشر لابن شاهنشاه، ج٢/ص:٢٠٦. تاريخ ابن خلدون، ج٤/ص:٥١٩.

(٣) تاريخ ابن خلدون، ج٤/ص:٥٢٠.

(٤) الكامل لابن الأثير، ج٩/ص:١١٦-١١٧.

وملَكُوا بلاد تركِستان، ثُمَّ ساروا إِلَى بلاد ما وراء النَّهْرِ، فاستقبلهم الخاقان محمود بْن محمد بن أرسلان خان حُدود خَجَنْدَةَ في رَمضان سنة (٥٣١هـ/١١٣٦م) وَاقْتَتَلُوا، فَانْهَزَمَ الْخَاقَانُ مَحْمُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ(١) وَعَادَ إِلَى سَمَرْقَنْدَ، وأَرسل إِلَى السلطان سَنْجَرَ يَسْتَمِدُّهُ وَيُنْهِي إِلَيْهِ مَا لَقِيَ الْمُسْلِمُونَ، وَيَحُثُّهُ عَلَى نُصْرَتِهِمْ، فَجَمَعَ سنجر الْعَسَاكِرَ لنصرته، فَاجْتَمَعَ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ فَارِسٍ، وسيرهم لنصرته(٢).

هكذا تطورت العلاقة بين القراخانيين والسلاجقة بسبب المصاهرة، وتجاوزت مرحلة التعاون ووصلت إلى ذراها، حتى استخلف السلطان سنجر على خراسان الملك محمود بن محمد بغراجان عندما شعر قرب منيته، بل عهد بالملك بعده، وبقي والياً عليها إلى سنة (٥٥٤هـ/١١٥٩م)، مع وجود بعض الخلافات بين محمود خان وبين بعض أهل خراسان من الغُزِّ، بيد أنهم وافقوا في بداية أمرهم وبايعوه، ثم خلعوه حقداً على ولايته للعهد في جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وخمسمائة(٣).

لقد حققت المصاهرة حلم القراخانيين من تثبيت الأمن الداخلي واستقرار الأوضاع الخارجي، وهذا ما جعلهم أقوياء، حتى وصلوا إلى عرش السلطنة السلجوقية عن طريق ابن ابنتهم محمود بن ملكشاه، وذلك أن السلطان مَلِكْشَاهْ لما مات كَتَمَتْ زوجته تُرْكَانْ خاتونْ موته، وأرسلت إِلى الأُمراء سِرًّا فأَرْضَتْهُم، واستَحْلَفَتْهُم لولدها محمود، وعمرهُ آنذاك أربع سنين وشهور، وأرسلت إلى الخليفة المقْتَدِي في الخطبة لولدها أيضا. فأَجابها الخليفة ببعض

---

(١) محمود بن محمد أرسلان خان، ولقبه ركن الدين، ومحمود الثالث في الأسرة القراخانية، حكم بلاد ماوراء النهر تحت نفوذ السلاجقة من عام (٥٢٦-٥٣٦هـ) الموافق: (١١٣٢-١١٤١م)، وفي عهده وقعت حرب دامية بين القراخانيين وبين القراخطاي الصيني، وانتهت بهزيمة المسلمين واستيلاء القراخطاي على بلاد ماوراء النهر عام ٥٣٦هـ/١١٤١م. معجم الأنساب، ص: ٣١٣، الكامل، ج٩/ص:١١٨، ئويغور نامه، ٢١٥.

(٢) المرجع السابق، ج٩/ص:١١٨.

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط: الأولى، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ج٢٦/ص:٢٢٥. المختصر في أخبار البشر لابن شاهنشاه، ج٣/ص:٣٣.

الشروط، فلما جاءت رسالةُ الخلِيفة إليها امتنعت عن قبول تلك الشروط أولا، ثم وافقت وأذعنت لها بعدما نصحها أبو حامد الغزالي قائلا: «بأنَّ ولدك صغير، ولا يجيز الشرع ولايته». فخُطِبَ لولدها، ولُقِّبَ ناصر الدنيا والدين، وكانت الخطبة يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٣م)، وخطب له بالحرمين الشريفين[١].

غير أن الولاية لم تدم بسبب صغر سن محمود، ووجود منافسين أقوياء له، حيث كان له ثلاثة من الإخوة لأب وهم: سنجر، ومحمد، وبركيارق، وحصل قتال مع الأخير عدة مرات للتنافس على السلطة. وكان النصر في الحروب حليف بركيارق في الأيام الأخيرة، لهروب كثير من الأمراء إليه في جيش الخاتون، وكانت الأم هي التي تدير الحرب حتى لم يبق بيدها سوى قصبة أَصبهان، ومعها عشرة آلاف فارس فقط. وتوفيت الأم عام (٤٨٧هـ/١٠٩٥م)، على إثر مرض بعد أن أوصت إلى الأمراء في جيشها بحفظ المملكة على ابنها محمود بن ملكشاه، وبعد وفاتها أصيب السلطان محمود بمرض ومات منسلخ شهر شوال، وبعد وفاته انتهى ملكه باستيلاء بركيارق على أصبهان، وكانت مدة ملكه سنتان وأيام قلائل[٢].

ثانيا: مصاهرتهم مع الغزنويين.

كانت علاقة القراخانيين مع الغزنويين غير ثابتة تتحسن تارة وتتوتر أخرى حسب المصالح بينهما، لكن كلاً من الطرفين كانا يرغبان في تحسين العلاقة وإنهاء العدوان بينهما، ولما استَقَرَّ لمحمود الغزنوي مُلْكُ خُرَاسَانَ، وَمَلَكَ الملك القراخاني أيلك الخان ما وراء النهر عام (٣٩٦هـ/١٠٠٦م)، رَاسَلَهُ محمود الغزنوي يخطب ابنته، وَوَافَقَهُ أيلك الخان، وانعقدت بينهما مصاهرة أسعدت الطرفين فلم تزل السعادة بينهما.

وبعد فترة فسد ذات بينهما بسبب إغارة أيلك الخان على خراسان للاستيلاء عليها،

---

(١) الكامل، ج٨/ص:٣٥٩-٣٦٣.

(٢) تاريخ ابن خلدون، ج٣/ص:٥٩٢، وج٥/ص:١٩. أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الأولى، عام ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م، ج١/ص:١٦٩-١٧١.

مستغلا غياب السلطان محمود عنها، وكان يمين الدولة سار إلى الهند لغزوها، فلما بلغه الخبر صالح ملكَ الهند ورجع إلى خراسان، واقتتل الطرفان وانسحب أيلك الخان منهزماً، لكنه مازال يفكر من الانتقام، وساءت العلاقة بين الدولتين لهذا السبب(١).

وفي عام (٤٠٣هـ/١٠١٣م) كان أيلك الخان يتجهز للعودة إلى خراسان ليأخذ بثأره من يمين الدولة، لكن منيته عاجلته قبل التحرك، فلما توفي ولي بعده أخوه طغان خان، فراسل محمود الغزنوي وأنهى الخلاف لوجود المصاهرة بينهما، فأجابه إليه واشتغلا بغزو الكفار(٢).

وبعد وفاة طغان خان عام (٤٠٨هـ/١٠١٨م)، ملك بعده أخوه أرسلان خان، ومن أجل استمرار العلاقة الطيبة والصداقة بين القراخانيين والغزنيين، خطب محمود الغزنوي ابنة أرسلان خان لابنه مسعود، فأجابه أرسلان خان وانعقد الزواج في هراة في العام نفسه فاستحكم الاتصال بينهما(٣).

وزالت الخلافات والتشاحن بين الطرفين، ولم يحدث أي عدوان من أحدهما على الآخر بعد هذه المصاهرة، بل تعاونوا فيما بينهم على أعدائهم.

ثالثا: مصاهرتهم مع الخوارمشاه.

كما صاهر القراخانيون مع السلاجقة والغزنويين كذلك صاهروا مع الخوارزمشاهات، لكنها كانت قليلة مع الخوارزميين، وجلبت هذه المصاهرة أيضا الخير للقراخانيين، حيث حظي الملك القراخاني السلطان عثمان بنصرة الخوارزمشاه، عندما حارب الخِطَا، مع أن المصاهرة انعقدت بعد الانتصار على الخطا. لكنهم كانوا ينوون المصاهرة منذ زمن، لكون والدة علاء الدين خوارزم شاه من القراخانيين.

وذلك أَنَّ الْخَطَا كَانُوا أقاموا في تركستان بعض الوقت، لكنهم أطالوا ولم يخرجوا منها،

---

(١) الكامل، ج٧/ص:٥٤٢-٥٤٥. زين الأخبار للكرديزي، ص:٢٥١.

(٢) الكامل، ج٧/ص:٥٨٩.

(٣) تاريخ ابن خلدون، ج٤/ص:٥١٥. تاريخمزدىكي خاقانلا، تأليف: نور الله مؤمن يولغون، شنجاك خه لىق نه شرىياتي، ط: الأولى، ٢٠٠٥م، ص:١٨٤.

وَثَقُلَتْ وَطَأَتُهُمْ عَلَى أَهْلِهَا، بتحكمهم على أهل البلاد، ولهم في كُلِّ مدينة نائب يَجبي إِليهم الأَموال، وكان مقامهم بنواحي أُوزكند، وبلاساغون، وكاشغر، وقد ضجر الملك القراخاني من تحكم الكفار على الْمُسْلِمِينَ، فأَرسل إِلى علاء الدين محمد بْنُ خُوَارِزْمَ شَاهْ يستعينه على محاربتهم، ووعد بذكر اسمه في الخُطْبَةِ وعلى السِّكَّةِ، فأَجابه إِلى ذلك. وجمع عساكره وعبر جيحون، واجتمع بالملك القراخاني، وَتَصَافَوْا هُمْ وَالْخَطَا سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّمِائَةٍ، فجرت بينهم حروب، لم يكن مثلها شِدةً وصبراً، وبعد حروب طويلة انْهَزَمَ الْخَطَا هزيمة منكرة، وقتل منهم وأُسر خلقٌ كثير. حتى استرد القراخانيون منهم جميع بلاد ما وراء النهر، مدينة مدينة، ثم عَاد علاء الدين إِلى مدينة خُوَارَزْمَ ومعه السلطان عثمان، وكان من أَحسن النَّاس صورة، فكان أهل خُوَارَزْمَ يجتمعون حَتَّى ينظروا إِليه، ومن أجل بناء العلاقة بينهما زَوَّجَهُ خُوَارَزْم شَاهْ ابنته وَرَدَّهُ إِلَى سَمَرْقَنْدَ(١).

وبعد المصاهرة تكاتف الطرفان وتعاونوا في محاربة الكفار، وقويت العلاقة بين القراخانيين والخوارزميين، حيث لم يجرؤ الخطا على الانتقام من الدولة القراخانية لا حقا، وبقيت البلاد آمنة مطمئنة. فقد لعبت المرأة القراخانية دورا كبيرا في خدمة دولتها مع الدول المجاورة، بمناسبة المصاهرة، وكانت أشبه بسفيرة لدولتها للعمل على تحسين العلاقات مع الحلفاء أو الدول المجاورة للقراخانيين.

---

(١) الكامل، ج١٠/ص:٢٥٢-٢٥٨، البداية والنهاية، ج١٦/ص:٧٥٥.

المبحث الثامن: الحوار والمناظرات.

أولا: الحوار:

يكتسب الحوار أهمية بالغة في منظومة الدعوة الإسلامية، فهو أسلوب أصيل من أساليب الدعوة ومعلم بارز في منهجها الرشيد، فالدّعوة الإسلاميّة في الأساس قائمة على حوار المخالفين، وإقناعهم بالحجة والمنطق والدّليل، وقد جاءت الدعوة الإسلامية في أساسها لتُعطي الحريّة لجميع الناس في اعتناق الإسلام دون إجبار لأحد. لقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾(١). وقوله ﷻ:﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾(٢).

وقد حفل القرآن الكريم بنصوص عديدة حول الحوار تأمر به وتنوه بقيمته وتقدم نماذج من الحوارات التي ينبغي أن يسلكها الدعاة إلى الله مع مختلف أصناف المدعوين. فلو كان ما قالوا – إن الإسلام دين السيف– صحيحا، لما كان للحوار أي معنى.

مفهوم الحوار في اللغة والاصطلاح.

أ. مفهومه لغة:

قال ابن منظور: «الحَوْرُ: الرُّجُوعُ عَنِ الشَّيْءِ وإِلى الشَّيْءِ، حارَ إِلى الشَّيْءِ وَعَنْهُ: رَجَعَ عَنْهُ وإِليه.. وكلَّمته فَمَا رَجَعَ إِلَيَّ حَوَاراً وحِواراً أَي جَوَابًا. وأَحارَ عَلَيْهِ جَوَابَهُ: ردَّه.. وَهُمْ يَتَحاوَرُون أَي يَتَرَاجَعُونَ الْكَلَامَ. والمحاوَرَةُ: مُرَاجَعَةُ الْمَنْطِقِ وَالْكَلَامِ فِي الْمُخَاطَبَةِ»(٣).

ب. مفهومه اصطلاحا:

جاء تعريفها في أصول الحوار للندوة، «هو نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة بالهدوء دون خصومة بين الطرفين»(٤).

---

(١) سورة الكهف. الآية:٢٩.

(٢) سورة البقرة. الآية:٢٥٦.

(٣) لسان العرب، ج٤/ص:٢١٧-٢١٨.

(٤) في أصول الحوار، إعداد: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط: الخامسة عام ١٤١٩هـ، ص:١١، بتصرف.

ويمكن أن نعرفه: "بأنه تبادل الحديث بين شخصين أو فريقين، يريد كل منهما الوصول إلى هدفه في مجال معين بالإقناع، دون اللجوء إلى الخصومة"[١].

والحوار بهذا المعنى أسلوب من أساليب التفاهم بين الأفراد والجماعات والدول والحضارات، وهو يرمى إلى تحقيق التعارف والتعايش والتعاون بين الناس جميعًا، على أساس حرية الرأي واحترام الآخرين وتبادل المنافع بينهم.

الغاية من الحوار التعرف على وجهات نظر الطرف الآخر، وإقامة الحجة على أخطاءه الفكرية، والسعي إلى إيجاد الصحيح من القول والرأي[٢]. وقد يكون الغرض منه التعليم أو التربية والإصلاح والدعوة إلى الله، أو تقريب وجهات النظر أو التعارف أو التآلف أو الاستيضاح والاستبيان، كما حصل بين ملك تركستان، وأمير خوارزم.

لقد أثمر الحوار في الدولة القراخانية، وجمع بين المسلمين ووحد صفوفهم وجنب سوء الظن فيما بينهم، حتى تحقق النصر للمسلمين في حربهم مع الكفار، ومن الشواهد على ذلك ما دار بين السلطان القراخاني عثمان، الملقب بـ"خان خانان" - يَعْنِي سُلْطَانَ السَّلَاطِينِ - وبين علاء الدين محمد بْنُ خُوَارِزْمَ شَاهْ، عندما استعان الأول بالأخير لقتال كفار الخطا، جرى بينهما الحوار التالي: حيث قال الخان لخوارزم شاه: «إِنَّ اللَّهَ عَجَلَّ قَدْ أَوْجَبَ عَلَيْكَ بِمَا أَعْطَاكَ مِنْ سِعَةِ الْمُلْكِ وَكَثْرَةِ الْجُنُودِ أَنْ تَسْتَنْقِذَ الْمُسْلِمِينَ وَبِلَادَهُمْ مِنْ أَيْدِي الْكُفَّارِ، وَتُخَلِّصَهُمْ مِمَّا يَجْرِي عَلَيْهِمْ مِنَ التَّحَكُّمِ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَبْشَارِ، وَنَحْنُ نَتَّفِقُ مَعَكَ عَلَى مُحَارَبَةِ الخِطَا، وَنَحْمِلُ إِلَيْكَ مَا نَحْمِلُهُ إِلَيْهِمْ، وَنَذْكُرُ اسْمَكَ فِي الْخُطْبَةِ وَعَلَى السِّكَّةِ»

وَقَالَ: له خوارزم شاه: «أَخَافُ أَنَّكُمْ لَا تَفُونَ لِي». فَوعده الخان بالوفاء وسَيَّرَ إِلَيْهِ وُجُوهَ أَهْلِ بُخَارَى وَسَمَرْقَنْدَ شهداء على وعده، وَضَمِنُوا عَنْهُ الصِّدْقَ وَالثَّبَاتَ عَلَى مَا بَذَلَ، وَجَعَلُوا عِنْدَهُ رَهَائِنَ.. ثم أقدم خورازم شاه على نصرة الخان وأعانه على استعادة ملكه،

---

(١) تعريف الطالب الباحث.

(٢) أصول الحوار وآدابه في الإسلام، للشيخ صالح بن حميد، إمام وخطيب مسجد الحرام، دار المنار- جدة، ط: الأولى، عام ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص:٧.

وذلك سنة (٦٠٤هـ)[١].

فلولا الحوار والتفاهم بين سلطان تركستان القراخاني وسلطان الخوارزم لبقي المسلمون في بخارى وسمرقند تحت هيمنة كفار الخِطا، حتى أدى هذا الحوار إلى أن أصهر خوارزم شاه إحدى كريمته للسلطان القراخاني، وتوطدت العلاقة بينهما. وهذا يدل على دور الحوار في تأليف القلوب وتوحيد الصفوف، وإيجاد صيغة للتعايش مع الآخرين مع ما فيهم من صور التباين والاختلاف في الآراء والأهداف.

ثانيا: المناظرة:

المناظرة في موكب الدعوة الإسلامية عبارة عن محاورة ومجادلة ومُحاجّة بين طرفين، من أجل الوصول إلى الحق وبيانه، أو دحضِ باطلٍ وإزهاقه، وتُعَدُّ المناظرة أرقى سبل الإقناع للطرف الآخر، وقد يضطر الداعية للدخول في مناظرة مع المعاند في قبول الحق أو المهاجم عليه، يذُبّ عن الإسلام كيدَه، ويكشف للناس عن الحقيقة الناصعة بما أوتي من حجة وبرهان.

مفهوم المناظرة في اللغة والاصطلاح.

أ. مفهوم المناظرة لغة:

تدور مادة (نظر) حول «تَأَمُّل الشَّيْءِ وَمُعَايَنَتِه، ثُمَّ يُسْتَعَارُ وَيُتَّسَعُ فِيهِ. والتَّناظُرُ بمعنى التَّرَاوُضُ في الأَمر، ونَظِيرُ الشيء مِثْلُه. ويقال ناظَرْت فلاناً أَي صِرْتُ نظيراً له في المخاطبة وناظَرْتُ فلاناً بفلان أَي جعلته نَظِيراً له»[٢].

ب. مفهوم المناظرة اصطلاحا:

قال الجرجاني: «هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارًا للصواب»[٣]. وعرفها الميداني بقوله: «هي المحاورة بين فريقين حول موضوع لكل منهما وجهة نظر فيه تخالف وجهة نظر الفريق الآخر، فهو يحاول إثبات وجهة نظره، وإبطال

---

(١) الكامل، ج١٠/ص/٢٥٢-٢٥٣.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ج٥/ص:٤٤٤. لسان العرب، ج٥/ص:٢١٩.

(٣) التعريفات للجرجاني، ص:٢٣٢.

وجهة نظر خصمه، مع رغبته الصادقة بظهور الحق والاعتراف به لدى ظهوره»[١].

ويمكن أن نقول في تعريفها: بأنها "محاورة بين طرفين حول موضوع ما، تختلف وجهة نظرهما فيه، فكل منهما يحاول إبراز الصواب في وجهة نظره، وإبطال وجهة نظر خصمه"[٢]

ولا تكون المناظرة إلا بين مختلفَينِ في الاعتقاد أو في الرأي أو في المذهب. وغايتها كشف الحقِّ، وإفادةِ العالِمِ الأزكى العلمَ لمن دونه، وتنبيهِ الأغفلَ الأضعفَ[٣].

الفرق بين الحوار والمناظرة.

المحاورة أعم من المناظرة، وكل منهما حوار في الأصل؛ لأن التحاور يقتضي المجاوبة بين طرفين يتبادلان الكلام، غير أنه إذا وجد في الحوار محاجة، أو مجادلة، أو خصومة أو نزاع كان مناظرة، وإذا انعدمت فيه تلك المذكور كان حواراً.

لقد كانت المناظرة إحدى أساليب الدعوة في الدولة القراخانية، واستخدمها الدعاة إلى الله لإقناع المدعويين عند دعوتهم، واشتهر بها عدد من العلماء، منهم: الحسين بن علي بن أبي القاسم اللَّامِشِيُّ من أهل سمرقند، وَكَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْمُنَاظَرَةِ، وَكَانَ خَيِّرًا دَيِّنًا عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ، مُطَّرِحًا لِلتَّكَلُّفِ، أَمَّارًا بِالْمَعْرُوفِ[٤].

ومنهم: أيضا يوسف خاص حاجب، الذي اشتهر بالمناظرة منذ أيام دراسته، حيث ناظر عددا من زملائه حول العلم، هل هو كسبي أو وهبي، قال بعضهم: إنه كسبي، وقال الآخرون: إنه وهبي. ولم يوافق يوسف لأحدٍ من الفريقين، بل قال: من العلم ما هو كسبي — وإلا لم يكن لأمر الله ﷻ به أي معنى، وتلا سورة العلق، ثم أشار إلى ما روي عن أبي

---

(١) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، دار القلم-دمشق، ط: الرابعة، عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص:٣٧١.

(٢) تعريف الطالب الباحث.

(٣) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب بن محمد الزرقاني، دار الكتب العلمية-بيروت، ط: الأولى، عام ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج٧/ص:٤٧٠.

(٤) البداية والنهاية، ج١٦/٢٧٩.

الدرداء، قال: «العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه»[١]-، ومنه ما هو وهبي، وهو الذي يفتح الله على المخلص في طلب العلم بعد توفيقه للعمل بما علم، وأشار إلى قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾[٢]، أقنع الجميع وأفحمهم، وهم اقتنعوا لقوة أدلته، وأعجبوا من سعة عقله وفرط ذكائه[٣].

كما ناظر يوسف خاص حاجب عددا من أساتذة المدرسة الخاقانية، وهم أساتذة المنطق والفلسفة في المدرسة، وهؤلاء «قالوا: بوجود الذريعة لخلق الله تعالى العالَمَ، وهي: وجود العناصر الأربعة، وقالوا: لو لم تكن هذه الأشياء موجودة لما خلق الله العالم». فرد عليهم يوسف خاص حاجب بأن الله خلق هذه العناصر الأربعة، وغيرها من الأشياء دون أن تكون لها ذرائع وأسباب، والله يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد، ولا يجوز تعليل أفعاله بأسباب، وهو أعلم بحكمة ما خلق، فبهت المخالفون ولم يردوا جوابا[٤].

ومنهم: أيضا الإمام علاء الدين محمد الختني. الذي عرف بمناظرته مع عامل "قراخطاي" كوچلوك خان، وذلك عندما وقع شرق البلاد تحت قبضة زعيم القراخطاي "ليوتاشي" عَيّنَ "كوچلوك" واليا عليها، وكان كوچلوك نسطوريا، وزوجته بوذية، قَبِلَ الديانة البوذية بدعوة من زوجته، فأظهر عداوته للمسلمين بسبب قضائهم على هذه الديانة من البلاد، فصار يجبر المسلمين على الارتداد عن الإسلام، وقبول الديانة البوذية، بعد أن فرض عليهم لبسة القراخطاي، وأغلق عديدا من المدارس، فلما رأى "كوچلوك" ثبات الناس على دينهم والتفافهم حول علمائهم، جمع ثلاثة آلاف من العلماء البارزين لإقناعهم، كي يقنعوا الناس بقبول الديانة البوذية، فانبرى إليه الشيخ علاء الدين وناظره مناظرة شديدة بالحجج الدامغة على فساد الديانة البوذية وغيرها من الأديان، ودحض الشبه والافتراءات عن

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ ناصر الدين الألباني، ج١/ص:٦٧٠، برقم:٣٤٢، قال الشيخ: صحيح.

(٢) سورة البقرة. الآية:٢٨١.

(٣) يوسف خاص حاجب، يارمحمد طاهر، ص:٢٤-٢٥.

(٤) المرجع السابق، ص:٥٣.

الإسلام بالأدلة القاطعة فأفحمه. فبهت الذي كفر، ولكنه سلك مسلك النمرود لإبراهيم الخليل عليه السلام، حيث استشاط غضبا لافتضاحه أمام الآلاف من أعوانه، فعرض على الشيخ الارتداد عن الإسلام ليعفو عنه، فرفضه الشيخ ذلك رفضا قاطعا، ولما رأى كوچلوك جلادة الشيخ في دينه، أمر جنوده بتعليقه على باب المدرسة - التي بناها الشيخ علاء الدين — بالمسمار وقتله[١].

مات الشيخ لكن أثر علمه لم يمت، وبقي الإسلام في المنطقة بسبب جهود العلماء وقيامهم بمثل هذه المناظرات العلمية، كما صُحح بسببها كثير من المفاهيم الخاطئة حول الإسلام في المجتمع، حيث كان بين المسلمين طوائف من الفلاسفة والمتصوفة، وجود هؤلاء الدعاة كبح جماح المنحرفين، وعوَّق نشر مذهبهم. وبقي أهل البلاد على المذهب السني والعقيدة الصحيحة.

---

(١) شنجاكدا ئوتكه ن ئسلام خانلقلرننك قسقىچه تاريخي، ص: ٩٠-٩٣.

المبحث التاسع: الهبة والهدايا.

تعد الهبة والهدية من أهم وسائل كسب القلوب، وبناء العلاقة بين الناس، كما تُعدان من الأساليب الدعوية، لما لهما من دور كبير في استلال سخائم الحقد، وأدران التنافس والحسد من القلوب، ثم غَرْسِ أسمى معاني الثقة والألفة فيها. لقد نوه القرآن الكريم على تلك الأهمية على لسان بلقيس ملكة سبأ في ردها على كتاب سليمان عليهالسلام عندما دعاها للإسلام، فقالت: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[1]. لتختبره بها، وتنظر رده عليها عند وصولها إليه، ولعلمها بأن الهديَّة تقع موقعاً كبيراً عند الملوك.

وقد جاء الدين الإسلامي الحنيف بكل ما يؤدي إلى الترابط والألفة، وتقوية أواصر المحبة بين الناس، ومن ذلك أمره بالتهادي بين الناس، كقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «تَهَادَوا تَحَابُّوا»[2].

حَثَّ عليها الشارع لكونها مظهر حب، ومبعث أنس، تُقرّب البعيد، وتصل المقطوع، وتذهب العداوة والبغضاء، وتبعث على المحبة، وتعمق المودة، وتشق طريق الدعوة إلى النفوس. والنبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية، ويثيب عليها، فقد ورد عنه أنه قال: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ»[3].

وكان صلى الله عليه وسلم كثير العطاء، ولا يُسالُ شيئا على الإسلام إلا أعطاه، وذلك لكسب مودة المدعو طمعا لإسلامه، عن أنس رضي الله عنه «أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه

---

(١) سورة النمل. الآية:٣٥.

(٢) الأدب المفرد محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية- بيروت، ط: الثالثة عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص:٢٠٨، حديث رقم:٥٩٤، قال الألباني في الإرواء: ج٦/ص:٤٤، برقم:١٦٠١، حسن.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الهبة باب القليل من الهبة، حديث رقم:٢٥٦٨. والذِّراعُ وَالسَّاعِدُ وَاحِدٌ، وهو مِنْ أَيدي الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ فَوْقَ الكُراع. والكراع – من حد الرسغ، وَهُوَ فِي الْبَقر وَالْغنم بِمَنْزِلَة الوظيف فِي الْفرس وَالْبَعِير، – مستدق السَّاق، لسان العرب لابن منظور، ج٨/ص:٩٣. عمدة القاري، ج١٣/ص:١٢٨.

وسلم غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَوَ اللهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ. فَقَالَ أَنَسٌ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»[١]

وهذا دور الهدية في الدعوة إلى الإسلام، يلزم انتهاج هذا المسلك على الدعاة إلى الله عملا بقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٢].

قال ابن كثير رحمه الله: «هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَصْلٌ كَبِيرٌ فِي التَّأَسِّي بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ»[٣].

الهبة والهدية مترادفتان في المعنى، وإن كانتا تختلفان أحيانا[٤]، كما قال ابن قدامة رحمه الله: «إن الْهِبَةَ وَالصَّدَقَةَ وَالْهَدِيَّةَ وَالْعَطِيَّةَ مَعَانِيهَا مُتَقَارِبَةٌ، وَكُلُّهَا تَمْلِيكٌ فِي الْحَيَاةِ بِغَيْرِ عِوَضٍ، وَاسْمُ الْعَطِيَّةِ شَامِلٌ لِجَمِيعِهَا.. فَإِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ، وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ. وَقَالَ فِي اللَّحْمِ الَّذِي تُصُدِّقَ بِهِ عَلَى بَرِيرَةَ: «هُوَ عَلَيْهَا صَدَقَةٌ، وَلَنَا هَدِيَّةٌ» فَالظَّاهِرُ أَنَّ مَنْ أَعْطَى شَيْئًا يَنْوِي بِهِ إلَى اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُحْتَاجِ، فَهُوَ صَدَقَةٌ. وَمَنْ دَفَعَ إلَى إنْسَانٍ شَيْئًا لِلتَّقَرُّبِ إلَيْهِ، وَالْمَحَبَّةِ لَهُ، فَهُوَ هَدِيَّةٌ. وَجَمِيعُ ذَلِكَ مَنْدُوبٌ إلَيْهِ، وَمَحْثُوثٌ عَلَيْهِ»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الفضائل بَابُ مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ لَا وَكَثْرَةُ عَطَائِهِ، حديث رقم:٢٣١٢.

(٢) سورة الأحزاب. الآية:٢١.

(٣) تفسير ابن كثير، ج٦/ص:٣٩١.

(٤) الفرق بين الهدية والهبة: أن الهدية ما يتقرب به المهدي إلى المهدى إليه، وليس كذلك الهبة ولهذ لا يجوز أن يقال إن الله يهدي إلى العبد كما يقال إنه يهب له، وقال تعالى: حكاية عن زكريا عليه السلام ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ وتقول أهدى المرؤوس إلى الرئيس ووهب الرئيس للمرؤوس، وأصل الهدية من قولك هدى الشئ إذا تقدم وسميت الهدية هدية لأنها تقدم أمام الحاجة. الفروق اللغوية لأبي الهلال العسكري، ص:١٦٧-١٦٨.

(٥) المغني لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، مكتبة القاهرة، ط: بدون، عام ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ج٦/ص:٤١.

والمتأمل في مهاداة النبي صلى الله عليه وسلم يدرك أنه عليه السلام استخدم الهدية كأنجح الأساليب في الدعوة إلى الله، وحققت بفضل الله تعالى نجاحاً، بحيث جعلت أفئدة الناس تُقبل على دين الله تعالى وتلتزم به. ولقد تناقل المسلمون على مدى العصور هذا الهدي النبوي وطبقوه في منهجهم الدعوية. ومنهم الدعاة القراخانيون حيث استخدموا الهدية في أساليبهم الدعوية، من أجل إصلاح ذات البين، وتأليف القلوب، وازدياد الود والمحبة مع من ينافسهم في الحكم والسلطة، لإنهاء الاختلاف والتناحر بين الطرفين. ومن الشواهد على ذلك.

هدية يوسف قدرخان قائد التركستان وخانها العظيم إلى محمود الغزنوي. وذلك حينما علم قدرخان بعبور يمين الدولة من جيحون بقصد الإغارة على بلاده (بلاد ما وراء النهر) رحل قدرخان عن كاشغر، حتى وصل على بُعْدِ فرسخ من جيش السلطان محمود في سمرقند فنزل هناك، وأرسل الرسل إلى محمود على سبيل الصداقة، فأجابه محمود جوابا كريما، وعين مكانا ليلتقيا فيه، فلما التقيا أهدى قدر خان إلى محمود جوهرة ثمينة، وأهدى محمود كذلك درة ثمينة إلى قدرخان، وفي اليوم الثاني أحضر محمود هدايا كثيرة للخان، عبارة عن الأواني الذهبية والفضية، والجواهر النفيسة، والثياب الجميلة، والأسلحة القيمة، والجياد الغالية بسروجها الذهبية وعصيها المرصعة بالجواهر، والهوادج من الديباج المنسوج، والسيوف الهندية، وجلود النمور البربرية، والغزلان والوعول. وأعاد قدرخان معززا مكرما، ولاطفه كثيرا واعتذر عما بدر. وحينما وصل قدرخان إلى معسكره ورأى هذه الأشياء الكثيرة القيمة، أعدَّ كثيرا من الأموال والأمتعة- التي توجد في تركستان — هدية إلى محمود، عبارة عن: جياد أصيلة، والآلات والأسلحة الذهبية، والصقور والشواهين، وفراء السمور[١]، والسنجاب والثعالب ذوات الذنب الأسود، والآلات المصنوعة من جلود وقرون الكركدن، وما شابه ذلك، ثم رحل كل منهما بالرضا عن الآخر، وكان ذلك سنة (٤١٦هـ/١٠٢٦م)[٢].

---

(١) السمور: حيوان ثديي ليلي من الفصيلة السمورية من آكلات اللحوم يتخذ من جلده فرو ثمين ويقطن شمالي آسيا. المعجم الوسيط، ج١/ص:٤٤٨.

(٢) ينظر: زين الأخبار للكرديزي، ص:٢٦٥-٢٦٦-٢٦٧.

وهكذا انطفأت شرارة العداوة بين الطرفين، وصدق من قال: «الهدية ترد بلاء الدنيا والصدقة ترد بلاء الآخرة»[(١)]، وقال يحيى بن خالد: «ثلاثةُ أشياء تدلُّ على عُقول أرْبابها: الكتاب يدُل على عقل كاتبه، والرسولُ يَدُل على عقل مُرْسِله، والهديَّةُ تدل على عقل مُهديها»[(٢)].

ومن الشواهد أيضا، هدية ملك كاشغر (حسن بن سليمان) إلى السلطان ملكشاه عام (٤٨٢هـ). وكان أخو ملك كاشغر (يعقوب) أميرا على سمرقند، وأراد السلطان ملكشاه إخضاعه لسلطنته، فاستعصى عليه الأمر، وحارب ملكشاه يعقوبَ مرات عدة حتى هزمه، والتجأ يعقوب إلى أخيه في كاشغر، فَسَمِعَ السُّلْطَانُ بِذَلِكَ، وأَرْسَلَ إِلَى مَلِكِ كَاشْغَرَ يَتَوَعَّدُهُ، إِنْ لَمْ يُرْسِلْهُ إِلَيْهِ، أَنْ يَقْصِدَ بِلَادَهُ، وَيَصِيرَ هُوَ الْعَدُوَّ، فَخَافَ أَنْ يَمْنَعَ السُّلْطَانَ، وَأَنِفَ أَنْ يُسَلِّمَ أَخَاهُ بَعْدَ أَنِ اسْتَجَارَ بِهِ.. لكنه احتال في الأمر وَسَيَّرَ أخاه يعقوب مَعَ وَلَدِهِ، وَجَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَأَرْسَلَ مَعَهُمْ هَدَايَا كَثِيرَةً لِلسُّلْطَانِ، فلما وصل يعقوب إِلَى قَلْعَةٍ بِقُرْبِ السُّلْطَانِ، همَّ جنود السلطان سَمْلَ عينيه عقاباً له على ما ألحق من الضرر بجنود السلطان، لكن ما معه من الهدايا ووعدهُ إياهم الْإِحْسَانَ حال دون ذلك، فعفوا عنه وأَطلقوه سراحه. ثم قربه السلطان ملكشاه إليه، واتحدا في محاربة أعدائهما[(٣)].

حيث نتج عن هذه الهديا إزالة الضغائن والأحقاد من القلوب، والتقرب للآخر بالمودة والزلفى، والحفاظ على الأرواح، وتوحيد الصفوف، الذي أمر الله به قائلا: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾[(٤)].

---

(١) الإعجاز والإيجاز لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، دار الغصون بيروت – لبنان، ط: الثالثة: عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص:١١٠.

(٢) العقد الفريد أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى عام ١٤٠٤هـ، ج٢/ص:١١٤.

(٣) الكامل، ج٨/ص:٣٢٧-٣٢٨.

(٤) سورة آل عمران. الآية:١٠٣.

قال ابن حبان رحمه الله: «فالواجب على المرء إذا أهديت إليه هدية أن يقبلها ولا يردها، ثم يثيب عليها إذا قدر، ويشكر عنها، وإني لأستحب بعث الهدايا إلى الإخوان بينهم، إذ الهدية تورث المحبة وتذهب الضغينة.. والبشر مجبولون على محبة الإحسان، وكراهية الأذى، واتخاذ المحسن حبيبًا، والمسيء إليهم عدوًا، فالعاقل يستعمل مع أهل زمانه لزوم بعث الهدايا بما قدر عليه، لاستجلاب محبتهم إياه، ويفارق تركه مخافة بغضهم»(١).

إذاً الهدية هو السحر الظاهر، كما قال عبيد الله بن عبد الله الكريزي:

إن الهديـــــــــة حلـــــــــوة   كالسحـــر تختلـــب القلـــوبا
تدنـــي البعيـــد مـــن الهـــوى   حـــــتى تصيـــــره قريـــــبًا
وتعيـــــد مضطغـــــن العـــــداوة   بعـــــد بغـــــضته حبيـــــبًا
تنفـــي الســـخيمة مـــن ذوي الشـــحنا   وتمتحـــــــــق الـــــــــذنوبا(٢)

وقال الحسين بن علي اليمني:

هـــدايا النـــاس بعضـــهم لـــبعض   تولّـــد في قلـــوبهم المـــودّه
وتـــزرع في النفـــوس هـــوى وحبّـــا   لصـــرف الـــدهر والحـــدثان عـــدّه
وتصـــطاد القلـــوب بـــلا شـــراك   وتســـعد حـــظّ صـــاحبها وجـــدّه(٣)

ومما يروى في تأثير الهدية بين الناس وتحويل المبغض إلى المحب، أنه «بلغ الحسن بن عمارة أن الأعمش يقع فيه، فبعث إليه بكسوة، فلما كان بعد ذلك مدحه الأعمش فقيل له: كيف تذمه ثم تمدحه؟!، قال: إن خيثمة حدثني عن عبد الله قال: إن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها»(٤).

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان البستي، أبو حاتم، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٣٩٧هـ/١٧٧م، ص:٢٤٢-٢٤٣.

(٢) المرجع السابق، ص:٢٤٣.

(٣) معجم الأدباء لياقوت الحموي، ج٣/ص:١١٤١.

(٤) تهذيب الكمال يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق: د/ بشار عواد معروف،

وتلك المذكور إن دلت على شيء فإنما تدل على أهمية الهدية في الدعوة إلى الله بين الداعية والمدعو، حيث لعبت دورا مهما في إسلام كثير من الناس، وإحداث المودة بين المسلمين وتأليف قلوبهم، واجتثاث الشر فيما بينهم، وهذا من أهم أهداف الدعوة إلى الله.

=

مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ج٦/ص:٢٧٤.

الفصل الخامس

وسائل الدعوة في عهد الدولة القراخانية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعليم.

المبحث الثاني: التأليف.

المبحث الثالث: الحسبة.

المبحث الرابع: الجهاد.

المبحث الأول: التعليم.

الاهتمام بالتعليم ونشر العلم والمعرفة الصحيحة من أهم الوسائل في الدعوة إلى الله، لتقوم الحجة على الخلق وتتضح المحجة، وليعرف الناس الحلال فيتبعوه، ويعرفوا الحرام فيجتنبوه. ولقد اهتم الإسلام بالتعليم أعظم اهتمام، حيث كانت أول آية نزلت في القرآن تأمر بالقراءة التي تعتبر المفتاح الأساسي للعلم، فقال الله عزّ وجل: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(١).

ومن ذاك الاهتمام: أن الله أوجب العلم في الإسلام قبل العمل، فقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾(٢). وحذّر من القول دون علم، فقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾(٣). وأَمَرَ رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب الازدياد منه، فقال ﷻ:﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾(٤). وجعل للعلماء منزلة عالية تعلو عن غيرهم من الناس في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فقال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾(٥).

وكذا أوجب الرسول صلى الله عليه وسلم طلب العلم على المسلمين، قائلا: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»(٦). وبيّن فضل العلماء على الناس في الكثير من الأحاديث الشريفة، فجعل فضل العالم على العابد كفضل القمر على بقية الكواكب، كما أنه بيّن بأن العلماء هم ورثة الأنبياء، وأن أسهل طريق يوصل العبد إلى الجنة هو طلب العلم، فقال صلى الله عليه وسلم: «..وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى

---

(١) سورة العلق. الآية:١-٥.

(٢) سورة محمد. الآية:١٩.

(٣) سورة الإسراء. الآية:٣٦.

(٤) سورة طه. جزء من الآية:١١٤.

(٥) سورة المجادلة. الآية:١١.

(٦) صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، بدون تاريخ، ج٢/ص:٧٢٧، حديث رقم:٣٩١٣.

الْجَنَّةِ..»[١].

وكان صلى الله عليه وسلم يرسل الصحابة إلى الأقطار لتعليم الناس، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه «أَنَّ أَهْلَ الْيَمَنِ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا: ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا يُعَلِّمْنَا السُّنَّةَ وَالْإِسْلَامَ، قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَقَالَ: هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ»[٢]

كما روي عن السلف أقوال ذهبية في فضل العلم، منها: ماروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «كفى بالعلم شرفًا أن يدَّعيه مَن ليس بأهله، وكفى بالجهل ذما أن يتبرَّأَ منه مَن هو فيه»[٣].

وقال سفيان بن عيينة: «لم يُعْطَ أحدٌ في الدنيا شيئا أفضل من النبوة، وما بعد النبوة شيء أفضل من العلم والفقه»[٤].

والعلم الذي تهدف إليه وسيلة الدعوة هو العلم بمفهومه الشامل الديني والدنيوي الذي يفيد الإنسان في حياته وآخرته ويعينه على عمارة دنياه وعقباه، كما يزيد من أسباب قوته وتمكينه في الأرض، ويجعله في مركزٍ يصعب على الأعداء اختراقه ومناوءته.

لهذه المكانة والأهمية للعلم، اهتم القراخانيون لنشره وبنوا مدارس عديدة لتوعية المجتمع به، منها: المدرسة الساجية في كاشغر في أوائل سنة (٣٩٠هـ/١٠٠٠م)، مع بنائهم مكتبة كبيرة للمدرسة، ومنها: المدرسة الحامدية في قرية "دَوْلَتْباغْ" في كاشغر. ومنها: المدرسة المحمودية، والتي أسسها محمود الكاشغري، وظلَّ يُدَرِّسُ فيها إلى أن تُوفي[٥].

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، حديث رقم:٢٦٩٩.

(٢) أخرجه مسلم كتاب الفضائل باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح، حديث رقم:٢٤١٩.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة، تحقيق: محمد بن مهدي العجمي، دار البشائر الإسلامية – بيروت لبنان، ط: الثالثة، عام ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص:٤١.

(٤) المرجع السابق، ص:٤٢.

(٥) شنجاكدا ئوتكه ن ئسلام خانلقلرىنك قسقچه تاريخي، ص:١٣٨.

وأنجبت هذه المدارس أئمة وعلماء أفاضل ساهموا في نشر العلم في آفاق البلاد وخارجها. وساعد على انتشار التعليم في تركستان الموقع الجغرافي للبلد، حيث كانت تركستان ممرا للثقافة اليونانية والهندية والصينية، ومما جعل القراخانيين يولون الاهتمام في التعليم، تقلب الأديان في المنطقة، واجتماع الديانات فيها، كالبوذية، والنصرانية وغيرهما، وذلك بسبب وجود طريق الحرير في المنطقة(١).

لو حصل من القراخانيين أدنى توان في الدفاع عن الإسلام ونشر العلم بين أبناء الوطن، لغلب عليهم أصحاب الديانات الباطلة، بسبب أنشطتهم الدؤوبة، فقيام القراخانيين بتوعية الناس بالعلم وتثقيفهم في الدين، حدَّ نفوذ أهل الشرك في المجتمع التركستاني، حتى زهق الباطل واضمحل من المجتمع.

ومن الشواهد الأخرى على اهتمام القراخانيين في التعليم، ازدهار العلم في عهد الملك حسن بن سليمان، المشهور بـ"هارون بغرا الثاني"، حيث صارت مدينة كاشغر مقصدا للعلم، وكان الناس يفدون إليها من أقطار العالم لتحصيل العلوم الشرعية، واكتسبت الدولة القراخانية شهرة كبيرة لدى دول الجوار، بسبب هذه المدارس الإسلامية، وامتد نفوذها في آسيا الوسطى(٢).

وأحفاد القراخانيين مازالوا ينظرون إلى مدينة كاشغر إلى الآن بأنها مقر حكم أجدادهم، وأهم أحد مراكز التعليم في تركستان؛ لأن بعض المدارس ما زالت موجودة إلى الآن وإن تغير اسمها، كالمدرسة الخاقانية في كاشغر، والمدرسة المحمودية في محافظة "أوفال" التابعة لولاية كاشغر.

---

(١) قاراخانلانيك قسقچه تاريخي، ص: ١١٢.

(٢) قه شقه رنك يقنقي وه هازىرقي زامان مائارىپ تارىخي، (تاريخ التعليم في كاشغر في العصر القريب والحاضر) تأليف: عبد الرحيم توختي، قه شقه ر ئويغور نه شرىياتي، دار الأويغور للنشر – كاشغر، ط: الأولى، عام ١٩٨٦م، ص:٢.

المبحث الثاني: التأليف.

يُعد التأليف من أهم الوسائل في نشر الدعوة الإسلامية بين الأمم، لعِظَم أثرها في الدعوة إلى الله، ولعدم حصره في جيل العصر، بل تتوارثه الأجيال جيلا بعد جيل، فهي تُعد بحق مفكرة المسلمين وديوانهم الكبير. بحيث يتم عَبْرَها توعيةُ الناس في الدين، وبثُّ المعتقد الصحيح فيما بينهم، وتحذيرهم من مخالفة ذلك، وتوضيح أحكام الشريعة الإسلامية في العبادات والمعاملات والأخلاق والسلوك والآداب.

ولهذا اهتم الدعاة القراخانيون هذا الجانب في الدعوة، وقاموا بتصنيف وتأليف الكتب في شتى الموضوعات التي تخدم الإسلام والمسلمين، وتهدف إلى نشر الدعوة بتوضيح معالم الدين، وتبيين أصوله، وتقريب مفاهيمه للناس. وقد نُسِبَ إلى بعضهم أكثر من مائة مؤلف، في سبيل نشر الدعوة والعلم في الآفاق، ومن أبرزهم على سبيل المثال لا الحصر:

١- الشيخ حسين بن علي بن خلف بن جبريل الألْمعيّ الكاشْغَريّ (ت٤٨٤هـ/١٠٩١م)، ويُعرَف بالفضل. حيث ألف وصنف الكثير من الكتب، وزادت تصانيفه فِي العلوم المختلفة — من التفسير والتّصوّف والآداب الدينيّة - على مائَة وَعشْرين مؤلفا[١].

٢- محمد بن أحمد أبو ريحان البيروني، (ت٤٠٣هـ/١٠١٢م)، المشتهر بعلم النجوم والفلك والرياضيات، لم يأت الزمان بمثله علما وفهما، وقد بلغت أعماله المؤلفة المعروفة حوالي (١٨٠) كتابا. وتنوعت موضوعاتها لتشمل: الفلك، والطب، والصيدلة، والجغرافيا، والنبات، والتاريخ، والنجوم، والهيئة، والمنطق، والحكمة. ومن أهم مؤلفاته: القانون المسعودي في الهيئة والنجوم[٢].

٣- أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أَوْزَلَغ التُّرْكِي الفَارَابِي أَحَدُ الأَذْكِيَاء. (ت٣٣٩هـ/٩٥٠م)، يُنْسَبُ إليه أكثر من مائة مؤلف متفاوتة الأحجام. فِي الْمنطق

---

(١) الوافي بالوفيات، ج١٣/ص:١٥. معجم البلدان، ج٤/ص:٤٣٠-٤٣١.

(٢) معجم الأدباء لياقوت الحموي، ج٥/ص:٢٣٣٣-٢٣٣٤. رائد علم الفلك البيروني، تأليف: عاطف محمد، دار اللطائف للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: الأولى، عام ٢٠٠٣، ص:٢٤.

وَالْحكمَة وَغَيرهَا من الْعُلُوم، وَمن تصانيفه: الفصوص في الحكمة، والسِّيرَة الفاضلة. وصنف كتابا شريفا فِي إحصاء الْعُلُوم وَغير ذَلِك، يَعرفُ سَبْعِيْنَ لِسَاناً، وَكَانَ وَالِدُهُ مِنْ الأُمَرَاءِ[١].

٤- نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسفي، (ت٥٣٧هـ/١١٤٢م)، ينسب المؤرخون إليه حدود مائة مؤلف، وعدة مخطوط، منها: التيسير في التفسير. وهو من الكتب المبسوطة في هذا الفن، ذكر في الخطبة مائة اسم من أسماء القرآن، ثم عرف التفسير والتأويل، ثم شرع في المقصود وفسر الآيات بالقول، وبسط في معناها كل البسط، ومنها: كتاب النجاح في شرح كتاب أخبار الصحاح، شرح لصحيح البخاري، ذكر في أوله أسانيده عن خمسين طريقاً إلى المصنف. ومنها: القند في ذكر علماء سمرقند، ومنها: نظم الجامع الصغير لمحمد بن الحسن الشيباني[٢].

٥- من المكثرين في التأليف أيضا، المحدث الحافظ أبو الفتوح عَبْد الغافر بْن الْحُسَيْن بْن عَلِيّ بْن خَلَف بْن جبريل الألمعي الكاشْغَرِيّ. (ت ٤٦٦هـ/١٠٧٣م)، ينسب له مؤلفات عدة، منها: كنز الأحاديث، وتاريخ كاشغر، وكاشغر منبع العلماء. كان فَهْمًا ذكيًّا، عارفًا بالحديث واللغة، حافظا، ثقة، مكثرا، صدوقا. مات في أيام طلبه[٣].

٦- ومنهم: الشيخ علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، كنيته أبو الحسن برهان الدين: من أكابر فقهاء الحنفية (ت٥٩٣هـ١١٩٧م)، كان حافظاً مفسراً

---

(١) كشف الظنون، ج٢/ص:١٢٦٥. سير أعلام النبلاء، ج١٥/ص:٤١٥-٤١٨. أسماء الكتب، عبد اللطيف بن محمد بن مصطفى رياض زاده الحنفي، تحقيق: د/ محمد التونجي، دار الفكر – دمشق السورية، ط: الثالثة، عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص:١٧٦.

(٢) كشف الظنون، ج١/ص:٥١٩. وص:٥٥٢. تاريخ بغداد وذيوله، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، عام ١٤١٧هـ، ج٢٠/ص:٩٩. الحركة الفكرية في عهد الدولة القراخانية، حسين علي الداقوقي، ص:١١.

(٣) الأنساب للسمعاني، ج٥/ص:١٨. تاريخ الإسلام للذهبي تحقيق: بشار عواد، ج١٠/ص:٢٣٦. قه دىمكي ئويغورلا وه قاراخانلا، ص:٣٩٨.

محققاً أديباً، مشاركاً في أنواع من العلوم مجتهداً. من تصانيفه: بداية المبتدئ، وشرحه "الهداية في شرح البداية" وشرح الجامع الكبير للشيباني في الفقه، ومنتقى الفروع، والتجنيس والمزيد وهو لأهل الفتوى غير عتيد، ومختار الفتاوى، ومناسك الحج، ومختارات النوازل، والفرائض. وكلها في الفقه الحنفي[١].

٧- ومنهم: الإمام أبي بكر محمد بن أحمد بن القفال الشاشي، المعروف بالمستظهري، (ت٥٠٧هـ/١١١٣م)، من مؤلفاته: حلية العلماء في مذاهب الفقهاء. وهو كتاب كبير، صنف للخليفة المستظهر بالله العباسي ووافق ما فعله، ولذلك يلقب هذا الكتاب (بالمستظهري) وذكر في كل مسألة الاختلاف الواقع بين الأئمة، ثم صنف المعتمد، وهو كالشرح للمستظهري[٢].

٨- ومنهم: الشيخ الإمام أبو المعين ميمون بن محمد النسفي (ت٥٠٨هـ/١١١٤م)، من أشهر مؤلفاته: تبصرة الأدلة في الكلام، جمع فيه معظم الدلائل في المسائل الاعتقادية، وبين ما كان عليه مشايخ أهل السنة، وأبطل مذاهب خصومهم، وله أيضا التمهيد لقواعد التوحيد[٣].

٩- ومنهم: الإمام علي بن عبد العزيز أبو الحسن ظهير الدين المرغيناني السمرقندي، (أستاذ الْعَلامَة فَخر الدّين قَاضِي خَان) (ت٥٠٦هـ/١١١٢م) من مؤلفاته: تاريخ ملوك تركستان، وأعراض الرياسة في أغراض السياسة، باسم سلطان سمرقند جلال الدين قلج طمغاج خان، وافق السلطان على ذلك؛ لأنه كان من هواة العلم، وقد وصف الكتاب الأخير بأنه تضمن لطائف الكلام لكل الملوك، منذ عهد الملك جمشيد حتى عصر حكم السلطان قلج طمغاج خان[٤].

---

(١) الأعلام للزركلي، ج٤/ص:٢٦٦. معجم المؤلفين عمر رضا كحالة، ج٢/ص:٤١١. تاريخ الإسلام للذهبي، ، ج٤٢/ص:١٣٧. كشف الظنون، ج١/ص:٣٥٢.

(٢) كشف الظنون، ج١/ص:٦٩٠.

(٣) المرجع السابق، ج١/ص:٣٣٧. وص:٤٨٤.

(٤) جهار مقالة، نظامي السمرقندي، ص:١٤٤. الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، ج١/ص:٣٦٤.

١٠- الشَّيْخ عبد الله بن مُحَمَّد الكاشغرى الْمُتَوفَّ شَهِيدا سنة (٦٣٥هـ)، من مؤلفاته: إعجاز الناظرين، في الفقه وهو كتاب مختصر على خمسة فصول، أجاب فيه عن الاعتراضات التي كتبها القلانسي على الأدلة الشرعية، سوى الإجماع، ولَهُ ديوَان في الشعر بالفارسية[١].

وما ذكرته غيض من فيض من مؤلفات هؤلاء العلماء التركستانيين، في عهد الدولة القراخانية الإسلامية، وطالما كانت هذه المؤلفات سببا لنشر الدعوة الإسلامية في ربوع البلاد، وحفظ الإسلام في المنطقة لاحقا، وما زالت آثارهم باقية في تركستان إلى يومنا هذا، وإن أتلف أعداء الإسلام (الشيوعية) معظم تلك المؤلفات بالإحراق أوالمصادرة، بقي بعضها محفوظا في البلاد، وفي آسيا الوسطى، وتركيا.

=

لباب الألباب، محمد عوفي بالفارسية، تعريب وتحقيق: إدوارد براون، عام ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، بدون ناشر، ص:٩١. وينظر: الجواهر المضية في تراجم الحنفية، ج١/ص:٣٦٤.

(١) كشف الظنون، ج١/ص:٨١. هدية العارفين، للباباني، ج١/ص:٤٦٠.

المبحث الثالث: الحسبة.

الحسبة إحدى الوسائل المهمة في الدعوة إلى الله، تكمن أهميتها في كونها أصلاً شرعياً من أصول الإسلام الذي تتعدد أهدافه وغاياته في النظام الإسلامي، وفق مقتضيات الأحوال والأزمان. فنظام الإسلام يهدف إلى خلق مجتمع آمن مستقر تسوده المحبة، ويجتمع أفراده في التعاون على البر والتقوى، حتى يتمكن الجميع من القيام بواجب الخلافة في الأرض وتحقيق الغاية الأساسية من خلق الإنسان، وهي عبادة الله تعالى، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[(١)].

وللوصول إلى هذا الهدف النبيل والغاية المرموقة، لزم أن يكون هناك من يُذَكِّرُ الناس بواجبات الشرع ومحذوراته، ويتابع التزامهم بها، مع مراقبته الإفراط والتفريط فيها، ومن هنا جاءت أهمية ولاية الحسبة لإصلاح دين الخلق وأحوالهم، بحفظ المصالح العليا لهم، المعبرة عنها بكليات الخمس، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال[(٢)]. فكل الأحكام الشرعية في هذا الخصوص إنما هي أوامر ونواهي، للحفاظ على هذه الكليات.

والحسبة إنما تسعى للتحقق من تطبيق هذه الأوامر والالتزام بالنواهي فيها. وقد أمر الله تعالى بالقيام بواجب الاحتساب بصيغة الوجوب على الأمة، كقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[(٣)]. وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أيضا قائلا: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[(٤)].

ونظام الحسبة هو الجهاز الرقابي الذي بدأ العمل به في تاريخنا الإسلامي؛ للنهوض بمستوى المجتمع الإسلامي دينيًّا، وحضاريًّا، وأخلاقيًّا، وإداريًّا، وتربويًّا، وصحيًّا، ويرجع ذلك

---

(١) سورة الذاريات. الآية:٥٦.

(٢) ينظر: الموافقات للشاطبي، ج٣/ص:٢٣٦.

(٣) سورة آل عمران. الآية:١٠٤.

(٤) أخرجه مسلم كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ، حديث رقم:٤٩.

على عصر النبوة؛ حيث تولاها النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه، وفعلها خلفاؤه من بعده إلى أن أصبحت من النظم الإسلامية الأساسية في حكومة المسلمين.

مفهوم الحسبة لغة واصطلاحا:

أ. مفهومها في اللغة:

الحسبة لغة: مشتقة من الفعل (حسب) وهي اسم منه، وكذا الاحتساب، كالعدة من الاعتداد، تقول: حَسَبَهُ حَسْباً وحُسْباناً، بالضم، وحِسْباناً وحِساباً وحِسْبَةً وحِسابَةً، واحتسب يحتسب احتسابا وحِسْبَةً، ومن معانيها: العد والحساب، وطلب الأجر، والاكتفاء، وحسن التدبير في الأمور، والإنكار، قال ابن سيده: «احتَسَبَ فلَان على فلَان: أنكر عَلَيْهِ قَبِيح عمله»[١].

وَفِي الْحَدِيثِ القدسي: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي المؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ، إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الجَنَّةُ»[٢]. أَي اعْتَدَّ مُصِيبَتَه بِهِ فِي جُملةِ بَلايا اللَّهِ، الَّتِي يُثابُ عَلَى الصَّبْرِ عَلَيْهَا، واحْتسب الأَجرَ بِصَبْرِهِ عَليه. والاحتِسابُ فِي الأَعمال الصالحاتِ وَعِنْدَ المكْرُوهاتِ: هُوَ البِدارُ إِلَى طَلَبِ الأَجْرِ وتَحْصِيله بِالتَّسْلِيمِ وَالصَّبْرِ، أَو بِاسْتِعْمَالِ أَنواعِ البِرِّ والقِيامِ بِهَا عَلَى الوَجْهِ المرْسُوم فِيهَا، طلَباً لِلثَّوَابِ المرْجُوِّ مِنْهَا[٣].

ب. مفهومها في الاصطلاح:

قال ابن خلدون: «هي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين»[٤].

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، عام ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج٣/ص:٢٠٨. وينظر: لسان العرب، ج١/ص:٣١٤. ج٣/ص:٢٠٧. القاموس المحيط، ص:٧٤.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الرقاق باب العمل الذي يبتغى به وجه الله، حديث رقم:٦٤٢٤.

(٣) لسان العرب، ج١/ص:٣١٥.

(٤) تاريخ ابن خلدون، ج١/ص:٢٨١.

وقال الغزالي: «الحسبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله، صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر»[١].

وقال الإمامان الماوردي والفراء: «هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا أظهر فعله»[٢].

على ضوء ما سبق يمكن تعريف الحسبة: "بأنها رقابة إدارية تقوم بتوعية الناس على حماية محارم الله، وتردهم إلى رشدهم إذا انتهكوها، تحقيقا لمصالحهم الدينية والدنيوية، وحفاظا على المرافق العامة للمجتمع، وفقاً لشرع الله تعالى"[٣]. والله أعلم بالصواب.

فالحسبة إذًا هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. المعروف: قال ابن الأثير: «هو اسم جامعٌ لكُلِّ ما عُرف من طاعة الله والتقرّب إليه والإحْسَان إلى النَّاس وكُلّ ما ندَب إليه الشَّرع.. أي أمْرٌ معْرُوفٌ بينَ النَّاس إذَا رَأوْه لا يُنكرُونه»[٤]. «والمنكر: ضِدّ المعروف، وكلُّ ما قَبَّحه الشرع وحَرَّمه وكَرِهه فهو مُنْكَر»[٥].

ومعنى النهي عن المنكر التحذير من إتيانه وفعله، مع التنفير منه والصد عنه، وقطع أسبابه، وسبله بصورة تقتلعه من جذوره وتطهر منه الحياة جميعًا.

حكم الحسبة: يدور حكمها بين فروض الأعيان وفروض الكفاية، حسب طبيعة الفعل

---

(١) إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المنهاج – السعودية جدة، ط: الأولى، عام ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ج٤/ص:٦٠٦.

(٢) الأحكام السلطانية، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: أحمد جاد، دار الحديث – القاهرة، ط: الأولى، عام ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص:٣٤٩، الأحكام السلطانية، للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، تعليق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط: الثانية: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص:٢٨٤.

(٣) تعريف الطالب الباحث.

(٤) النهاية في غريب الحديث، ج٣/ص:٤٤٢.

(٥) المرجع السابق، ج٥/ص:٢٤٠.

والظروف الزمانية والمكانية التي حدث فيها[١].

من صور احتساب الدعاة القراخانيين ما يلي:

١- احتساب العلماء على بعض الأمراء وفتواهم لقتله تعزيرا، ففي عام (٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، أشيع عن صاحب سمرقند (الأمير أحمد خان بن خضر خان)[٢]، أنه يميل إلى المنحرفين عقديا، واتهمه الناس بالزندقة، واجتمع قواد عسكره وقبضوا عليه، ولما قبضوه أحضروا الفقهاء والقضاة، وأقاموا خصوماً ادعوا عليه الزندقة، فجحد، فشهد عليه جماعة بذلك، وأفتى الفقهاء بقتله، فخنقوه وأجلسوا مكانه ابن عمه مسعود بن جبريل بن عمر بن قدرخان، وحكم سنتين (٤٨٨-٤٩٠هـ/١٠٩٥-١٠٩٧م)[٣].

وقصة انحرافه أنه أثناء وجوده بإيران كان قد دخل في علاقة مع ملاحدة الديلم، فلقّن عنهم معتقدات الإباحة والزندقة. فلمّا ولّي أظهر الانحلال، ونشر الفقهاء وقضاة سمرقند فتوى بين جنده يطالبون فيه عزله وقتله، فاعتزم جنده على قتله، وتفاوضوا في ذلك مع نائبه بقلعة قاشان، فأظهر العصيان عليه، فسار في العساكر وحاصر القلعة، وتمكّن جنده منه فقبضوا عليه ورجعوا به إلى سمرقند فدفعوه إلى القضاة وقتلوه بالزندقة، وهذا ما يدل على قوة تمسك الدولة بالشريعة، ونفوذ علماء الدين في الدولة[٤].

وممن اشتهر بالحسبة على الولاة، الإمام أبو على الحسين بن على بن أبى القاسم

---

(١) الحسبة في الإسلام، أ.د/عبد الرحيم محمد المغذوي، مكتبة الرشد، الرياض، بدون تاريخ، ص:١٩.

(٢) تولى الحكم بعد وفاة أبيه خضرخان، عام (٤٧٣هـ/١٠٨١م)، وفي عهده أصبحت الدولة القراخانية تحت نفوذ السلاجقة، حيث قبض عليه ملكشاه عام (٤٨٢هـ/١٠٩٠م) وأطاحه من السلطة، ثم أعاده إليها عام (٤٨٥هـ/١٠٩٣م)، وَكَرِهَهُ عَسْكَرُهُ وَاتَّهَمُوهُ بِفَسَادِ الِاعْتِقَادِ، وَقَالُوا: هُوَ زِنْدِيقٌ. حتى قتلوه في العام المذكور. الكامل لابن الأثير، ج٧/ص:٦٤٥، وج٨/ص:٣٢٤-٣٢٥-٣٢٦-٣٨٩. ئويغور نامه، ص:٢١٥.

(٣) المختصر في أخبار البشر، ج٢/ص:٢٠٦. الكامل، ج٨/ص:٣٨٩. شنجاكدا ئوتكه ن ئسلام خانلقلرنك قسقچه تاريخي، تأليف لي جنشن، ص:١٠٨.

(٤) تاريخ ابن خلدون، ج٤/ص:٥١٨. تركستان لبارتولد، ٤٦٦.

اللامشي، وكان يدخل على الملوك ويقول الحق في وجوههم[١].

٢- احتساب الأمراء على الرعية. منهم السلطان طفغاج خان إبراهيم، وقد اتجهت عناية هذا السلطان منذ البداية إلى تثبيت قواعد النظام والأمن بأراضيه، فكان أدنى اعتداء على أملاك الناس يلقى جزاءً صارماً. وقد حدث ذات مرة أن كتب بعض اللصوص على باب قلعة سمرقند «نحن كالبصلة، كلما نقطع تكبر رؤوسنا»، فأمر الخان بأن يكتب تحت ذلك «وأنا كالبستاني، كلما ارتفع لكم رأس اجتثثته». وحاول الخان القبض على السراق ثم القضاء عليهم، فاحتال في ذلك واستخدم أحد كبار قطاع الطرق، لجمع عدد أكبر منهم، فتظاهر باحتياجه إليهم، فلما اجتمعوا أكرمهم في بداية أمرهم، ثم فرقهم إلى غرف مستقلة، وأمر بقتلهم واحدا تلو الآخر حتى أعدمهم جميعا[٢].

٣- احتسابهم على التجار. لم يكتف الخان بحماية مصالح الشعب الكادح ضد السرقة والاعتداء على الممتلكات فحسب، بل وقف ضد جشع التجار أيضا، ففي ذات مرة اشتكى إليه التجار من نسبة الربح الضئيلة في سلعهم، ودفعوا ألف دينار للخزينة مقابل تمرير السلطان قرار رفع الأسعار، فما كان منه إلا أن منع الناس من شراء سلعهم، فتعرض التجار خسائر فادحة، والتمسوا رفع العقوبة عنهم متعهدين بعدم رفع الأسعار على ما كانت عليه، وافق الخان على طلبهم بشرط دفع غرامة مالية، وقال في هذا الشأن: «لا يجوز أن أبيع رعيتي بألف دينار»[٣].

٤- احتسابهم على البغاة والخارجين على الدولة الإسلامية. تشكلت في عهد محمد بغراخان - سلطان ما وراء النهر - عام (٤٣٦هـ/١٠٤٤م) سرا الفرقة الإسماعيلية، ونشروا مذهبهم الباطل وتسببوا في تفرقة الناس في المجتمع، وقد بايعوا للخليفة الفاطمي ووعدوه بالاستيلاء على السلطة، فقبض عليهم بغراخان وقتلهم، ثم كَتَبَ إِلَى سَائِرِ الْبِلَادِ بِقَتْلِ مَنْ فِيهَا، فَفُعِلَ بِهِمْ مَا أَمَرَ، وَسَلِمَتْ تِلْكَ الْبِلَادُ مِنْهُمْ، وأُخمِدتْ نار الفتنة في البلاد

---

(١) الأنساب للسمعاني، ص:٤٦٤.

(٢) تركستان لبارتولد، ص:٤٦٠.

(٣) المرجع السابق، ص:٤٦٠-٤٦١.

بعد القضاء عليهم[١]. وبعد ذلك لم يسمع للشيعة أي دعوة، ولا أثر؛ لأن سلامة المجتمعات الحقيقية في سلامة المعتقد واستقامة الأفكار، وكل عقيدة فاسدة على المحتسب منعها، وإذا كان من واجب المحتسب أن يمنع الغش والتدليس في المعاملات فمن باب أولى في الديانات، وأن زجر المجرمين وتخويفهم وعقابهم يعني أمن المجتمع وسلامته، الذي هو من ثمرات تطبيق الحسبة في المجتمع، لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[٢].

٥- احتسابهم على المبتدعة الصوفية.

برز في بخارى في أوائل القرن الخامس الهجري بعض المبتدعة وأهل الإباحة، في عهد السطان أرسلان خان[٣]، وكان أرسلان خان شديد التدين، لذلك اهتم ببناء المساجد والمدارس، وكان شديد التعلق بالعلماء، حتى كان ينادي الشيخ الزاهد الحسن بن يوسف البخاري الساماني "بالوالد" احتراماً له، لهذه المكانة للشيخ عند السطان، طلب الشيخ منه طرد كل صوفي — لا يراعي قواعد الأدب - من المدينة، ففعل السلطان ذلك وطهّرَ مدينة بخارى من أهل الإباحة والبدع[٤].

---

(١) الكامل، ج٨/ص:٤٨. وينظر: شنجاكدا ئوتكه ن ئسلام خانلقلرننك قسقچه تاريخي، تأليف لي جنشن، ص:١٠٦

(٢) سورة الأنعام. الآية:٨٢.

(٣) اسمه محمد بن سليمان بن داود بن بغرا الثالث) حكم من عام (٤٩٥-٥٢٦هـ/١١٠٢-١١٣٢م). أطاحه من الحكم سنجر وعين مكانه ابنه محمود بن محمد خان، وقيل: كان ذلك عا (٥٢٤هـ/١١٣٠م). الكامل لابن الأثير، ج٩/ص:٢١. معجم الأنساب للزمباور، ص:٣١٣. ئويغور نامه، ص:٢١٥.

(٤) تركستان لبارتولد، ص:٤٦٨-٤٦٩.

المبحث الرابع: الجهاد.

مفهوم الجهاد لغة وشرعا.

أ. مفهوم الجهاد لغة:

«الْجِهَادُ: مُحَارَبَةُ الأَعداء، مشتق من (الجُهْدِ أو الجَهْدِ) بمعنى المشقة والنصب والطاقة، وقيل: الجُهْدُ: الوُسع وَالطَّاقَةُ، والجَهْدُ: الْمُبَالَغَةُ وَالْغَايَةُ، وَهُوَ الْمُبَالَغَةُ وَاسْتِفْرَاغُ مَا فِي الْوُسْعِ وَالطَّاقَةِ مِنْ قَوْلٍ أَو فِعْلٍ»[١].

ب. مفهوم الجهاد شرعا:

هو: «بذل الجهد من المسلمين في قمع أعداء الإسلام بالقتال وغيره، لإعلاء كلمة الله تعالى»[٢].

ولما كان الكثير من الناس لا ينقادون للحق بدون قوة تحملهم على ذلك، ولا ينفكون من الاعتداء على الضعفاء، ويستمرئون بتعبيد الناس لهم، ويسعون إلى إغوائهم بطرق شتى، شرع الله الجهاد في سبيله للحكم التالية:

١- تعبيد الناس لله وحده، وإخراجهم من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد، ولتكون كلمة الله هي العليا في الأرض، لقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٣]. وقوله صلى الله عليه وسلم: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»[٤]

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ج١/ص:٤٨٦-٤٨٧. لسان العرب، ج٣/ص:١٣٤-١٣٥.

(٢) فتح الباري، لابن حجر، ج٦/ص:٢. وينظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ، ج٨/ص:٥.

(٣) سورة البقرة:١٩٣.

(٤) أخرجه الشيخان، خ: كتاب الجهاد باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام والنبوة..، حديث رقم:٢٩٤٦. م: كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، حديث رقم:٢١.

٢- إنقاذ الضعفاء والمستضعفين وإزالة الفتنة عنهم، لقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾[١].

٣- حماية الدولة الإسلامية من عدوان الكفار، لذلك أمر الله بقتال أئمة الكفر، كقوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾[٢]. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بقتل رؤوس الكفرة الذين كانوا يألبون الأعداء على المسلمين ككعب بن الأشرف، وأبي رافع، وغيرهما. ومن ذلك: الأمر بحفظ الثغور، وقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك قائلا: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا..»[٣].

القيام بما سبق يفسح الطريق أمام الدعاة إلى الله، وينتشر الإسلام بين الناس في مشارق الأرض ومغاربها؛ ولأن الصراع بين الحق والباطل سنة جارية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كما يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ﴾[٤].

في هذه الآية إخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين، وأنهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم، وفيها أيضا إيذان بأن استطاعتهم على ذلك مستبعد، وأنهم لا يردونهم[٥].

وإذا نظرنا إلى نصوص الكتاب نجد أن الله يأمر بإعداد العدة لمجاهدة الكفار وإرهابهم، كقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[٦]. فلو كان الإسلام لا ينتشر إلا بالدعوة السلمية فقط لما كان لهذا الأمر

---

(١) سورة النساء:٧٥.

(٢) سورة التوبة:١٢.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الجهاد باب فضل رباط يوم في سبيل الله، حديث رقم:٢٨٩٢.

(٤) سورة البقرة. الآية:٢١٧.

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، ج١/ص:١٣٧.

(٦) سورة الأنفال. الآية:٦٠.

الإلهي أي معنى. ويوضح ذلك مواقف النبي صلى الله عليه وسلم الدعوية، حيث كان يدعو إلى الإسلام بعض الأحيان وهو شاهر سيفه، ويبعث الدعاة إلى الناس بالسلاح كي يعرف الناس من هذه العزيمة والتضحية أنهم أصحاب عقيدة وليسوا أصحاب مطامع.

ومن الأدلة على ذلك: موقفه صلى الله عليه وسلم مع أهل خيبر، وعندما أراد أن يبعث إليهم علي بن أبي طالب ﷺ لدعوتهم، بشر أصحابه بأن الله يفتح على يديه خيبر، ولما أعطاه الراية قال عَلِيٌّ ﷺ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَ اللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»(١).

فهذه دعوة إلى الله مقرونة بقوة السلاح، ولولا تأثير قوة السلاح في الدعوة إلى الله لما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك(٢).

وقال ابن القيم رحمه الله: «فَإِن الله سُبْحَانَهُ أَقَامَ دين الْإِسْلَام بِالْحجَّةِ والبرهان، وَالسيف والسنان، فكلاهما فِي نَصره أَخَوان شقيقان»(٣).

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أيضا أن الله سيدخل هذا الدين على الناس عموما إما بعز أو بذل، ولاريب أن ذلك سيكون بالجهاد؛ لأن الكفار لا يستسلمون بسهولة، ولا يُخضعهم غير القتال. عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ. وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ، يَقُولُ: قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمُ الْخَيْرُ وَالشَّرَفُ

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب غزوة خيبر، حديث رقم: ٤٢١٠.

(٢) أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه، د/ علي بن نفيع العلياني، دار طيبة للنشر والتوزيع – الرياض، ط: الثانية، عام ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص:٢٦٥-٢٦٦.

(٣) الفروسية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سسعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور بن حسن، دار الأندلس – السعودية، حائل، ط: الأولى، عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص:٨٣-٨٤.

وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ وَالصَّغَارُ وَالْجِزْيَةُ»(١).

قال الشيخ الألباني: «ومما لا شك فيه أن تحقيق هذا الانتشار يستلزم أن يعود المسلمون أقوياء في معنوياتهم وادياتهم وسلاحهم، حتى يستطيعوا أن يتغلبوا على قوى الكفر والطغيان»(٢).

وكان الأوائل خير تمثيل لهذه الحالة القوية للمسلمين، حيث جاهدوا في سبيل الله لإعلاء كلمته، وكسروا شوكة الكفر وتمكنوا من إيصال الدعوة في الآفاق، ومنهم: الدعاة القراخانيون الذين أطاحوا بالدولة البوذية وأخضعوا أتباعها، فما وهنوا في تحقيق ذلك وما استكانوا للطغاة بسبب ما نيل منهم، فصبروا على ذلك حتى انتصروا عليهم بنصر من عند الله، وصار الدين كله لله في ربوع تركستان، حيث لم يوجد ملك أو أمير في هذه الدولة إلا وقاتل لإعلاء كلمة الله، بدءاً من المؤسس ستوق بغراخان إلى آخر سلطان الدولة القراخانية السلطان عثمان، وقد استشهد أحد الأمراء في المعركة عام (٣٨٨هـ/٩٩٨م)، وهو أبو الحسن علي بن موسى(٣).

ومن أبرز القادة المجاهدين وصور جهادهم ما يلي:

١- جهادهم البوذيين، بقيادة الملك المؤسس ستوق بغراخان.

كانت الدولة القراخانية في عهدها البوذية جمعت القبائل التركية تحت حكمها بعدما تمكنت من طرد الغزاة التبتيين والقرغيز من البلاد، عام (٨٤٠م) فلما انتزع ستوق بغراخان

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ج٢٨/ص:١٥٤-١٥٥، حديث رقم:١٦٩٥٧، قال المحققون: إسناده صحيح على شرط مسلم. كذا قال الحاكم في المستدرك، ووافقه الذهبي، ج٤/ص:٤٧٧، حديث رقم:٨٣٢٦.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، مكتبة المعارف — الرياض، ط: الأولى، عام ١٤١٥هـ، ج١/ص:٣٢.

(٣) islam. Ansiklopedisi. Cilt. 6. P.253. نقلا من "القراخانيون وجهودهم في نشر الإسلام"، د/ علي بن صالح المحيميد، ص:٢٨٠.

السلطة من عمه (أوغولچاق) وأشهر إسلامه، ودعا الناس إلى الإسلام، عام (٣١٥هـ/٩٢٧م)، بدأ بعض أهالي مدن تركستان يعلنون العصيان والتمرد على الدولة، بسبب رفضهم الإسلام، مثل: مدينة ختن، وكوچا، وقاراشهر، وطورفان، حتى أسس أهل طورفان دولة "إدِنْقوتْ" البوذية، ولم يترك بغراخان لهؤلاء البوذيين المنشقين فرصة كيلا يتفاقم أمرهم، فبدأ بقتالهم في مدينة ختن لقربها من التبت والهند، حيث قبلة البوذيين ومنبع الشر، فقاتلهم قتالا شديدا، ثم حاصرهم مدة طويلة، وفي أثناء الحصار أسلم أحد زعماء القبيلة فناصر بغراخان عليهم، وتمكن بغراخان من كسر شوكة البوذيين واستسلامهم. ثم اتجه بغراخان إلى المدن الأخرى التي عصت وتمردت، وقاتل أهلها حتى أخضعهم، فمنهم من آمن ومنهم دفع الجزية عن يد وهم صاغرون[١].

٢- جهادهم كفار القراخطاي الصينيين، بقيادة الملك الزاهد طغان خان.

سيرة هذا الملك شديدة الشبه بسيرة الخليفة عمر بن عبد العزيز في الزهد والورع، أثنى عليه أصحاب السير، ومنهم: ابن خلدون، قال: «وكان من الغريب الدال على قصد إيمان طغان، أنه كان عند خروج الترك (يقصد كفار القراخطاي) إلى بلاساغون عليلا، فلمّا بلغه الخبر تضرّع لله أن يعافيه حتى ينتقم من هؤلاء الكفرة ويدفعهم عن البلاد، فاستجاب الله دعاءه.. بأنه كان دَيِّنًا فَاضِلًا، يُحِبُّ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالدِّينِ»[٢].

وكان الملك يحب السلم والمصالحة مع المسلمين ليتفرغ لقتال الكفار، لذلك كان ينكر على أخيه أيلك خان مهاجمته على أملاك السلطان محمود الغزنوي، وبعث إلى السلطان يتبرأ مما فعل أخوه، فلما عرف أخوه ذلك غضب عليه وأقدم لقتاله، فهدَّأَ الملك طغان خان غضب أخيه وصالحه. ولما تولى الملك بعد وفاة أخيه، راسل السلطان محمود وصالحه. وقال له: «اشتغل أنت بغزو الهند، وأنا أشتغل بغزو الترك» فأجابه إلى ذلك. وانقطعت الفتنة بينهما وصلحت الأحوال[٣].

---

(١) شه رقي توركستان تاريخي، ص:١٣٢-١٣٣. ئويغور يلنامسي، ص:١١١.

(٢) تاريخ ابن خلدون، ج٤/ص:٥١٥. وينظر: البداية والنهاية، ج١٥/ص:٥٧٣.

(٣) تاريخ ابن خلدون، ج٤/ص:٤٨٧.

وما أشبه قصته أيضا بقصة سعد بن معاذ الأنصاريﷺ في غزوة الخندق، لما جرح في تلك المعركة سأل الله أن يحييه إلى أن يشاهد غزوة بني قريظة، فاندمل جرحه حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل بني قريظة، وسبيهم، فانتقض جرح سعد وماتﷺ.

كذلك: أن الملك طغان خان بعدما استقر في تُرْكِسْتَانَ مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا، وَطَالَ بِهِ الْمَرَضُ، وانتهز كفار القراخطاي الصينيون مهاجمة الْبِلَادِ، فَسَارُوا إِلَيْهَا وَمَلَكُوا بَعْضَهَا وَغَنِمُوا وَسَبَوْا وَبَقِيَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَلَاسَاغُونَ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ، فَلَمَّا بَلَغَ الْخَبَرُ طغان خان، سَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُعَافِيَهُ لِيَنْتَقِمَ مِنَ الْكَفَرَةِ، وَيَحْمِيَ الْبِلَادَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَفْعَلَ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ مَا أَرَادَ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ وَشَفَاهُ، فَجَمَعَ الْعَسَاكِرَ، وَكَتَبَ إِلَى سَائِرِ بِلَادِ الْإِسْلَامِ يَسْتَنْفِرُ النَّاسَ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنَ الْمُتَطَوِّعَةِ مِائَةُ أَلْفٍ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، فَلَمَّا بَلَغَ الكفار خَبَرُ عَافِيَتِهِ وَجَمْعِهِ الْعَسَاكِرَ وَكَثْرَةِ مَنْ مَعَهُ عَادُوا إِلَى بِلَادِهِمْ، فَسَارَ خَلْفَهُمْ نَحْوَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ حَتَّى أَدْرَكَهُمْ وَهُمْ آمِنُونَ لِبُعْدِ الْمَسَافَةِ، فَكَبَسَهُمْ وَقَتَلَ مِنْهُمْ زِيَادَةً عَلَى مِائَتَيْ أَلْفِ رَجُلٍ، وَأَسَرَ نَحْوَ مِائَةِ أَلْفٍ، وَغَنِمَ مِنَ الدَّوَابِّ وَالْخَرْكَاهَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَوَانِي الذَّهَبِيَّةِ وَالْفِضِّيَّةِ وَمَعْمُولِ الصِّينِ مَا لَا عَهْدَ لِأَحَدٍ بِمِثْلِهِ، وَعَادَ إِلَى بَلَاسَاغُونَ، فَلَمَّا بَلَغَهَا، عَاوَدَهُ مَرَضُهُ فَمَاتَ مِنْهُ[١].

٣- جهادهم عامة الكفار، بقيادة الملك الداهية يوسف قدرخان.

يُعَدُّ الملك يوسف قدرخان أقوى شخصية في الدولة القراخانية، حيث استطاع - بتوفيق من الله - تحقيق ما لم يقدر عليه من سبقه، ولم يدرك شأوه مَنْ بعده، من خدمة الدين والجهاد وتوحيد الصفوف بين المسلمين، وبالأخص توحيد صفوف الأسرة المالكة، جهاده كان فتحا، وحياته كان سدا منيعا للفتن والتفكك، وبعد وفاته حصل ما لا يحمد عقباه. لذلك يصفه المؤرخون بأنه قائد التركستان وخانها العظيم[٢].

وَكَانَ رحمه الله يُدِيمُ الصَّلَاةَ فِي الْجَمَاعَةِ، عَادِلًا، حَسَنَ السِّيرَةِ، كَثِيرَ الْجِهَادِ، فَمِنْ فُتُوحِهِ خُتَنُ.. وَهِيَ مدينة كَثِيرَةُ الْعُلَمَاءِ وَالْفُضَلَاءِ[٣].

---

(١) المختصر في أخبار البشر، ج٢/ص:١٥٠. الكامل، ج٧/ص:٦٤٢.

(٢) زين الأخبار للكرديزي، ص:٢٥٦.

(٣) الكامل، ج٧/ص:٦٤٣.

وقد وطد أركان الدولة وثبت الأمن فيها، وقضى على المعارضين من داخل الأسرة المالكة وخارجها، وهذا ما جعله يتفرغ للجهاد، وَحَسَّنَ علاقته مع الدول المجاورة وأنهى الخلاف، ومن أجل جهوده الباهرة في خدمة الدين سمي ملك المشرق[١].

٤- قتالهم البغاة والخوارج، بقيادة الملك قلج طمغاج خان مسعود[٢].

شهدت منطقة ما وراء النهر حروب وغزوات من قبل كفار القراخطاي وغيرهم من المخربين، حتى اعتلى العرش الملك قلج طمغاج خان، عام (٥٥٨هـ/١١٦٣م)، وأعاد بناء سور بخارى على أساس من الآجر بقصد حماية البلاد، كما أعاد جدار قلعة بخارى وأبراجها التي هدمها الثائرون، وحدث في عهد الملك ثورة "عيار بك" وهو رجل وضيع النسب ولكنه بلغ أعلى المراتب في الدولة بحسن رأيه واجتهاده في سياسة الدولة، من ذلك: توليه إمارة "الجند"[٣] بما وراء النهر لمدة سنة، ولكنه لم يلبث لسبب ما أن أعلن العصيان والتمرد على الخان، ووقعت بينه وبين الخان معركة في مفازة الجوع، واخترق عيار بك صفوف عسكر الخان ليصل إليه ويقتله، لكنه سقط أسيرا واقتيد إلى الخان، فضربت هامته أمام الخان، وانتهت ثورة البغاة. ثم حدثت ثورة أخرى على الخان بقيادة المبير "طغمتين" وكان من أراذل الخلق، عبر الخان لقتاله نهر أمورديا شتاءاً بمائة ألف مقاتل، وقاتله حتى قضى على ثورته، وعاد السلام والأمن في المنطقة بفضل من الله ثم بفضل مجهودات الملك قلج طمغاج خان[٤].

---

(١) تاريخمسزدبكي خاقانلا، نور الله مؤمن، ص:١٨٢-١٨٣.

(٢) هو أبو الْمَعَالِي الْحَسَنَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْمَعْرُوفُ بِحَسَنْ تِكِينُ، لَمْ تَطُلْ أَيَّامُهُ في الملك، وَكَانَ مُدَّةَ مُلْكِهِ مُسْتَضْعَفًا غَيْرَ مَهِيبٍ. قيل: قتله الأتراك القارغلية، حسب رواية ابن الأثير. وقيل: اغتالته الأتراك القارلوق عندما كان الخان يحاربهم، بعد عام (٥٦٠هـ/١١٦٥م) حسب رواية بارتولد. وبعد موته أَقَامَ سَنْجَرُ مَقَامَهُ الْمَلِكَ مَحْمُودَ بْنَ أَرْسِلَانْ. الكامل لابن الأثير، ج٩/ص:١١٧. تركستان، ص:٤٨٧.

(٣) مدينة عظيمة في بلاد تركستان، مما وراء النهر قريب من نهر سيحون، وأهلها مسلمون ينتحلون مذهب أبي حنيفة، بينها وبين خوارزم عشرة أيام. معجم البلدان، ج٢/ص:١٦٨.

(٤) تركستان لبارتولد، ص:٤٨٧.

٥- قتالهم كفار الصين، بقيادة الملك أحمد بن الحسن[١]، والملك محمود خان[٢].

وَصَلَ الْأَعْوَرُ الصِّينِيُّ إِلَى حُدُودِ كَاشْغَرَ عام (٥٢٢هـ/١١٢٨م) فِي عَدَدٍ كَثِيرٍ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ، فَاسْتَعَدَّ لَهُ صَاحِبُ كَاشْغَرَ وَهُوَ الْخَانْ أحمد بن الحسن، وَجَمَعَ جُنُودَهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ، وَالْتَقَوْا فَاقْتَتَلُوا، وَانْهَزَمَ الْأَعْوَرُ الصِّينِيُّ، وَقُتِلَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ مَاتَ فَقَامَ مَقَامَهُ كُوخَانْ الصِّينِيُّ. وانضاف معه طوائف الخطا الذين كانوا خرجوا من الصين سابقا للعمل عند الخاقان. وزحفوا مع كوخان إلى بلاد تركستان مرة أخرى فملكوها بلدا بلدا.. ثم ساروا إلى بلاد ما رواء النهر سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة. ولقيهم محمود خان بن أرسلان خان فهزموه إلى سمرقند وبخارى، واستنجد محمود خان بالسلطان سنجر ودعاه لنصر المسلمين، فجمع سنجر العساكر واستنجد صاحب سجستان وصاحب غزنة، وملوك ما وراء النهر وغيرهم. ومع كوخان أمم من الكفار من الترك القارغلية والخطا الصيني، واستمرت الحرب بينهم إلى سنة (٥٣٦هـ) وانهزم السلطان سنجر والمسلمون، واستمرّ القتل فيهم. وأسر صاحب سجستان والأمير قماج وزوجة السلطان ابنة أرسلان خان محمد. ثم أطلق الكفّار سراحهم. ولم يكن في الإسلام وقعة أعظم من هذه ولا أفحش قتلا[٣].

تحملوا كل ذلك لإعلاء كلمة الله والدفاع عن دينه لإيمانهم بما عند الله من الجزاء لمن يقاتل في سبيله. ولسان حالهم يقول:

هو الموت فاختر ما علا لك ذكره فلم يمت الإنسان ما حيي الذكرُ

---

(١) هو أحمد بن الحسن بن سليمان بن يوسف قدرخان، تولى الحكم بعد وفاة والده عام (٤٩٦هـ/١١٠٣م)، وشهد عصره حروبا عدة مع كفار القراخطاي وانتصر عليهم في أغلبها، واستمر حكمه إلى أن توفي عام (٥٢٣هـ/١١٢٩م)، وهو يحارب القراخطاي. ئويغور نامه، ص:٢١٥. الكامل لابن الأثير، ج٩/ ص:١١٧.

(٢) هو محمود خان بن مُحَمَّدَ أرسلان خان بن سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ بَغْرَاخَانْ، ولقبه ركن الدين، حكم سمرقند من عام (٥٢٦هـ/١١٣٢م) إلى عام (٥٣٦هـ/١١٤١م)، وكانت إمارته تابعة للسلاجقة. معجم الأنساب للزمباور، ص:٣١٣. الكامل، ج٩/ ص:١١٧. ئويغور نامه، ص:٢١٥.

(٣) الكامل، ج٩/ ص:١١٧. تاريخ ابن خلدون، ج٤/ ص:٥٢١-٥٢٢.

ونحـــن أناس، لا توســط عنــدنا لنــا الصــدر دون العــالمين أو القــبرُ
تهــون علينــا في المعــالي نفوســنا ومـن خطـب الحسناء لم يَغْلِهـا المهـرُ[(١)]

وقولهم: أيضا.

فــإن تكــن الــدنيا تعــدُّ نفيســة فــإنَّ ثــواب الله أعلــى وأنبــلُ
وإنْ تَكُــنِ الأَمْــوَالُ للــتَّرْكِ جَمْعُهــا فمــا بال مــتروكٍ بــه الحــر يبخــلُ
وإنْ تَكُــنِ الأَبْــدَانُ لِلْمَــوْتِ أُنْشِــئَتْ فقتــل امــريءِ لله بالســيف أفضــلُ[(٢)]

بهذه العزيمة والحماسة الفائقة في الدفاع عن الدين، حافظوا على الإسلام في منطقة تركستان، واستمر جهادهم حتى مع آخر سلطانهم عثمان إلى آخر رمق من عهده. حيث واصل السلطان عثمان بن إبراهيم بن قلج طمغاج خان، جهاده ضد كفار القراخطاي الصينيين رغم ضعف سلطانه، وجَرَى بينه وبَيْنَهُمْ وَقْعَاتٌ كَثِيرَةٌ وَمُغَاوَرَاتٌ، فَتَارَةً لَهُ وَتَارَةً عَلَيْهِ. حتى استطاع على إخراجهم من البلاد بمساعدة علاء الدين محمد بن خوارزم شاه، وذلك سنة (٦٠٦هـ/١٢٠٩م)[(٣)].

وبقيت البلاد بضع سنوات آمنة مطمئنة، إلى أن قُتِلَ الملك عثمان بن إبراهيم (٦٠٩هـ/١٢١٢م)، ثم تعرضت البلاد للغزو من قبل جنود جنكيزخان، ووقع في البلاد هدم وتخريب ليس للإسلام والمسلمين فحسب بل للإنسانية أجمع.

قال ابن الأثير: عن بشاعة هذه الحادثة «لَقَدْ بَقِيتُ عِدَّةَ سِنِينَ مُعْرِضًا عَنْ ذِكْرِ هَذِهِ الْحَادِثَةِ اسْتِعْظَامًا لَهَا، كَارِهًا لِذِكْرِهَا، فَأَنَا أُقَدِّمُ إِلَيْهِ رِجْلًا وَأُؤَخِّرُ أُخْرَى، فَمَنِ الَّذِي يَسْهُلُ عَلَيْهِ أَنْ يَكْتُبَ نَعْيَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ؟ وَمَنِ الَّذِي يَهُونُ عَلَيْهِ.. فَإِنَّ قَوْمًا خَرَجُوا مِنْ

---

(١) ديوان أبي فراس الحمداني، شرح الدكتور خليل الدويهي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثانية، عام ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص:١٦٥.

(٢) ديوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار ابن زيدون – القاهرة بدون تاريخ، ص:٢٦١.

(٣) الكامل، ج١٠/ص:٢٥٢-٢٥٥. تاريخ ابن خلدون، ج٥/ص:٧٧. تاريخ الإسلام للذهبي، ج٢٦/ص:٤٤٩.

أَطْرَافِ الصِّينِ، فَقَصَدُوا بِلَادَ تُرْكِسْتَانَ مِثْلَ كَاشْغَرَ وَبلَاسَاغُونَ، ثُمَّ مِنْهَا إِلَى بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهَرِ، مِثْلَ سَمَرْقَنْدَ وَبُخَارَى وَغَيْرِهِمَا، فَيَمْلِكُونَهَا.. ويَفْرَغُونَ مِنْهَا مُلْكًا، وَتَخْرِيبًا، وَقَتْلًا وَنَهْبًا، وَيَقْتُلُونَ أَكْثَرَ أَهْلِهَا، وَلَمْ يَنْجُ إِلَّا الشَّرِيدُ النَّادِرُ فِي أَقَلَّ مِنْ سَنَةٍ، هَذَا مَا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ»[(١)].

وأضاف ابن كثير رحمه الله على ذلك بأن التتار «قَصَدَت.. بُخَارَى وَبِهَا عِشْرُونَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، فَحَاصَرَهَا جِنْكِزْخَانُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَطَلَبَ مِنْهُ أَهْلُهَا الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُمْ، وَدَخَلَهَا فَأَحْسَنَ السِّيرَةَ فِيهِمْ مَكْرًا وَخَدِيعَةً، وَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِ الْقَلْعَةُ، فَحَاصَرَهَا وَاسْتَعْمَلَ أَهْلَ الْبَلَدِ فِي طَمِّ خَنْدَقِهَا.. فَفَتَحَهَا قَسْرًا فِي عَشَرَةِ أَيَّامٍ، فَقَتَلَ مَنْ كَانَ بِهَا، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْبَلَدِ فَاصْطَفَى أَمْوَالَ تُجَّارِهَا، وَأَبَاحَهَا لِجُنْدِهِ، فَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَا خَلْقًا لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ﷻ، وَأَسَرُوا الذُّرِّيَّةَ وَالنِّسَاءَ، وَفَعَلُوا مَعَهُنَّ الْفَوَاحِشَ بِحَضْرَةِ أَهْلِيهِنَّ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ قَاتَلَ دُونَ حَرِيمِهِ حَتَّى قُتِلَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُسِرَ فَعُذِّبَ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ، وَكَثُرَ الْبُكَاءُ وَالضَّجِيجُ بِالْبَلَدِ، ثُمَّ أَلْقَتِ التَّتَارُ النَّارَ فِي دُورِ بُخَارَى وَمَدَارِسِهَا وَمَسَاجِدِهَا، فَاحْتَرَقَتْ حَتَّى صَارَتْ بِلَاقِعَ خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا»[(٢)].

وكانت أبنية بخارى أغلبها من الخشب، فلم تمض أيام قليلة حتى تحولت كلها إلى رماد، إلا بعض المساجد والقصور المبنية بالحجارة ظلت قائمة بين خرابها، وانقلبت بخارى المدينة العامرة إلى كومة من الأطلال على زرفشان عام (٦١٧هـ)[(٣)].

والقراخانيون كانوا حصنا منيعا للإسلام وأهله، وبعد ذهابهم من سدة الحكم حل في البلاد ما ذكر مما تقشعر له الأبدان، لمثل ذلك يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان.

---

(١) الكامل، ج١٠/ص:٣٣٣-٣٣٤، باختصار.

(٢) البداية والنهاية، ج١٧/ص:٨٠.

(٣) تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، أرمينيوس فامبري، ترجمة وتعليق: د/ أحمد محمود الساداتي، مكتبة نهضة الشرق – القاهرة، بدون تاريخ، ص:١٧٠-١٧١.

الفصل السادس

معوقات الدعوة في عهد الدولة القراخانية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الجهل واتباع البدع والأهواء.

المبحث الثاني: الصراع الداخلي في الدولة.

المبحث الثالث: المؤامرات الخارجية على الدولة.

المبحث الأول: الجهل واتباع البدع والأهواء.

مفهوم المعوقات أو العوائق لغة واصطلاحا:

أ. مفهومها لغة:

«المعوِّقة هي: الحبس، مِنْ عاقَهُ عَنِ الشَّيْءِ يَعُوقه عَوْقاً: صَرَفَهُ وَحَبَسَهُ وثَبَّطَهُ، وَمِنْهُ التَّعْويقُ والاعْتِياق والتعوُّق. والتَّعْويقُ: تَرْبيث النَّاسِ عَنِ الْخَيْرِ. والعوق الأمر الشاغل الذي يُشْغِلُ صَاحِبَهُ عَنْ وَجْهِهِ. وعوائق الدهر: الشواغل من أحداثه، المعَوِّقون: قَوْمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا يُثَبِّطون أَنصار النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وفي التنزيل: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ..﴾[1]. والعَيُّوقُ: كَوْكَبٌ أَحمر.. سُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنه يَعُوق الدَّبَران عَنْ لِقَاءِ الثُّرَيّا»[2].

ب. مفهومها اصطلاحا:

لم أجد في التعريف الاصطلاحي للمعوقات تعريفا مقنعا للعلماء حسب جهدي، وبالاطلاع على كلام أهل العلم حولها، بدا لي أن تعرف المعوقات "بأنها الشواغل والصوارف والمثبطات التي تحول دون تحقيق الهدف الدعوي"[3].

فطريق الدعوة طريق واضحة المعالم مستقيمة الوجهة، إلا أنه تتخللها وتكتنفها الكثير من المعوقات والعقبات التي تعترض كل سالك فيه، فتعوقه وتثبطه وتوهن من عزيمته، وتنقص من جهده وإنتاجه الدعوي، وربما أقعدته عن السير في الدرب. فالواجب على الداعية النظر في منهج النبي صلى الله عليه وسلم واقتفاء أثره في معالجة المعوقات، كي يُوفق لمعالجتها والقضاء عليها، ثم الاستمرار في دعوته. حيث إنه لتحقيق الهدف الدعوي لا يكفي تحقيق موجباته، بل لا بد من انتفاء المعوقات التي تعترض طريقه؛ لأن معرفة العوائق وإزالتها أولاً بأول يوفر على العاملين في الحقل الدعوي الجهد والوقت. وقد يكون الداعية سببا في إعاقة الدعوة من خلال وقوعه في جملة من المعوقات، سواء العقدية أو العملية أو العلمية أو

---

(١) سورة الأحزاب. الآية:١٨.

(٢) لسان العرب، ج١٠/ص:٢٧٩-٢٨٠. الدبران: (في علم الفلك) خمسة كواكب من الثور، يقال: إنها سنامه وهو من منازل القمر، وقيل: نجم بين الثريا والجوزاء. المعجم الوسيط، ج١/ص:٢٦٩.

(٣) تعريف الطالب الباحث.

الأخلاقية أو الاجتماعية، دون أن تكون تلك المعوقات مجتمعة فيه في آن واحد.

ومن أهم معوقات الدعوة التي ثبطت جهود السابقين وقوضت آمال اللاحقين من الدعاة إلى الله في الدولة القراخانية، ما يلي:

أولا: الجهل.

الجهل أعدى أعداء الإنسان، وداء عظيم، وشر مستطير، وما من صفة تزري بالإنسان كصفة الجهل، والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به، بل هو أساس الشر وجماعه، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وَجِمَاعُ الشَّرِّ الْجَهْلُ وَالظُّلْمُ»[١].

مفهوم الجهل لغة واصطلاحا:

أ. مفهوم الجهل لغة:

«الجهل في اللغة: نقيض العِلْم تقول: جَهِلَ فلانٌ حقّه، وجَهِلَ عليّ، وجهل بهذا الأمر. والجَهالةُ: أن تفعلَ فِعلاً بغير عِلْمٍ. والجاهلّيةُ الجَهْلاء: زمانُ الفترةِ قبلَ الإسلام»[٢].

ب. مفهوم الجهل اصطلاحا:

وفي الاصطلاح: قال الجرجاني: «هو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه، ويكون بسيطاً، أو مركباً. والجهل البسيط: هو عدم العلم عما من شأنه أن يكون عالماً، أما الجهل المركب: فهو عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع»[٣].

وقال ابن القيم: هو «عَدَمُ الْعِلْمِ بِالْحَقِّ النَّافِعِ»[٤]. وقد أتى الجهل في القرآن الكريم على عدة معاني: وعلى هذا قسم الراغب الأصبهاني الجهل إلى ثلاثة أضرب[٥] وهي:

١- الجهل بمعنى خلو النفس من العلم، كقول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ

---

(١) مجموع الفتاوى، ج٣/ص:٣٤٨.

(٢) معجم العين للخليل، ج٣/ص:٣٩٠.

(٣) التعريفات للجرجاني، ص:٨٠.

(٤) مدارج السالكين لابن القيم، ج١/ص:٤٦٧.

(٥) المفردات للراغب الأصبهاني، ص:٢٠٩.

فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[1].

٢- الجهل بمعنى اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه، كقوله تعالى ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾[2].

٣- الجهل بمعنى فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، كقول الله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾[3].

الجهالة دائما تعقب الندامة، لما فيها الإقدام على شيء دون علم وتريث، لذلك الجاهل لا يضع الشيء في محله، ولا يعالج الأمور بالتأني والروية، ولا بالحكمة والبصيرة، وإنما يسعى إلى التغيير بحماقته، ولكنه سرعان ما يقع في الخطأ والتردي والسقوط. فإذا حلَّ الجهل في أمة من الأمم، لا يكون مصيرها إلاَّ الهلاك والبوار، لذلك جاء التحذير منه في الكتاب والسنة، وعلى ألسنة العلماء الربانيين، وذلك كما يلي:

أ. ما جاء في القرآن الكريم.

قال الله ﷻ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾[4]. وقوله ﷻ ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾[5]؛ لأن الجهل لم يأت إلا مقرونا بمعاصي منكرة، كقوله ﷻ: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾[6]. وقوله ﷻ: ﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾[7].

---

(١) سورة الحجرات. الآية:٦.

(٢) سورة الزمر. الآية:٦٤.

(٣) سورة البقرة. الآية:٦٧.

(٤) سورة الأنعام. الآية:٣٥.

(٥) سورة هود. الآية:٤٦.

(٦) سورة الأعراف. الآية:١٣٨.

(٧) سورة النمل. الآية:٥٥.

ب.ما جاء في الحديث النبوي الشريف.

أما التحذير النبوي فيه، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[1]. وقوله صلى الله عليه وسلم لأبي ذرﷺ «يَا أَبَا ذَرٍّ.. إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ..»[2].

ج. أقوال العلماء في ذم الجهل.

عَنْ سُفْيَانَ رحمه الله قَالَ: «كَانَ يُقَالُ: تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الْعَابِدِ الْجَاهِلِ، وَفِتْنَةِ الْعَالِمِ الْفَاجِرِ، فَإِنَّ فِتْنَتَهُمَا فِتْنَةُ كُلِّ مَفْتُونٍ»[3].

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ لِابْنِهِ: احْذَرْ مَشُورَةَ الْجَاهِلِ وَإِنْ كَانَ نَاصِحًا كَمَا تَحْذَرُ عَدَاوَةَ الْعَاقِلِ، إذَا كَانَ عَدُوًّا فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يُوَرِّطَك بِمَشُورَتِهِ، فَيَسْبِقَ إلَيْك مَكْرُ الْعَاقِلِ وَتَوْرِيطُ الْجَاهِلِ[4].

ومن صور الجهل الذي حدث عند القراخانيين وعوّقَ انتشار الدعوة مدةً من الزمن، ما يلي:

١- مطالبة بعض الناس الحاكم بالاستقالة.

وذلك لما وُلِّيَ طفغاج خان أَبُو الْمُظَفَّرِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ نَصْرٍ أَيْلَكَ إمارة سَمَرْقَنْدُ وَفَرْغَانَةُ بعد وفاة والده، وَرَدَ عَلَيْهِ أَبُو شُجَاعٍ الْعَلَوِيُّ الْوَاعِظُ يوما.. وَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ لَا تَصْلُحُ لِلْمُلْكِ. فَأَغْلَقَ طُفْغَاجُ بَابَهُ، وَعَزَمَ عَلَى تَرْكِ الْمُلْكِ، لكنه تراجع لا حقا عن قراره وفتح بابه

---

(١) أخرجه البخاري كتاب العلم باب كيف يقبض العلم، حديث رقم:١٠٠.

(٢) أخرجه البخاري كتاب باب: المعاصي من الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، حديث رقم:٣٠.

(٣) شعب الإيمان للبيهقي، ج٣/ص:٣١٤.

(٤) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي، دار مكتبة الحياة، عام ١٩٨٦، ص:٣٠١.

للمسلمين، لما رأى إصرار الناس مؤكدين عليه بأن القيام بأمورهم متعين عليه دون غيره، واعتذارهم له عما بدر من الواعظ من الخطأ. وكان طفغاج خان مُتَدَيِّنًا لَا يَأْخُذُ مَالًا حَتَّى يَسْتَفْتِيَ الْفُقَهَاءَ(١).

وينسب لطفغاج خان الكثير من الجهود في تأديب الأوباش، وإقامة الحدود على الجناة، ودعمه اللامحدود للعلماء والدعاة، في سبيل نشر العلم والدعوة الإسلامية، وتنحيته عن المنصب آنذاك، كان يسبب ثغرة في الدولة فضلا عن انكماش الدعوة الإسلامية فيها، وقد حدث ذلك بعد وفاته في عهد ولده. وقد أدرك الدعاة ذلك فنصحوه للتراجع فتراجع.

فالشريعَة: هيَ المحجة التي جَاءَ بهَا رَسُول الله صلى الله عليه وسلم، وسنّها وَأوجب اتباعها وصونها.. والخَير كُلُّه في اتباعها، والشر كُلُّه في ضياعها، وَقد جعل الله لَهَا حماة يُقيمُونَ منارها، وحَمَلَة يحفظون شعارها، فحماتها: الملُوك والأمراء(٢). وحملتها العلماء والدعاة.

لَوْلَا الْوُلَاةُ لَكَان الناس فَوْضَى مُهْمَلِينَ، وَهَمَجًا مُضَاعِينَ، لذلك وضعت الْإِمَامَةُ لِخِلَافَةِ النُّبُوَّةِ فِي حِرَاسَةِ الدِّينِ وَسِيَاسَةِ الدُّنْيَا(٣)، كما قال الشاعر:

لا يَصلُحُ الناسُ فَوضى لا سَراةَ لَهُم ... وَلا سَراةَ إِذا جُهّالُهُم سادوا
تُلفى الأُمورُ بِأَهلِ الرُشدِ ما صَلَحَت ... فَإِن تَوَلَّوا فَبِالأَشرارِ تَنقادُ
إِذا تَوَلّى سَراةُ القَومِ أَمرَهُمُ ... نَما عَلى ذاك أَمرُ القَومِ فَازدادوا(٤)

كان الواجب على الواعظ أن يصبر إذا رأى من الأمير ما ينكره، بدل المطالبة بالاستقالة، عملا بوصية المصطفى صلى الله عليه وسلم، «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ

---

(١) الكامل، ج٧/ص:٦٤٤-٦٤٥.
(٢) غياث الأمم، ص:١٧٧، وما بعدها.
(٣) الأحكام السلطانية للماوردي، ص:١٥.
(٤) ديوان الشاعر الجاهلي صلاءة بن بن عمور بن مالك اليمني المعروف ب"الأفوه الأودي"، شرح وتحقيق: د/ محمد ألتونجي، دار صادر – بيروت، ط: الأولى، ١٩٩٨م، ص:٦٦.

فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[١].

أدى غلو الواعظ في التبتل إلى الرهبانية، ظنا منه أن ذلك من الزهد، حتى حث الأمير إلى ترك رعاية البلاد جهلا لأهمية الولاية، وذلك ليس من الزهد في شيء بل هو إفراط، كما قيل:

فليس الزهد في الدنيا خمولا — لأنت بها الأمير إذا زهدتا

ولو فوق الأمير تكون فيها — سموا وافتخارا كنت أنتا[٢]

وقيل: أيضا

الله يدفعُ بالسلطان معضلة — عن ديننا رحمة منه ورضوانًا

لولا الأئمّة لم تأمن لنا سبل — وكان أضعفنا نهبا لأقوانا[٣]

فالزاهد الحق هو من سلك مسلك النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولو كانت ولاية أمور المسلمين تخالف الورع في الدين والزهد فيه، لما أقدم عليها النبي صلى الله عليه وسلم ثم الخلفاء من بعده، وإنما هو شيء نسبي يرجع إلى شخص الوالي. والله أعلم.

٢- سعي بعض الناس على استيلاء مقاليد الحكم جهلا بمكانة الولاية.

لما عهد عماد الدولة بالملك بعده لولده شمس الملك، خرج عليه أَخُوهُ طغان خان بْنُ طُفْغَاجَ، وَحاصَرَهُ بِسَمَرْقَنْدَ، فأفسد على الناس حياتهم، وأضرهم في ممتلكاتهم، فضلا عن نشر الخوف والرعب بينهم، فلما طال ذلك اجْتَمَعَ أَهْلُ البلد إِلَى شمس الملك، وشكوا إليه ما فعله أخوه، فَوَعَدَهُمُ الْمُنَاجَزَةَ، وَخَرَجَ مِنَ الْبَلَدِ نِصْفَ اللَّيْلِ فِي خَمْسِمِائَةِ غُلَامٍ مُعَدِّينَ، وَكَبَسَ أَخَاهُ، وَهُوَ غَيْرُ مُحْتَاطٍ، فَظَفِرَ بِهِ، فَهَزَمَهُ[٤].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وسلم سترون بعدي أمورا تنكرونها، حديث رقم:٧٠٥٤.

(٢) ديوان أبي إسحاق الألبيري الأندلسي، تحقيق: د/ محمد رضوان الداية، دار الفكر – دمشق، ط: الأولى، عام ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص:٣٥.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ج١٢/ص:٢٤١.

(٤) الكامل لابن الأثير، ج٧/ص:٦٤٥.

من هدى الإِسلام أَن طالب الولاية والإمارة لأجل الجاه والثروة لَا يُوَلّى فقد قَالَ النَّبِي صلى الله عليه وسلم: لِرجلَيْنِ طلبا أَن يؤمرهما «لَنْ، أَوْ لا نَسْتَعْمِلُ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ»(١).

وَفِي رِوَايَة «إِنَّا لاَ نُوَلِّي هَذَا مَنْ سَأَلَهُ، وَلاَ مَنْ حَرَصَ عَلَيْهِ»(٢). وسبب هذا المنع القطعِي المؤكد بالقسم أَن طلاب الولايات لا سِيما أَعلاها وهي الإِمامة والحريصون عَلَيْهَا، هم محبو السلطة للعظمة والتمتع والتحكم فِي النَّاس، ومن هذا شأنه لا يستحق أن يلي من أمور المسلمين شيئا؛ لأنه جاهل. حيث لا يُسعى لإقالة الإمام المعَيَّن إلا عند الضرورة، وقد بينها العلماء ذلك في كتبهم، قَالَ الْمَاوَرْدِيّ رحمه الله: «وَإِذا قَامَ الإِمَام بِمَا ذَكرْنَاهُ من حُقُوق الْأمة فقد أدّى حق الله تَعَالَى فِيمَا لَهُم وَعَلَيْهِم وَوَجَب لَهُ عَلَيْهِم حقان: الطَّاعَة والنصرة، ما لم يتَغَيَّر حَاله، وَالَّذِي يتَغَيَّر بِهِ حَاله فَيخرج بِهِ عَن الْإِمَامَة شَيْئَانِ أَحدهمَا جرح فِي عَدَالَته وَالثَّانِي نقص فِي بدنه»(٣).

وإذا أقامت الجماعة في مصرٍ من أمصار المسلمين إمامًا لأنفسهم واجتمعوا عليه ورضوه، فإن كل من خلفهم وأمامهم من المسلمين في الآفاق يلزمهم الدخولُ في طاعة ذلك الإمام إذا لم يكن معلنًا بالفسق والفساد، ومعروفًا بذلك، ولا يسع أحدًا التخلّفُ عنها، لما في إقامة إمامين من اختلاف الكلمة وفساد ذات البين(٤).

كما أن الشريعة جعلت القتلَ عقوبةً لمن أقدم على منازعة الإمام وسعى إلى تفريق الجماعة، وهذا يدل على أهمية وجود الإمام الواحد في تحقيق الوحدة، كما قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ

---

(١) أخرجه الشيخان. خ: كتاب الإجارة باب استئجار الرجل الصالح، حديث رقم:٢٢٦١، م: كتاب الإمارة باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها، حديث رقم:١٧٣٣.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الأحكام باب ما يكره من الحرص على الإمارة، حديث رقم:٧١٤٩.

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي، ص:٤٢.

(٤) التمهيد لابن عبد البر، ج٢١/ص:٢٧٨.

جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ»[1].

لقد أدت منازعة طغان خان أخاه شمس الملك الإمارة إلى اضطراب الأوضاع في البلاد، وهذا ما أدى إلى إعاقة نشر الدعوة حينا من الزمن، إلى أن تغلب شمس الملك على طغان خان، حتى خمدت نار الثورة والفتنة، واستتب الأمن في البلد بعد مبايعة أهلها إماما واحدا، ثم رجعت الأمور إلى سيرتها الأولى، وبدأ نشاط نشر الإسلام.

٣- إقدام بعض الحكام على قتل بعض العلماء.

حيث أُعدمَ في عهد الملك شمس الملك في بلاد ماوراء النهر، الإمام أبو إبراهيم بن إسماعيل بن أبي نصر الصفار ببخارى، بسبب بعض الخلاف الواقع بين الإمام وبين الملك، مع أن الملك يمد يد العون للعلماء في نشر العلم والدعوة الإسلامية، وكان الإمام من خير ة العلماء في عصره، كما قال السمعاني: «كان إماماً فاضلاً، قوالاً بالحق، لا يخاف في الله لومة لائم، قتله الخاقان نصر بن إبراهيم المعروف بشمس الملك ببخارى صبراً لأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وكان قتله في سنة إحدى وستين وأربعمائة»[2].

كما قُتِلَ في عهد الملك أحمد بن خضر خان، الوزير أبو أحمد نصر بن سليمان الكاساني الذي كان قاضيا للقضاة في زمن الخاقان أبي شجاع الخضر بن إبراهيم أخي شمس الملك، وكان أحمد خان شاباً ظالماً لم يكن محمود السيرة في ولايته، وإنما أقدمه على ذلك جهله وضعف حنكته في السياسة[3].

وهذا ما أورث ثغرة في الدعوة إلى الله وعوق انتشارها، وإن كان هناك العديد من العلماء قائمون على خدمة الدين بالدعوة والتدريس، لكن لكل أحد دور وميزة لا يمكن لآخر أن يسد مقامه كما هو. ولكن تم التغلب على تلك المعوقات بعدم تكرار تلك النكبة بعد ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإمارة باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، حديث رقم:١٨٥٢.

(٢) الأنساب للسمعاني، ج٨/ص:٣١٨.

(٣) المرجع السابق، ج١١/ص:١٨.

ثانيا: اتباع الهوى.

إن اتباع الهوى خلاف مقصود الشرع؛ لأن المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه، حتى يكون عبدا لله اختيارا، وما جاء الهوى في الكتاب والسنة إلا مذموما، كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[(١)]. وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[(٢)].

وإنما جاء مذموما لكون المطيع هواه وشهوته لا يقف فيه حد المنتفع به، وأيضا لكثرة ما يستعمل الهوى في الحب المذموم، وعلى هذا عرفه الجرجاني «بأنه ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع»[(٣)].

ولا ينبغي ذم الهوى مطلقا، إذ هو في الأصل ميل النفس إلى ما تهواه، فإن مالت إلى ما يخالف الشرع فهو الهوى المذموم، وإن مالت إلى ما يوافق الشرع فهو الممدوح، وإذا ذكر مطلقًا أو ذكر ذمه فإنما يراد به الهوى المذموم لأنه الغالب. وعلى هذا عرفه ابن الجوزي بأنه «مَيْلُ الطَّبْعِ إِلَى مَا يُلائِمُهُ» ثم علل بأن هَذَا الْمَيْل قَدْ خُلِقَ فِي الإِنْسَانِ لِضَرُورَةِ بَقَائِهِ فَإِنَّهُ لَوْلا مَيْلُهُ إِلَى الْمَطْعَمِ مَا أَكَلَ، وَإِلَى الْمَشْرَبِ مَا شَرِبَ، وَإِلَى الْمَنْكَحِ مَا نَكَحَ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا يشتهيه. فَلا يَصْلُحُ ذَمُّ الْهَوَى عَلَى الإِطْلاقِ، وَإِنَّمَا يُذَمُّ الْمُفْرَطُ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ مَا يَزِيدُ عَلَى جَلْبِ الْمَصَالِحِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ[(٤)].

ورغم اتصاف معظم ملوك وأمراء الدولة القراخانية بالتدين والتمسك بأهداب الشريعة، إلا أنه وجد هناك بعض الحالات الشاذة من بعض الأمراء، لقلة علمهم بالشرع وضعف حنكتهم في السياسة، ما أدى إلى صدور الأفعال الطائشة منهم في حق الرعية، لهوى في

---

(١) سورة النازعات. الآية: ٤٠-٤١.

(٢) سورة الجاثية. الآية:٢٣.

(٣) التعريفات للجرجاني، ص:٢٥٧.

(٤) ذم الهوى، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق وتعليق: خالد عبد اللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨، ص:٣٥.

النفس، مثل: أحمد خان بن خضر خان، قيل عنه: «كَانَ صَبِيًّا ظَالِمًا، قَبِيحَ السِّيرَةِ، ومن اتباعه الهوى النفسي: أنه كان يُكْثِرُ مُصَادَرَةَ الرَّعِيَّةِ، حتى نَفَرُوا مِنْهُ، واستنجدوا بالسلطان ملكشاه لإطاحته من سدة الحكم، وأظهروا له الولاء إذا يملك البلاد، واتجه السلطان ملكشاه إلى سمرقند لغرض الاستيلاء، وقاومه أحمد خان واقتتل الطرفان، حتى انهزم أحمد خان ووقع أسيرا عند ملكشاه، ثم أَطْلَقَ السُّلْطَانُ سراحه وَأَرْسَلَهُ إِلَى أَصْبَهَانَ»[١].

حيث لم ينته الأمر بطرده من السلطة فحسب، بل نفاه ملكشاه إلى أصبهان. وهذه الأوضاع والاضطرابات أشغلت البال، وتسببت في تعويق نشاط الدعوة للعماء. واتباع الهوى إذاً سبب كل بلية، لذلك برَّأَ الله نبيه صلى الله عليه وسلم عنه في محكم تنزيله قائلا: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٌ يُوحَىٰ﴾[٢].

فَالضَّالُّ هُوَ الَّذِي لَا يَعْلَمُ الْحَقَّ، وَالْغَاوِي الَّذِي يَتَّبِعُ هَوَاهُ. ونزه الله نبيه عنهما، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ مَا يَنْطِقُ عَنْ هَوَى النَّفْسِ؛ بَلْ هُوَ وَحْيٌ أَوْحَاهُ اللَّهُ إلَيْهِ فَوَصَفَهُ بِالْعِلْمِ وَنَزَّهَهُ عَنْ الْهَوَى[٣].

وإذا نتأمل النصوص القرآني نجد أنها تحذر من خطورة اتباع الهوى والآثار السيئة له، ومن تلك الآثار السيئة على سبيل الإيجاز ما يلي:

١- اتباع الهوى سبب لفساد الأمور، لقوله تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾[٤].

٢- صاحب الهوى موعود بالذل والهوان، لذلك شُبِّهَ بأخس الحيوان، كقوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ وَلَوۡ شِئۡنَالَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ

---

(١) الكامل لابن الأثير، ج٨/ص:٣٢٥-٣٢٦.

(٢) سورة النجم. الآية:١-٤.

(٣) مجموع الفتاوى، ج٣/ص:٣٨٤.

(٤) سورة المؤمنون. الآية:٧١.

تَتْرُكْهُ يَلْهَث..﴾[١].

٣- صاحب الهوى فاسد الرأي والفكر، لذلك منع الله طاعته، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[٢].

٤- صاحب الهوى ضال مطموس البصيرة فلا يهتدي إلى الحق، لقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٣].

هذه عاقبة اتباع الهوى المذموم، حيث لا يمنع عن تحقيق الهدف فحسب بل يردي صاحبه ويهوي به، ويحرمه من خيري الدنيا والأخرة.

ثالثا: اتباع البدع.

البدعة من جملة المعاصي، قد تكون في إحداث أمرٍ لا أصل له في الدين مطلقاً، كثالوث النصارى الذي لا أصل له في الدين البتة، أو في إحداث صفةٍ على أمر له أصلٌ في الدين، كطواف مشركي العرب بالبيت عراة لقولهم: لا نطوف بثياب عصينا الله فيها، وكلها مذمومة وحرام تتفاوت في التحريم. كما قال ابن الْمَاجِشُونِ: «سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: مَنِ ابْتَدَعَ فِي الْإِسْلَامِ بِدْعَةً يَرَاهَا حَسَنَةً، زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم خَانَ الرِّسَالَةَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فَمَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ دِينًا، فَلَا يَكُونُ الْيَوْمَ دِينًا»[٤].

ومن صور البدع التي انتشرت في المجتمع القراخاني ما يلي:

أ. اتباع بعض العوام البدع.

برز في بلاد مَا وَرَاءَ النَّهْرِ عام (٤٣٦هـ/١٠٤٥م) طائفة من أصحاب البدع، وهم فرق من الشيعة الإسماعيلية، وَدَعَوْا إِلَى طَاعَةِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ الْعَلَوِيِّ صَاحِبِ مِصْرَ، فَتَبِعَهُمْ جَمْعٌ

---

(١) سورة الأعراف. الآية:١٧٥-١٧٦.

(٢) سورة الكهف. الآية:٢٨.

(٣) سورة الجاثية. الآية:٢٣.

(٤) الاعتصام للشاطبي، ج١/ص:٦٥.

كَثِيرٌ، وَأَظْهَرُوا في البلاد مَذَاهِبَ أَنْكَرَهَا أَهْلُ تِلْكَ الْبِلَاد، حتى استفحل أمرهم، وَسَمِعَ مَلِكُهَا محمد بغراخان خَبَرَهُمْ، وَأَرَادَ الْإِيقَاعَ بِهِمْ، ولكنه تأنى في الأمر ولم يستعجل، حتى لا يفلت منه رؤوسهم، ولا من أجابهم، كي يتمكن من قطع دابرهم، فَأَظْهَرَ لِبَعْضِهِمْ أَنَّهُ يَمِيلُ إِلَيْهِمْ، وَيُرِيدُ الدُّخُولَ فِي مَذَاهِبِهِمْ، وَأَعْلَمَهُمْ ذَلِكَ، وَأَحْضَرَهُمْ مَجَالِسَهُ، وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى عَلِمَ جَمِيعَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَى مَقَالَتِهِمْ، فَحِينَئِذٍ قَتَلَ مَنْ بِحَضْرَتِهِ مِنْهُمْ، وَكَتَبَ إِلَى سَائِرِ الْبِلَادِ بِقَتْلِ مَنْ فِيهَا، فَفُعِلَ بِهِمْ مَا أَمَرَ، وَسَلِمَتْ تِلْكَ الْبِلَادُ مِنْهُمْ[1].

ب. إحداث بعض الأمراء بدعة.

كان صاحب سمرقند (الأمير أحمد خان)، أقام في إيران مدة، وأثناء وجوده هناك دخل في علاقة مع ملاحدة الديلم، فلقّن عنهم معتقدات باطلة، ولم يعرف عنه ذلك حتى تولى مقاليد الحكم في البلاد، فلمّا وُلِّيَ أمور المسلمين أظهر بدعة ومعتقدا فاسدا في المجتمع، عام (٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، بميله إلى أهل البدع والمنحرفين عقديا، لكن العلماء لم يتيحوا لهذا المنكر فرصة أن يستفحل أمره، وراسلوا الجنود لخذلانه وعزله، فاستجاب الجنود للعلماء وقبضوا على الخان، ثم أفتى العلماء بقتله فَقُتِلَ على يد جنوده[2].

عاقبة الباطل دائما سيئة لأهلها بالذل والهوان، كما قال الشاطبي رحمه الله: «كُلُّ مَنِ ابْتَدَعَ فِي دِينِ اللَّهِ، فَهُوَ ذَلِيلٌ حَقِيرٌ بِسَبَبِ بِدْعَتِهِ، وَإِنْ ظَهَرَ لِبَادِي الرَّأْيِ عِزُّهُ وَجَبَرُوتُهُ، فَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ أَذِلَّاءُ»[3]. هذه الحوادث وأمثالها أشغلت الدعاة والعلماء عن مواصلة دعوتهم في المجتمع لاضطراب الأمن وانتشار الفوضى فيه بين الناس. وإن كانت لم تدم طويلا بسبب جهود العلماء ومناصرة الحكام لهم، لكنها أحدثت ثغرة وتسببت ركود النشاط الدعوي حينا من الزمن.

---

(١) الكامل، ج٨/ص:٤٨.

(٢) المختصر في أخبار البشر، ج٢/ص:٢٠٦. الكامل، ج٨/ص:٣٢٥. شنجاكدا ئوتكه ن ئسلام خانلقلرننك قسقچه تاريخي، تأليف لي جنشن، ص:١٠٨. تركستان لبارتولد، ٤٦٦.

(٣) الاعتصام للشاطبي، ج١/ص:١٦٧.

المبحث الثاني: الصراع الداخلي في الدولة.

شهدت الدولة القراخانية صراعا داخليا متنوعا، مما أدى إلى إعاقة نشر الدعوة الإسلامية في البلد مدة من الزمن، وتتمثل تلك المعوقات في الصور التالية:

١- وجود غير المسلم المحارب للدعوة الإسلامية في المجتمع.

ظلت الدولة منذ تأسيسها تحارب الطائفة المعادية للإسلام زمناً طويلاً، وبقيت تلك الطائفة تعادي الدولة الإسلامية وتحارب عقيدتها، وتعيق جهودها الدعوي في ربوع البلاد أكثر من قرن، حتى قتل خلقٌ كثير منهم، وتشرف آخرون بقبول الإسلام، حيث لم تقبل الدولة المستسلمين منهم في نهاية المطاف، لما عرفت منهم الخداع والمكر والخيانة للعهد، فخيرتهم بين الإسلام وبين القتل، ومن غلبت عليهم شقوتهم اختاروا الكفر وقُتلوا، وأصحاب السعادة اختاروا الإسلام فحموا أنفسهم من القتل، ثم حسنوا إسلامهم فصاروا من حماة الإسلام(١).

٢- التنافس على الحكم بين الأمراء.

إن المنازعة على الملك والسلطة مذمومة لكل أحد، لكونها تؤدي إلى التباغض والتقاتل بين أفراد المجتمع، فالذي فرق أهل الكتاب هو تنازعهم على السلطة والملك، وحب الرئاسة والظهور والسعي لحصول ذلك، ولو بظلم الناس وأخذ أموالهم وقطع رقابهم. كما حكى الله تعالى عنهم، ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ﴾(٢).

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله: «بَغْيًا عَلَى الدُّنْيَا وَطَلَبِ مُلْكِهَا وَزُخْرُفِهَا، وَزِينَتِهَا، أَيُّهُمْ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ، وَالْمَهَابَةُ فِي النَّاسِ. فَبَغَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَضَرَبَ بَعْضُهُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»(٣). وهذا ما حصل في المجتمع القراخاني بعد الجيل الثالث من حكام الدولة، ومن

---

(١) ينظر: ئسلام دىننىك خوته نكه كىرىشي وه ئسلامغا قارشي ئوروش، موللا نياز هاجي، (دخول الإسلام في ختن والحرب عليه، تأليف موللا نياز هاجي)، الناشر: أكادمية الفنون الاجتماعية وبحث الأديان، شنجانغ – الصين، ط: الأولى، عام ١٩٨٨م، ص:٢-٣.

(٢) سورة البقرة. الآية:٢١٣.

(٣)جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، ج٣/ص:٦٢٩.

ذلك ما يأتي:

١- تنافس محمد بغراخان أخاه أرسلان خان على السلطة.

لما توفي يوسف قدرخان - أقوى رجل في الدولة القراخانية - خَلَّفَ ثَلَاثَةَ بَنِينَ مِنْهُمْ: أبو شجاع أرسلان خان، ومحمد بغراخان، وَطُغْرُلُ قَرَا خَانَ، وَكَانَ للأول: كَاشْغَرُ، وَخُتَنُ، وَبَلَاسَاغُونُ، وَخُطِبَ لَهُ عَلَى مَنَابِرِهَا، وَكَانَ لَقَبُهُ شَرَفَ الدَّوْلَةِ.. وَكَانَ دَيِّنًا، مُكْرِمًا لِلْعُلَمَاءِ وَأَهْلِ الدِّينِ، فَقَصَدُوهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، فَوَصَلَهُمْ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ.

وَالثاني لم يكن كذلك، بل كان دون أخيه في الصلاح والتقى، وكان لَهُ طِرَازٌ وَإِسْبِيجَابُ، فَقَدِمَ إليه أَخُوهُ أرسلان خان، وبينهما بعض الخلاف في منازعة المنصب الأعظم في الدولة، فحبس بغراخان أخاه وَأَخَذَ لقبه ومَمْلَكَتَهُ. ثُمَّ عَهِدَ بِالْمُلْكِ لِوَلَدِهِ الْأَكْبَرِ، وَاسْمُهُ حُسَيْنُ جَغْرِي تِكِينَ، وَكَانَ لِبُغْرَا خَانَ امْرَأَةٌ من قبيلة أخرى، لَهُ مِنْهَا وَلَدٌ صَغِيرٌ، فَغَاظَهَا ذَلِكَ، فَعَمَدَتْ إِلَيْهِ وَسَمَّتْهُ فَمَاتَ بغراخان وولي عهده وَعِدَّةٌ مِنْ أَهْلِهِ، بعدما حكم البلاد خمسة عشر شهرا. وتمكنت المرأة أيضا من قتل وُجُوهَ أَصْحَابِهِ، بمن فيهم أَخوهُ أرسلان خان في حبسه، سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، ثم مَلَّكَت ابْنَها منه، وَاسْمُهُ إِبْرَاهِيمُ، وَسَيَّرَتْهُ فِي جَيْشٍ إِلَى مَدِينَةٍ تُعْرَفُ بِبَرْسُخَانَ، لبسط السيطرة الكاملة على ملك عمه أرسلان خان، لكنه قتل على يد صاحب برسخان، عام (٤٤٠هـ/١٠٤٨م)، واستولى على تلك المناطق صاحب سمرقند، طفغاج خان إبراهيم وتولى قيادتها، إلى أن كبر طُغْرُلُ قَرَا خَانَ ، وهو الابن الثالث ليوسف قدرخان، وتولى ملك أخويه المقتولين، عام (٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، وحكم البلاد ست عشرة سنة[1].

وهكذا انتهى التنافس بالمآسي، وقد عَطَّلَتْ أحداثه الحياة في البلاد، فضلا عن إعاقتها نشر الدعوة الإسلامية، لذلك شبه النبي صلى الله عليه وسلم عاشق السلطة بالذئب الجائع قائلا: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المرْءِ عَلَى المالِ وَالشَّرَفِ

---

(١) الكامل، ج٧/ص:٦٤٤-٦٤٦. المختصر في أخبار البشر، ج٢/ص:١٦٨-١٦٩. ئويغور نامه، ص:٢٠٥.

لِدِينِهِ»[١]. المراد بالشرف هو الجاه، فَيَكْفِي بِهِ إِفْسَادًا أَنَّ الْمَالَ يُبْذَلُ له، وَلَا يُبْذَلُ الْجَاهُ لِلْمَالِ.. فيخوض في المراءاة وَالْمُدَاهَنَةِ وَالنِّفَاقِ وَسَائِرِ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ فَهُوَ أَفْسَدُ وأفسد[٢].

٢- منافسة طغان خان أخاه شمس الملك على السلطة.

لما أوصى عماد الدولة طفغاج خان إبراهيم بالملك بعده لابنه شمس الملك، فعارض عليه ابنه الثاني طغان خان، حتى خرج على أخيه شمس الملك لانتزاع السلطة منه، وَأَبُوهُمَا حَيٌّ، وقد أضر طغان خان - بتصرفه الطائش - على حياة الناس في البلاد، واجتمع الناس إلى شمس الملك وَقَالُوا لَهُ: «قَدْ خَرَّبَ أَخُوكَ ضِيَاعَنَا وَأَفْسَدَهَا، وَلَوْ كَانَ غَيْرُهُ لَسَاعَدْنَاكَ، وَلَكِنَّهُ أَخُوكَ فَلَا نَدْخُلُ بَيْنَكُمَا» فوعدهم خيرا وباغت أخاه وهزمه[٣].

هذه المنافسة على السلطة بين الأمراء أضعف هيبة الدولة لدى الدول المجاورة، لخسارة قوتها بالحروب الداخلية، ولاستعانة بعض الأمراء القراخانيين من بعض تلك الدول، وهذه الاضطرابات جعلت الدولة تهتم بتثبيت سلطتها، وأذهلت عن نشر الإسلام بعض الوقت.

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب الزهد باب، حديث رقم:٢٣٧٦، وقال هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني صحيح.

(٢) تحفة الأحوذي، أبو العلاء محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية — بيروت، بدون تاريخ، ج٧/ص:٣٩.

(٣) الكامل لابن الأثير، ج٧/ص:٦٤٥.

المبحث الثالث: المؤامرات الخارجية على الدولة.

تعرضت الدولة القراخانية للمؤامرات الخارجية التي أدت إلى إضعافها، وتسببت إعاقة جهودها في نشر الإسلام في البلاد، وتمثلت تلك المؤامرات في الصور التالية:

أولا: تآمر كفار القراخطاي أو الخطا الصينيين على الدولة القراخانية.

لقد فقدت الدولة هيبتها منذ تولي أرسلان خان حكمها، ومنافسة أخيه محمد بغراخان إياه في السلطة، ثم تعرض رجالات الدولة للقتل على يد زوجة بغراخان بالسم، وكان هناك عدو خارجي يراقب الأحداث الجارية في الدولة بالتمعن، لينتهز أي فرصة للانقضاض عليها، وهم كفار القراخطاي الذين كانوا يعيشون تحت هيمنة الأتراك في عهد أتراك الهون والأورخون، ويدفعون الجزية للدولتين، لذلك كانوا يتربصون بالدولة التركية الدوائر.

وينتمي هؤلاء الخطا إلى قبائل الكيتان الصينية، واستطاعوا إقامة دولة لهم في شمال الصين في القرن الرابع الهجري، عقب انهيار أسرة (تانج)، وعرفت دولتهم بإمبراطورية الكيتان نسبة إلى قبائلهم وعرفت في التاريخ الصيني بسلالة لياو(Liao Dynasty) كما تعرف في العديد من المصادر الأوروبية، بإمبراطورية (كيتاى أو خيتاى) وحكموا هناك من عام (٣٠٤هـ/٩١٦م) إلى عام (٥١٩هـ/١١٢٥م).

وبعد إنهيار حكمهم في الصين علي يد قبائل (جور جين) المنشورية الرعوية. نزحوا من موطنهم واستقروا في شمال شرقى إيران، وتوسعوا شرقًا وغربًا على حساب أملاك القراخانيين والسلاجقة؛ ثم هاجموا بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ الْخَاقَانُ مَحْمُودُ حُدُود خَجَنْدَةَ[1] فِي رَمَضَانَ (٥٣١هـ/١١٣٧م) وَاقْتَتَلُوا، فَانْهَزَمَ الْخَاقَانُ. وَأَرْسَلَ إِلَى السُّلْطَانِ سَنْجَرَ يَسْتَمِدُّهُ وَيُنْهِي إِلَيْهِ مَا لَقِيَ الْمُسْلِمُونَ، وَيَحُثُّهُ عَلَى نُصْرَتِهِمْ، وَسَارَ سَنْجَرُ إِلَى لِقَائهم، فَالْتَقَى الْعَسْكَرَانِ، بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ قطوَانُ، فأجلت الحرب عن هزيمة المسلمين عام

---

(١) وهي بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ سيحون، بينها وبين سمرقند عشرة أيام مشرقا، وهي مدينة نزهة ليس بذلك الصّقع أنزه منها ولا أحسن فواكه، وفي وسطها نهر جار، والجبل متصل بها، فيها فواكه تفضل على فواكه سائر النواحي، وفي أهلها جمال ومروءة. المسالك والممالك للإصطخري، ص:٣٣٣. معجم البلدان، ج٢/ص:٣٤٧.

(٥٣٦هـ/١١٤٢م)، وبذلك اسْتَقَرَّتْ دَوْلَةُ الْخِطَا في بلاد ما وراء النهر، وحكمت مدة (٨٩) سنة، إلى أن أسقطها السلطان القراخاني عثمان بن إبراهيم بمساعدة علاء الدين خوارزم شاه سنة (٦٠٦هـ/١٢٠٩م)[١].

وسبب دخول الخطا في شرق البلاد، أن حاكم البلاد إبراهيم بن أحمد[٢] كان أذن لهم بالإقامة في ضاحية البلاد، وكانت الدولة آنذاك تعاني من فوضى سياسية واجتماعية بسبب انقسامها إلى قسمين: شرقية وغربية، ولكل منطقة خانها الخاص، وأدى ذلك إلى كثرة التمرد والمحاولات الانفصالية بين القبائل التركية، لاسيما قبيلة القارلوق التي أشاعت الفوضى في الدولة بكثرة التمرد والعصيان.

وفي ظل هذه الأوضاع استنجد الخان القراخاني زعيم القراخطاي يه -لو- تاشي لأجل تخليصه من قبائل القارلوق فوجد يه-لو-تاشي في هذه الدعوة فرصة سانحة لدخول المدينة وبعد أن أخضع قبائل القارلوق دخل يه-لو-تاشي مدينة بلاساغون واستولى على بلاد ما وراء النهر عام (٥٢٢هـ/١١٢٨م)، ولم يُزِح الأميرَ عن سلطته لكن جعله تحت نفوذه وهيمنته. ثم استولى على أجزاء جديدة من البلاد عام (٥٣٠هـ/١١٣٦م)[٣].

ومن ثم اتخذ يه-لو- تاشي لقبا تركيا وهو (كوخان، أو الكورخان) فَمَعْنَاهُ أَعْظَمُ الْمُلُوكِ، وكانت طاعته عبارة عن دفع الجزية له، فكان عامله لا يذهب إلى الخان إلا لأخذ

---

(١) الكامل لابن الأثير، ج٩/ص:١١٨-١١٩. ئويغور نامه، ص:٢٠٥. قه دىمكي ئويغورلا وقاراخانيلا، ص:٤٥٣-٤٥٤. قيام دولة القراخطاي واتساعها في آسيا الوسطى، بحث منشور في مجلة آداب جامعة ذي قار، العراق، العدد: الأول، سنة ٢٠١٠م، د/ فاضل كاظم صادق، ص:٨٤-٨٥، باختصار.

(٢) كان يحكم كاشغر وختن وبلاساغون، وحكم بين عام (٥٢٢هـ/١١٢٩م) إلى عام (٥٥٤هـ/١١٥٩م)، وكان حكمه مستضعفا بسبب التمرد والعصيان من الأتراك القارغلية. معجم الأنساب للزمباور، ص:٣١٣. ئويغور نامه، ص:٢١٥.

(٣) قيام دولة القراخطاي واتساعها في آسيا الوسطى، بحث منشور في مجلة آداب جامعة ذي قار، العراق، العدد: الأول، سنة ٢٠١٠م، د/ فاضل كاظم صادق، ص:٨٤-٨٥، باختصار. ئويغور نامه، سابت ئويغوري، ص: ٢٠٦. بوغراخانلار ته زكرىسي، ص:١٠١-١٠٢.

الجزية فإذا أخذها انصرف وكان الخان يحظى بحق إرسال الجزية إلى الكورخان بنفسه[١].

وقد ثقُلَت وطْأتهم عَلَى أهل البلد، لجمعهم الأتاوة من الناس، ولهم في كلّ بلد نائب لتلك الوظيفة، وأصبح من أتى بعده من السلاطين القراخانيين مَقْهُورًا مع الخطا، وصار حالهم كحال الخليفة المستعين بالله، الذي وصفه بعض الشعراء:

خليفـــــــة في قَفَــــــص بـــــين وصــــــيف وبُغَــــا
يقـــول مـــا قـــالا لـــهَ كمــــا يقـــول البَبَّغَـــا[٢]

ولما طالت الأيام في تلك الحالة، كاتب السلطان عثمان القراخاني إلى علاء الدين محمد بن خُوارزم شاه يطلب النجدة منه على القراخطاي ليريحهم منهم، فأجابه ونصره عليهم وطرد الخطا من البلد عام (٦٠٦هـ/١٢٠٩م)[٣].

وبفضل جهود الدعاة والمجاهدين أزيلت العوائق تجاه الدعوة، واستأنف العلماء نشاط التدريس والدعوة في البلد بعد أن شُغلوا ببلية القراخطاي المحتلين.

ثانيا: تآمر قبيلة نايمان على الدولة القراخانية.

كانت قبيلة نايمان تسكن في الجزء الغربي من منغوليا، وهم من أصل مغول اتخذوا لقبا تركيا، وفي عام (٦٠٠هـ/١٢٠٤م) أغار عليهم جنكيزخان، وطلبت القبيلة اللجوء إلى الدولة القراخانية، وسكنت في مدينة "كوجا"، فلما سجن القراخطاي ابن ملك كاشغر ومات الملك أحمد بن الحسن، بقي البلاد بلا أمير، وفي أثناء هذه الأحداث توجه زعيم نايمان (كوچلوك خان)، إلى كاشغر ليحتل البلد، بدعم من كوخان الصيني كانتقام للهزيمة السابقة للخطا من أمير كاشغر[٤].

---

(١) قيام دولة القراخطاي واتساعها في آسيا الوسطى، ص:٨٤-٨٥، باختصار. ئويغور نامه، ص: ٢٠٦.

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي، ج٤/ص:٦١.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي، ج٤٣/ص:١٥. وص:٢٤. قيام دولة القراخطاي، د/فاضل كاظم، ص:٨٥.

(٤) تاريخ فاتح العالم جهان كشاي، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين بن محمد الجويني، تعريب:

وكان زعيم الخطا الملقب بالأعور الصيني، قد توجه إِلَى حُدُودِ كَاشْغَرَ عام (٥٢٢هـ) فِي عَدَدٍ كَثِيرٍ ليحتل البلاد، وواجهه الْخَانْ أحمد بن الحسن، وَجَمَعَ جُنُودَهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ، وَالْتَقَوْا فَاقْتَتَلُوا، وَانْهَزَمَ القراخطاي وَقُتِلَ كَثِيرٌ مِنْهم، وبعد مدة مات الأعور[1].

وبعد موت الأعور "كوخان" لم يستقر الملك لمن خلفه، وازداد الخلاف بينهم تدريجيا، وانتهز كوچلوك خان هذا الخلاف، وقتل خليفة كوخان واستولى على كاشغر وختن عام (٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، والمسلمون حاولوا التمرد عليه لكنهم أجبروا على الإذعان بسبب القحط الذي أصابهم، وذلك بسبب ما قام به كوچلوك خان بإهلاك الحرث في البلاد لتجويع أهلها، كي يتسنى له التحكم فيهم بسهولة[2].

ولما رأي كوچلوك خان أنه استقر في البلاد، أنزل في كل بيت للمسلمين فيه رجل، واحدا من جنده للمراقبة، وليسلم من تآمر المسلمين عليه. ثم أجبر الناس على الارتداد من الإسلام، وقبول الديانة البوذية أو النسطورية؛ لأنه كان قد تزوج بابنة كوخان، وهي تعتنق البوذية، أما هو فكان نسطوريا، وقيل: مانويا، ولما لم يجد أي صدى لأمره، جمع ثلاثمائة من خيرة علماء البلاد في الصحراء بالقوة، ويحكى في بعض الروايات أن عددهم كان ثلاثة آلاف، وأوقف حَوْلهم العوام، وأجبرهم على المناظرة معه، إن هم أقنعوه بأن الإسلام دين حق فسيسلم، فارتا ع له الجمع لما يعرفون من كذبه وغدره، وانبرى له الإمام علاء الدين الختني، فناظره وفند شبهاته على الإسلام وأبطل الديانة البوذية والنصرانية والمانوية بالأدلة القوية والحجج الدامغة، فعاند الكافر واغتاظ غيظا شديدا وأمر بقتل الشيخ بصلبه على باب المدرسة بالأوتاد، وارتفع صراخ المسلمين بالدعاء والتضرع إلى الله، فاستجاب الله لهم، وتمكنوا من إخراج كوچلوك خان من البلد، بدعم من جنود جنكيزخان، فأعيد في البلد ما كان منع من شعائر الدين، وبدأت الدعوة نشاطها بعدما تعوق، وذلك عام

=

محمد السباعي، المركز القومي للترجمة – القاهرة، ط: الأولى، عام ٢٠٠٧، ج١/ص:٩٥.

(١) الكامل لابن الأثير، ج٩/ص:١١٧.

(٢) بوغرا خانلا ته زكرسسي، ص:١٠٤-١٠٥.

(٦٠٧هـ/١٢١٠م)[1].

﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[2].

---

(١) ئويغور نامه، ص:٢٠٦/ص:٢١١،/ص:٢٣٦. تاريخ فاتح العالم، للجويني، ج١/ص:٩٧. ئويغورلار نىك قسىقچه تاريخي، ص:١٤٦.

(٢) سورة الروم. الآية:٤،٥،٦.

الفصل السابع

نتائج الدعوة وعوامل نجاحها في عهد الدولة القراخانية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: ظهور قيادات علمية وسياسية.

المبحث الثاني: الفتوحات واتساع رقعة البلاد.

المبحث الثالث: الإقبال على التعلم وانتشار العلم.

المبحث الرابع: العوامل التي أدت إلى نجاح الدعوة.

المبحث الأول: ظهور قيادات علمية وسياسية.

لقد نتج عن الجهود الدعوية في عهد الدولة القراخانية، بأن برز في ميدان الدعوة علماء ربانيون وقادة بارزون، قضوا حياتهم في نشر الدين والدفاع عنه، وتركوا لمن خلفهم آثارا حميدة يجدر اقتفاؤها والاستنارة بها في الدعوة إلى الله. وفيما يلي: ذكر لأبرزهم.

أولا: العلماء.

سلف الحديث عن العلماء وجهودهم الدعوية في عهد الدولة القراخانية في المباحث السابقة، أذكر في هذا المبحث العلماء الذين لهم الدور الريادي في تنظيم الدعوة والدفاع عنها في البلد وكانوا قدوة لغيرهم، ومن أبرزهم:

١- حسين بن خلف بن جبريل الكاشغري رحمه الله.

يُعتبر الشيخ الكاشغري من أوائل العلماء البارزين في تركستان في عهد الدولة القراخانية، حيث أسهم في نشر الدعوة بمؤلفاته العلمية الفذة، والتدريس الدءوب لطلبة العلم، لذلك عُدَّ أستاذ العلماء في عصر ازدهار العلم في الدولة، وبلا مراء له الدور القيادي في إيقاظ الناس عن سِنة الغفلة، وحثهم على أهمية تحصيل العلوم الشرعية، وعامة من أتى بعده نهل من معينه(١).

٢- أحمد بن إبراهيم اليسوي(٢).

انفرد الشيخ أحمد من بين الدعاة إلى الله بالذهاب إلى القرى والفيافي، ودعوة الناس إلى الله بتعليم الأذكار اليومي، وتحمل شظف العيش والخشونة في تلك الأماكن، من أجل تثقيف الناس في الدين، وهو حال سائر الدعاة من الأنبياء وأتباعهم. حتى إذا استأنس الناس به وبدعوته، بدأ يعلمهم أركان الإسلام والإيمان، وكان لدعوته نتائج باهرة بتحسين

---

(١) قه دىمكي ئويغورلا وه قاراخانىلا، ص:٣٩٧.

(٢) ولد الشيخ أحمد اليسوي في أسرة متدينة، عام (٤٧٨هـ/١٠٨٦م) في منطقة ما وراء النهر، وبدأ تعاليمه الأولية على مشايخ قريته، ثم تنقل على العلماء حتى برع في العلوم الشرعية، كما برع في الشعر، له ديوان في الشعر معظمه في الزهد. توفي عام (٥٦١هـ/١١٦٦م) ئويغور نامه، ص:٢١٤.

إسلام عدد كثير من أهل البوادي. حيث إن معظمهم كانوا مسلمين بالاسم فقط، ولا يؤدون أيا من شعائر الدين، وبعد فقههم الدين قاموا بأركانه. كما خلف اليسوي ديوانا في شعر الزهد باللغة الأويغورية باسم "ديوان الحكمة" لقي الديوان قبولا لدى الناس لسلاسة ألفاظه ورقة أسلوبه، واحتوائه على النصائح القيمة المقتبسة من نصوص الكتاب والسنة[١].

٣- علاء الدين الختني.

أدرك الشيخ علاء الدين الختني رحمه الله آخر عهد الدولة القراخانية، ولد عام (٥٥٥هـ/١١٦٠م) وقاد العلماء والمسلمين في مواجهة القراخطاي، والنايمان، عام (٦٠٥هـ/١٢٠٨م) في مدينتي ختن وكاشغر، عندما أجبر زعيم النايمان (كوچلوك خان) المسلمين على ترك الإسلام وقبول النصرانية أو البوذية، وفارق حياته وهو يدافع عن دين الله[٢].

ومحنته شبيهة بمحنة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، عندما أُجبر على القول بخلق القرآن، يقول أبو عمران موسى الحسن البغدادي: «وأنا حاضر بباب الخلافة إذ أُحضر أحمد، وأمر الخليفة الجلادين فعلقوه بين السماء والأرض، ووقَّف له ستين جلادا، ثلاثين ناحية وثلاثين ناحية، فقام إليه المعتصم فقال: ويحك يا أحمد، إني أسأل الله أن لا يبتليني بك، ما تقول في القرآن؟ .. قال: القرآن كلام الله، وكلام الله غير مخلوق، فأُمر به فضُربَ، ثم سأله، فأعاد قوله الأول، كلام الله، فأمر فأعادوا عليه الضرب، وضربه أحد الجلادين بسوطين شق منهما خصريه وسالت أمعاؤه، فأمر به فأخرج من الحديد وشُدَّ بثوب تام، وصاح الناس والعامة..»[٣].

قال علي بن المديني: «إن الله عز وجل أعزَّ هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث؛ أَبو

---

(١) ئويغور نامه، ص:٢١٤. دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، ص:٩.

(٢) ئويغور نامه، ص:٢١١. ئويغورلار نىك قسقىچه تاريخي، ص:١٤٦.

(٣) كتاب المحن، تأليف: أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التيمي، تحقيق: د/ يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط: الثالثة، عام ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ج٥/ص:٣٤٠-٣٤١، بتصرف واختصار يسير.

بكر الصدّيق يوم الرِّدة، وأَحمد بن حنبل يوم المِحنة»[١].

والظلمة بعضهم من بعض، حيث جمع كوچلوك ثلاثة آلاف من العلماء، وجما غفيرا من العوام وجنوده في أرض فلاة، وأجبرهم على الكفر بالله أو المناظرة معه، ولم يتقدم أحد من العلماء لمعرفتهم بسوء نيته، وتصدى له الشيخ علاء الدين وأخذ يباحثه ويجادله حتى أفحمه، فلما لم يحر كوچلوك جوابا، استولت عليه الدهشة والحيرة والخجل على أفعاله وأقواله، وارتفعت نار الغضب عليه، وانطلق لسانه بالفحش والهذيان في ذات النبي صلى الله عليه وسلم. ورد عليه الشيخ علاء الدين ودافع عن النبي صلى الله عليه وسلم، قائلا: «ملأ التراب فاك يا عدو الدين يا كوچلوك اللعين» فلما صكت هذه الكلمات القاسية كوچلوك خان أمام ملأٍ من جنوده، أمر بتعذيب الشيخ بطريقة بشعة، بتعليقه على باب المدرسة عريانا، ومنع عنه الطعام والشراب حتى يرتد عن الإسلام، كي يتبعه الناس بعده، لكن الشيخ صمد وصبر وحث الناس كذلك على الصمود والصبر، ولما لم يستجب أحد من الناس على ما أكرهوا، أمر كوچلوك بقتل الشيخ علاء الدين، ثم بقتل بقية العلماء الذين جمعهم[٢].

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنهُ ... وعندَ اللهِ في ذاكَ الجزاءُ

أَتَهْجُوهُ، وَلَسْتَ لَهُ بكُفْءٍ ... فَشَرُّكُما لِخَيْرِكُمَا الفِداءُ

هجوتَ مباركاً، براً حنيفاً ... أمينَ اللهِ شيمتهُ الوفاءُ

فَإنّ أبي وَوَالِدَهُ وَعِرْضي ... لعرضِ محمدٍ منكمْ وقاءُ[٣]

ولسان حال علاء الدين يقول:

أُسرتُ وما صحبي بعزلٍ، لدى الوغى ... ولا فرسي مهرٌ، ولا ربهُ غمرُ!

---

(١) مناقب الإمام أحمد، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط: الثانية، عام ١٤٠٩هـ، ص:١٤٨.

(٢) تاريخ فاتح العالم للجويني، ج١/ص:١٠٠-١٠١. بوغراخانلا ته زكرسي، ص:٩٦-٩٧.

(٣) ديوان حسان بن ثابت ﷺ، تحقيق وتعليق: عبدأ علي مهنا، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط: الثانية، عام ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص:٢٠-٢١.

و لكنْ إذا حُمَّ القضاءُ على امرئٍ ... فليسَ لهُ برٌّ يقيهِ، ولا بحرُ!
وقالَ أصيحابي: الفرارُ أوالردى؟ ... فقُلتُ: هُمَا أمرَانِ، أحلاهُما مُرُّ
وَلَكِنّني أمْضِي لِمَا لا يَعِيبُني، ... وَحَسبُكَ من أمرَينِ خَيرُهما الأسْرُ
يقولونَ لي: بعتَ السلامةَ بالردى ... فَقُلْتُ: أمَا وَالله، مَا نَالَني خُسْرُ
و هلْ يتجافى عني الموتُ ساعة ... إذَا مَا تَجَافَى عَنيَ الأسْرُ وَالضّرّ؟
هُوَ المَوْتُ، فاختَرْ ما عَلا لك ذِكْرُه، ... فلمْ يمتِ الإنسانُ ما حييَ الذكرُ
ولا خيرَ في دفعِ الردى بمذلةٍ ... كما ردها، يوماً بسوءتهِ "عمرو"
يمنونَ أنْ خلوا ثيابي، وإنما ... عليَّ ثيابٌ، من دمائهمُ حمرُ
سَيَذْكُرُني قَوْمي إذا جَدّ جدّهُمْ، ... وفي الليلةِ الظلماءِ، يفتقدُ البدرُ
فإنْ عِشْتُ فَالطّعْنُ الذي يَعْرِفُونَه ... وتلكَ القنا، والبيضُ والضمرُ الشقرُ
وَإنْ مُتّ فالإنْسَانُ لا بُدّ مَيّتٌ ... وَإنْ طَالَتِ الأيّامُ، وَانْفَسَحَ العمرُ(١)

مات علاء الدين لكن موقفه الشجاع لم يمت، حيث لم يرتد عن الإسلام أحد من الناس بعده بسبب الفتنة، وموقفه الصلب كان سببا لعصمة الأمة من الفتنة، ويمكن أن نضيفه إلى الذين قال الإمام المزني رحمه الله: عنهم، أنهم كانوا سببا لعصمة الأمة الإسلامية من الفتنة المحدقة، لكن الله حفظهم بجهود أولئك الأسود، وهم: «أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يَوْمَ الْمِحْنَةِ، وَأَبُو بَكْرٍ يَوْمَ الرِّدَّةِ، وَعُمَرُ يَوْمَ السَّقِيفَةِ، وَعُثْمَانُ يَوْمَ الدَّارِ، وَعَلِيٌّ يَوْمَ صِفِّينَ»(٢).

---

(١) شرح ديوان أبي فراس الحمداني، ص:١٦٥. شرح المفردات الغريبة: الغَمْرُ: الْمَاءُ الْكَثِيرُ. وَرَجُلٌ غَمْرُ الرِّداء وغَمْرُ الخُلُقِ أي وَاسِعُ الخلُق كَثِيرُ الْمَعْرُوفِ سَخِيُّ. حُمَّ القضاء: قُضي. الردى: الموت. يتجافى: يبتعد. سوءة عمرو: قال ابن كثير: «ذَكَرُوا أَنَّ عَلِيًّا حَمَلَ عَلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَوْمًا فَضَرَبَهُ بِالرُّمْحِ، فَأَلْقَاهُ إِلَى الْأَرْضِ فَبَدَتْ سَوْءَتُهُ فَرَجَعَ عَلِيٌّ عَنْهُ.. فَلَمَّا رَجَعَ عَمْرٌو إِلَى مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهُ: احْمَدِ اللَّهَ، وَاحْمَدِ اسْتَكَ». البداية والنهاية، ج١٠/ص:٥١٨-٥١٩. وقيل: القصة لا تصح. نصل السيف: شفرته. القنا: الرماح. البيض: السيوف. الضمر: الخيول المضمرة. شرح ديوان أبي فراس الحمداني د/ خليل الدويهي، ص:١٦٥، لسان العرب، ج٥/ص:٢٩.

(٢) البداية والنهاية، ج١٤/ص:٤٠٦.

وعلاء الدين يوم الفتنة. رضي الله عنهم ورضوا عنه، ورحمهم الله رحمة واسعة.

ثانيا: قيادات سياسية.

لقد أثمرت جهود الدولة القراخانية في الدعوة إلى الله، بأن برز في الساحة السياسية عدد من الأمراء جمعوا بين الحنكة السياسية وبين الورع في الدين، ولعبوا دورا هاما في نشر الإسلام في البلاد والدفاع عنه، ومن أبرزهم:

١- أحمد بن علي بن موسى المعروف بـ (طغان خان).

لم يكن طغان خان مجرد ملك بل كان ملكا محنكا وداعيا ربانيا، كما يصفه الذهبي «طغان خان التُّرْكِيُّ صَاحِبُ تُرْكِسْتَان، وَبَلاَسَاغُون وَكَاشْغر وَخُتَن وَفَارَاب. قَصَدَتْهُ جُيُوشُ الصِّيْنِ وَالخَطَا فِي جَمْعٍ مَا سُمِعَ بِمِثْلِهِ حَتَّى قِيْلَ: كَانُوا ثَلاَثَمائَة أَلْف. وَكَانَ مَرِيْضاً فَقَالَ: اللَّهُمَّ عَافِنِي لأَغْزُوَهُم، ثُمَّ تَوَفَّنِي إِنْ شِئْتَ. فَعُوْفِيَ، وَجَمَعَ عَسَاكِرَهُ، وَسَاقَ، فَبَيَّتَهُم، وَقَتَلَ مِنْهُم نَحْوَ مائَتَي أَلف، وَأَسرَ مائَة أَلْف، وَكَانَتْ مَلْحَمَةً مَشْهُوْدَةً فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعمائَة، وَرجعَ بِغَنَائِمَ لاَ تُحْصَى إِلَى بَلاَسَاغُونَ، فَتَوَفَّاهُ اللهُ عَقِيْبَ وُصُولِهِ. وَكَانَ دَيِّناً عَادِلاً، بَطَلاً شُجَاعاً»[1]

مما يدل على قوته الشخصية وحنكته السياسية، أنه أنهى الخلاف مع الدولة الغزنوية، وبعث برسالة إلى السلطان محمود الغزنوي عبر فيها عن رغبته بتحسين العلاقة بين الطرفين، والتفرغ للجهاد في سبيل الله، وقال: «الْمَصْلَحَةُ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ أَنْ تَشْتَغِلَ أَنْتَ بِغَزْوِ الْهِنْدِ، وَأَشْتَغِلُ أَنَا بِغَزْوِ التُّرْكِ، وَأَنْ يَتْرُكَ بَعْضُنَا بَعْضًا، فَوَافَقَ ذَلِكَ هَوَاهُ، فَأَجَابَهُ إِلَيْهِ، وَزَالَ الْخِلَافُ، وَاشْتَغَلَا بِغَزْوِ الْكُفَّارِ»[2].

وكذا عصره لم يشهد أي منازعة واختلاف بين الأمراء في الأسرة المالكة، ومن بعد وفاته حدث التنافس على السلطة بين أخيه شرف الدولة أبي المظفر أرسلان خان، وبين ابن عمه يوسف قدرخان، لكنهما تداركا الخطورة واصطلحا[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١٧/ص:٢٧٨-٢٧٩.

(٢) الكامل لابن الأثير، ج٧/ص:٥٨٩.

(٣) المرجع السابق، ج٧/ص:٦٤٣.

قال ابن كثير: «فَلَمَّا مَاتَ ظَهَرَتْ مُلُوكُ التُّرْكِ فِي الْبِلَادِ الشَّرْقِيَّةِ»[١]. يقصد الانقسام من أجل التنافس على السلطة.

٢- أَبُو الْمُظَفَّرِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ نَصْرٍ أَيْلَكَ (طفغاج خان).

وَكَانَ أَبُوهُ زَاهِدًا وَمُتَعَبِّدًا بيده سَمَرْقَنْد وَفَرْغَانَة، وقد حذا طفغاج خان حذو أبيه في الزهد والتنسك، قال ابن الفوطي: «ولما مات قام مقامه ولده طفغاج. وكان متدينا لا يقتل أحدا ولا يأخذ مالا حتى يستفتي الفقهاء، وكان يرسل في كل سنة رسولا إلى القائم بأمر الله ولقب من دار الخلافة بعماد الدولة وتاج الملة، وعز الأمة، وكهف المسلمين، وملك الشرق والصين، طفغاج بن بغراخان سيف أمير المؤمنين»[٢].

وقد جاء في أوصاف هذا الزعيم أنه على الرغم من لين جانبه وحسن معاملته فإنه كان شديدا على الخارجين عليه وقطاع الطرق، وقد حدث ذات مرة أن كتب بعض اللصوص على باب قلعة سمرقند «نحن كالبصلة، كلما نقطع تكبر رؤوسنا» فأمر الخان بأن يكتب تحت ذلك «وأنا كالبستاني، كلما ارتفع لكم رأس اجتثثته»[٣].

واتصف حكمه بالعدل، وازدهرت الحياة المعيشية للناس وكثر الرخاء، واهتم ببناء المدارس والمستشفيات، وكان يبجل أهل العلم وينزل قدرهم ويستمع إليهم، ولا يتصرف في شيء من أمور الدولة بدون فتواهم[٤].

وكان يولي جناب الحسبة عناية خاصة، ويحدد أسعار البضائع في السوق ويعاقب

---

(١) البداية والنهاية، ج١٥/ص:٥٧٣.

(٢) مجمع الآداب في معجم الألقاب، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد بن المعروف بابن الفوطي الشيباني، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر – إيران، ط: الأولى، عام ١٤١٦هـ، ج٢/ص:٨.

(٣) تركستان، بارتولد، ص:٤٦٠.

(٤) قاراخانلانك دوله ت ته شكىلاتي، (نظام الدولة عند القراخانيين) تأليف: رشات كنج، باللغة التركية، ترجمة: إلى الأويغورية، تورسون ئاي ساقي، وتورسون هوشور، شنجانغ خه لق نه شرياتي، عام ١٩٩٠م، ص:٦١.

المتلاعبين بالأسعار، ولما طلب بعض التجار تمرير بعض السلع بأسعار غالية مقابل دفعهم ألف دينار لبيت المال، قال في هذا مقولته المشهورة: «لا يجوز أن أبيع رعيتي بألف دينار»[١].

ومن حنكته السياسية أنه كان السُّلْطَانُ أَلْبُ أَرْسَلَانَ يُغير على بِلَاده وَينهَبُهَا أَيَّامَ عَمِّهِ طُغْرُلْبَكَ، فَلَمْ يُقَابِلِ الشَّرَّ بِمِثْلِهِ، وَأَرْسَلَ رَسُولًا إِلَى الخليفة العباسي الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ يُهَنِّئُهُ بِعَوْدِهِ إِلَى مُسْتَقَرِّهِ، وَيَسْأَلُ التَّقَدُّمَ إِلَى أَلْبِ أَرْسَلَانَ بِالْكَفِّ عَنْ بِلَادِهِ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْخِلَعَ وَالْأَلْقَابَ[٢].

٣- حسن بن سليمان بن يوسف قدرخان.

تولى حسن بن سليمان الحكم من عام (٤٦٧هـ/١٠٧٥م) إلى عام (٤٩٥هـ/١١٠٢م)، ومن صفات هذا الحاكم أنه كان شجاعاً داهيةً محباً للعلم وأهله، وبلاطه كان يزخر بالعلماء والشعراء، وكان العلماء بطانته وخواصه، وكان يدعمهم بلا حدود، معظم المدارس الإسلامية في تركستان بنيت في عهد هذا الملك، لذلك ازدهرت الحركة العلمية في عصره. كما اهتم طفغاج خان (صاحب سمرقند) بنشر العلم في الجهة الغربية من البلاد مثل: بخارى، وسمرقند، وفرغانة، كذلك اهتم الخان حسن بن سليمان بنشر العلم في الجهة الشرقية من البلاد، مثل: مدينة كاشغر، وختن، وبلاساغون وغيرها، وصارت مدينة كاشغر مقصدا للعلم مثل: مدينة بخارى، وفد الناس إليها من أنحاء العالم لتحصيل العلم الشرعي فيها. إضافة إلى ذلك اهتم الخان بدعوة كفار الأتراك — المجاورين لدولته – إلى الإسلام، وقاتل المحاربين للدعوة في عقر دارهم، وأخضعهم وكسر أصنامهم، ونكس رايتهم، حتى انتشر الإسلام في مناطق البوذيين انتشاراً واسعاً، وارتفعت هيبة الدولة القراخانية لدى الدولة المحاربة – مثل: دولة إديقوت البوذية – والمنافسة لها، مثل: دولة السلاجقة والغزنوية. وقد وطد الأمن في البلاد ونشر العلم والتوحيد فيها[٣].

---

(١) تركستان، بارتولد، ص:٤٦١.

(٢) الكامل لابن الأثير، ج٧/ص:٦٤٥.

(٣) تاريخمزدىكي خاقانلا، ص:١٨٦-١٨٧. قه دىمكي ئويغورلا وه قاراخانىلا، ص:٢٧٢-٢٧٣.

ومن دهائه وحنكته السياسية أنه لما خيره السلطان السجوقي ملكشاه بين المواجهة معه أو التبعية له، أظهر الخضوع له أولا، ثم استرد هيبته باعتقال عامل ملكشاه في منطقة ما وراء النهر، وبسط نفوذه على المنطقة كلها، وتخلص من هيمنة السلاجقة[١].

=

تاريخ ابن خلدون، ج٤/ص:٥١٨.

(١) قه دىمكي ئويغورلا وه قاراخانىلا، ص:٢٧٥.

المبحث الثاني: الفتوحات واتساع رقعة البلاد.

سعى الحكام القراخانيون منذ إسلامهم إلى تحرير المناطق التي ينتشر فيها الوثنيون البوذيون من القبائل التركية، ليتمكنوا من نشر الدعوة الإسلامية فيها بين كافة القبائل، وذلك بدءا من عهد المؤسس ستوق بغراخان، حيث فتحت في عهده المناطق المجاورة لكاشغر، مثل: يارْكَنْد وقارْغِلِقْ، كما تم إخضاع عدد من المدن، مثل: خُتَنْ، وطورفان، وكوجا، وفي عام (٣٣٠هـ/٩٤٢م) وسع بغراخان دولته وضم مدينة سوياب، وبلاساغون[١].

وقد قيل: إن ستوق بغراخان كان يخاف منه الكفار المجاورن لدولته في الأراضي الممتدة من ضفاف نهر سيحون جنوبا إلى قراقرم شمالا، ومن شدة رعبهم منه تحولوا إلى الإسلام[٢]

ثم ضم القراخانيون بلاد ما وراء النهر إلى دولتهم في عهد الملك نصر بن إيلك خان، في الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، وذلك بعد اتفاق إيلك خان مع بعض قادة الجيش الساماني، وبذلك دالت دولة السامانيين[٣].

وفي عهد الملك موسى بن ستوق فتحت مدينة غولجا، وتم تكسير ما فيها من الأصنام، وأمر الملك موسى بإجلاء البوذيين من المدينة وأسكن مكانهم المسلمين، كما تمكن الملك من طرد دولة إديقوت البوذية من مدينة قراشهر وأبعدهم من حدود دولته[٤].

وفي عهد يوسف قدرخان فتحت مدينة ختن بعد حرب شرسة دامت سنين بين المجاهدين وبين البوذيين، وكان البوذيون كلما أحسوا الهزيمة أعلنوا الخضوع، ومتى ما وجدوا الدولة مشغولة بالحرب مع عدو آخر تربصوا وأعلنوا العصيان، وهكذا استعصى فتح المدينة على أسلاف يوسف قدرخان، ولما تولى قدرخان مهمتها لم يقبل من البوذين الهدنة، بل خيرهم بين القتال والإسلام، وقاتلهم فكسر شوكتهم، فلما قُتل جمٌّ غفير من البوذيين أسلم

---

(١) شه رقي توركستان تاريخي، ص:١٣٢-١٣٣. قه دىمكي ئويغورلا وه قاراخانيلا، ص:٤٧٣.

(٢) الدعوة الإسلامية، توماس أرنولد، ص:٢٤٥.

(٣) تاريخ بخارى للنرجشي، ص:١٥٦.

(٤) شه رقي توركستان تاريخي، ص:١٣٣.

بقيتهم. ومما ساعد على هذا الفتح العظيم، دهاء قدرخان وشجاعته الباسلة، مع إيمانه القوي بربه عز وجل. وَقد كَانَ عَادِلًا، حَسَنَ السِّيرَةِ، كَثِيرَ الْجِهَادِ، يُدِيمُ الصَّلَاةَ فِي الْجَمَاعَةِ[١].

وترتب على هذه الفتوح إسلام عديد من الأتراك البوذيين. وفي عهد شرف الدولة (أرسلان خان بن يوسف قدرخان) عام (٤٣٥هـ/١٠٤٤م) أَسْلَمَ مِنَ التُّرْكِ الَّذِينَ كَانُوا يَطْرُقُونَ بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ نَحْوٌ مِنْ عَشْرَةِ آلَافِ خَرْكَاهُ، (خيمة) وَضَحَّوْا فِي يَوْمِ عِيدِ الْأَضْحَى بِعِشْرِينَ أَلْفَ رَأْسٍ مِنْ غَنَمٍ، وَتَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ[٢].

وفي عهد الملك حسن بن سليمان – المشهور بـ هارون بغرا الثاني – هاجم جيش الإسلام على دولة إديقوت البوذية، وفتحوا بعض المناطق من أرضها وكسروا ما فيها من الأصنام والمعابد البوذية، وفي نهاية المطاف صارت معظم أراضي دولة إديقوت تابعة للدولة القراخانية الإسلامية، إما بالإسلام وإما بدفع الجزية عن يد وهم صاغرون[٣].

---

(١) قه دىمكي ئويغورلا وه قاراخانيلا، ص:٤٧٧. الكامل، ج٧/ص:٦٤٣.

(٢) البداية والنهاية، ج١٥/٦٩٠.

(٣) غه ربي يورت تاريخىمزديكي خاقانلا، ص:١٨٧.

المبحث الثالث: الإقبال على التعلم وانتشار العلم.

اهتمت الدولة القراخانية منذ نشأتها لنشر العلم والمعرفة في البلاد، وبنت مدارس في كل ولايات ومحافظة الدولة، ولم ينشب حتى صارت مدينة بخارى معقلا من معاقل التعليم، ثم تبعتها كل من سمرقند، وخوقند[١]، وشاش، وطاشكند، وغيرها من المدن في الجهة الغربية من البلاد، أما في شرقها فصارت مدينة كاشغر مقصد العلم للمسلمين في أنحاء العالم، وصارت التعليم في مدارس وجوامع تلك المدن منظما ومنسقا للغاية[٢]. وتدل على إقبال الناس على التعلم وانتشار العلم في البلاد، الأمور التالية:

١- وصول العلماء من العالم الإسلامي إلى الدولة القراخانية.

كانت مدينة كاشغر تزخر بالعلماء الجهابذ إبان الدولة القراخانية، مثل: حسين بن خلف الكاشغري، ورشيد بن علي الكاشغري، وعماد الدين الكاشغري، وغيرهم من الأماثل، لكن لما كثر الإقبال على التعلم في البلاد، ولم يكفِ المتواجدون في أداء مهمة التدريس، جلبت الدولة إلى المدرسة الساجية في كاشغر علماء من خارج البلاد لتدريس العلوم الشرعية، مثل: السيد جلال الدين البغدادي من العراق، وكمال الدين أبو العباس أحمد بن أبو الفضائل الدخميسي المصري المحدث، من مصر، سمع منه جماعات في مدينتي كاشغر وختن[٣].

وجود هؤلاء الأفذاذ في البلاد أنعش نشاط التعليم والتدريس، وجعل الناس يقبلون على العلم، وينسلون إل حصوله من كل حدب، في كل الفنون والتخصصات، من العلوم

---

(١) خوقند أو قوقند هي مدينة تقع جنوب غرب وادي فرغانة في ولاية فرغانة شرقي أوزبكستان. الموسوعة الحرة نت. تاريخ الزيارة، ١٤٤٠/١٢/٤هـ.

(٢) ينظر: الإعلام لبعض رجالات تركستان، ص:١٤٥.

(٣) مجمع الآداب في معجم الألقاب، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر – وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ط: الأولى، ١٤١٦هـ، ج٤/ص:١١١. ئويغور مائاربي تاريخي، بدون ناشر وتاريخ، عبد الله طالب، ص:٢٨.

الشرعية والعصرية. وازدهرت العلوم في البلاد بذلك الجهود والإقبال.

وكذلك جاء إلى سمرقند من نيسابور الإمام الجليل الزاهد أبو القاسم عبد الواحد بن عبد الرحمن بن زيد النيسابوري، للإسهام في نشر العلم، وزاوَلَ التدريس في مدارس سمرقند وحلقات العلم فيها، وخطب على منابرها سنين كثيرة، ثم رحل إلى الشاش لنشر العلم وأقام فيها حتى توفي عام (٤٩٤هـ/١١٠١م)[١].

٢- رحلة العلماء من الدولة القراخانية إلى العالم الإسلامي للاستزادة في العلم.

ومما يدل على الإقبال على التعلم في عهد الدولة القراخانية، زيارة العديد من علماء بلاد ما وراء النهر إلى مراكز العلم في العالم الإسلامي للاستزادة في العلم، منهم: المحدث أبو الليث نصر بن الحسن بن القاسم بن الفضل التنكتي[٢]، المتوفى سنة (٤٨٦هـ/١٠٩٣م)، ويكنى أبا الفتح أيضا، رحل إلى المغرب وأقام بالأندلس يسمع ويسمّع.. واشتهر برواية صحيح مسلم بالعراق ومصر والأندلس عن عبد الغافر الفارسي، وكان سمع بنيسابور أبا الفتح ناصر بن الحسن بن محمد العمري، وبمصر أبا الحسن محمد بن الحسين بن الطفال، وإبراهيم بن سعيد الحبّال، وسمع بالشام نصرا الزاهد المقدسي، وأبا بكر الخطيب الحافظ، روى عنه أبو القاسم السمرقندي ونصر بن نصر العكبري وأبو بكر الزاغوني وغيرهم[٣].

٣- تفرغ بعض الأمراء للعلم.

ومما يدل على إقبال الناس على العلم في كل أطيافهم وطبقاتهم في مجتمع الدولة القراخانية، تنازلُ أحدِ الأمراء القراخانيين عن مُلْكه لأخيه، وتفرغه للعلم حتى تفقه، وعُدَّ أحدُ أبرز العلماء في بلاد ما وراء النهر، وأفتى ودرس. وهو مُحَمَّد بن مُحَمَّد أَبُو عبد الله مجد الدّين الختني رحمه الله[٤].

وكذلك مزاولة بعضهم الخطابة في الجامع، والتدريس في حلقات العلم، مع مزاولة

---

(١) القند في ذكر علماء سمرقند، ص:٤١٠.

(٢) تَنْكَتُ: مدينة من مدن الشاش من وراء سيحون. معجم البلدان، ج٢/ص:٥٠.

(٣) معجم البلدن، ج٢/ص:٥٠.

(٤) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ج٢/ص:١٢٥-١٢٦.

منصبه في السلطة، وهو السُّلْطَانُ شمس الملك نَصْرُ بن إِبْرَاهِيْمَ صَاحِبُ مَا وَرَاءَ النَّهْر، الذي جمع بين السلطنة ودراسة العلوم الشرعية وتدريسها، وَخَطَبَ عَلَى مِنْبَرِ بُخَارَى وسَمَرْقَنْد، وَتَعَجَّبُوا مِنْ فَصَاحتِهِ، وَأَملَى الحَدِيْثَ عَنْ عدد من العلماء، وتوفي فِي ذِي القَعْدَةِ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِيْنَ وَأَرْبَعِمائَةٍ(١).

٤- تولي بعض العلماء القراخانيين المهام الدينية في العالم الإسلامي.

كان علماء الدولة القراخانية على اتصال وثيق بالعالم الإسلامي، حيث عملوا كأساتذة في المعاهد العلمية المقامة في الديار الإسلامية آنذاك، أو تَوَلَّوا القضاء في الحواضر الإسلامية، أو شاركوا في حلقات المناظرة، أو تعاملو مع العلماء بطرق أخرى متعددة، وهذا ما يدل على انتشار العلم في تركستان.

وممن تولى المناصب الدينية في البلاد الإسلامية، أبو عبد الله محمد بن موسى بن عبد الله اللّامشي(٢) التركيّ الإمام الفقيه الحنفي، حيث وُلِّي قضاء بيت المقدس مدة، ثم تولى القضاء في دمشق، وكان إماما عالما فقيها على مذهب أبي حنيفة متفننا. وتوفي بدمشق يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الآخرة عام (٥٠٦هـ/١١١٣م)(٣).

كما تولى التدريس في مشهد أبي حنيفة ببغداد الشَّيْخُ أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ عَلِيٍّ التُّرْكِسْتَانِيُّ، وَكَانَ إِلَيْهِ الْمَظَالِمُ، وبقي فيها حتى توفي عام (٦١٠هـ/١٢١٣م) وَدُفِنَ بِالْمَشْهَدِ الْمَذْكُورِ. كما تولى التدريس في مدرسة النورية بدمشق، عام (٦١١هـ) العالم القراخاني مَحْمُودُ بْنُ أَحْمَدَ، الْعَلَّامَةُ جَمَالُ الدِّينِ الْحَصِيرِيُّ البخاري، درس الفقه والحديث ببخارى، فلما وصل إِلَى دِمَشْقَ انْتَهَتْ إِلَيْهِ رِيَاسَةُ الْحَنَفِيَّةِ وعُدَّ شَيْخُ الْحَنَفِيَّةِ بِهَا. وَكَانَ رَحِمَهُ

---

(١) سير أعلام النبلاء، ج١٩/ص:١٩٢ ١٩٣.

(٢) لامِشُ، إحدى القرى في مدينة فرغانة، ينسب إليها عديد من العلماء. معجم البلدان، ج٥/ص:٨.

(٣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، بدون تاريخ، ج٥/ص:٢٠٤. سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١٩/ص:٢٤٥.

اللَّهُ تَعَالَى، غَزِيرَ الدَّمْعَةِ، كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ، عَاقِلًا نَزِهًا عَفِيفًا، تُوُفِّيَ عام (٦٣٦هـ/١٢٣٨م)[1].

٥- ابتعاث الدولة القراخانية الدعاة إلى الله إلى الخارج للدعوة والتدريس.

ومما يدل على انتشار العلم في عهد الدولة القراخانية، ذهاب الدعاة القراخانيين إلى الخارج للدعوة إلى الله، كأَبِي اللَّيْثِ أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ النَّسَفِيُّ الفقيه الواعظ، مِنْ أَهْلِ سَمَرْقَنْدَ وَكَانَ حَسَنَ السَّمْتِ، قَدِمَ بَغْدَادَ فَوَعَظَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَلَدِهِ ومات رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عام (٥٥٢هـ/١١٥٧م)[2].

(١) البداية والنهاية، ج١٧/ص:٣٦. وص:٢٤٣.

(٢) المرجع السابق، ج١٦/ص:٣٨٣.

المبحث الرابع: العوامل التي أدت إلى نجاح الدعوة

لقد انتشرت الدعوة الإسلامية في الدولة القراخانية انتشارا واسعا، بسبب بعض العوامل المصطحبة للدعوة، ويمكن تلخيص تلك العوامل في النقاط التالية:

١- **تطبيق الشريعة الإسلامية.**

إن حاجة الناس إلى تطبيق شرع الله تعالى تفوق حاجتهم إلى ما يقيم صلبهم من طعام وشراب، فكما يُعنى الحكامُ بتوفير الأمن والاستقرار والرفاهية لشعوبهم ودفع الجهل والفقر والمرض عنهم، كذلك يجب عليهم أن يعنوا بإقامة شرع الله بينهم، وتمكينهم من العمل به، عملا بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم «.. الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ..»[1].

ولأن النفس الإنسانية إذا لم تكن عامرة بالإيمان بالله تعالى وحده خاضعة لشريعته، مزقتها الأهواء والشهوات، وأورثتها الخلل والاضطراب والحيرة والفزع، وباتت على شفا جرف هار توشك أن تنهار بها في مهاوي الهلكة والخسران.

فتأتي الولاية السلطانية لتُنْقِذها بتقويمها بموجب ما جاء في الكتاب والسنة من إقامة الحدود والتعازير على الجرائم المقررة في الشرع، فتنتظم بذلك أحوال المسلمين، ويأمن الناس على دينهم، وأنفسهم، وعقولهم، وأعراضهم، وأموالهم.

مفهوم الشريعة في اللغة والاصطلاح:

أ. مفهومها لغة:

الشريعة في اللغة: «مورد الماء الذي يقصد للشرب، وتطلق على الطَّرِيق الَّذِي يُتَوَصَّلُ مِنْهُ إِلَى الْمَاءِ، وَالشِّرْعَةُ وَالشَّرِيعَةُ الطَّرِيقَةُ الظَّاهِرَةُ الَّتِي يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى النَّجَاةِ. وَالشَّارِعُ الطَّرِيقُ الْأَعْظَمُ الواضح المستقيم، وشَرَعَتِ الدوابُّ فِي الْمَاءِ، أَي: دخلت»[2]. أي: أن هذا المصطلح يدل على كل ما هو محدد وواضح خالٍ من الغموض.

ب. مفهومها اصطلاحا:

---

(١) أخرجه الشيخان، خ: كتاب الجمعة باب الجمعة في القرى والمدن، واللفظ له، حديث رقم:٨٩٣.
م: كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر.. حديث رقم:١٨٢٩.

(٢) لسان العرب، ج٨/ص:١٧٥-١٧٦. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج٦/ص:٢١١.

الشريعة في الاصطلاح: هي «ما شرعه الله لعباده من العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات ونظم الحياة في شُعَبها المختلفة لتحقيق سعادتهم في الدنيا والآخرة»[١]. لقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[٢].

الأمة الإسلامية محكومة في عاداتها وتقاليدها بأحكام الإسلام. فالشريعة الإسلامية هي المصدر الذي يُحْكَمُ به ويُتَحاكمُ إليه، ولا يخفى على ذي اللب ما في تحكيم الشريعة وإقامة الدين والاجتماع عليه من قوة المسلمين، وتمكنهم من المحافظة على حقوقهم وصيانة أعراضهم، وهيبة الأعداء لهم، كما أن تعطيلها سبب لكل شر وفتنة في المجتمع، كما يقول الله ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾[٣].

لقد تحقق ذلك في الدولة القراخانية في عهد ملكها الثاني موسى بن ستوق، وإن كان المؤسس (ستوق بغراخان) قد أعلن بتطبيق الشريعة الإسلامية في الدولة عند تأسيسها، إلا أنه اضطر أن يخفف الأحكام لكون الناس حديث عهد بالإسلام، فلما فقه الناس الدين وقويت شوكة المسلمين في عهد موسى بن ستوق، طبق الشريعة الإسلامية كاملة، وحذا حذو أبيه في دعوة البوذيين والمشركين، حتى أسلم منهم مائتا ألف خيمة في عهده، أي: ما يقارب مليونين شخص[٤].

بعد إسلام هذا العدد الهائل من الناس قويت شوكة المسلمين، وازدادت هيبة الدولة عند الأعداء، واستطاع الدعاة نشر الإسلام في أنحاء البلاد كلها؛ لأنهم نصروا دين الله فنصرهم الله، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ

---

(١) وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية، مناع خليل القطان، مركز البحوث في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض، ط: الأولى، عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص:٩.

(٢) سورة المائدة. الآية:٤٨.

(٣) سورة النور. الآية:٥٥.

(٤) تاريخمىز دىكي خاقانلا، ص:١٧٥. قه دىمكي ئويغورلا وه قاراخانىلا، ص:٤٧٤.

أَقۡدَامَكُمۡ﴾[(١)]. وقوله سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[(٢)].

٢- مواصلة الجهاد في سبيل الله.

لقد علق الله سبحانه وتعالى النجاة من النار والعزة في الدنيا والآخرة بالجهاد في سبيله، وما ذاك إلا لفضل الجهاد وعظمته في الدين. ولم يشرع الله الجهاد لمجرد الدفاع فقط، بل شرعه للدفاع والذود عن حياض المسلمين، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإعلاء كلمته، وفسح الطريق وتمهيده للدعاة إلى الإسلام والذائدين عنه والموضحين لمقصوده ومحاسنه. وهكذا أدى الجهاد دورا مهما في انتشار الإسلام في الدولة القراخانية منذ نشأتها إلى سقوطها.

وقد أسلم عشرون ألفا من الكفار عند تأسيس الدولة الإسلامية على يد المؤسس (ستوق بغراخان) بعد هزيمتهم منه في الحرب. وكان ستوق بغراخان يجاهد في الصيف ويتفرغ للعبادة في الشتاء، وقد نشر الإسلام بقوة السيف في عدد من المدن، من الجنوب إلى بلخ[(٣)]، ومن الغرب إلى كنكت، ومن الشمال إلى قراقرم، لأن أهلها كانوا شديدي العداوة للدعوة. وكان بغراخان ينوي غزو الصين بعدما فرغ من غزو طورفان وإسلام أهلها، لكن عاوده المرض، ورجع إلى كاشغر وتوفي[(٤)].

وقد أحب القراخانيون الجهاد في سبيل الله لنيل فضله العظيم، وأظهروا البسالة فيه، حتى استشهد أحد أميرهم في المعركة، وهو علي أرسلان خان (حفيد ستوق بغراخان)، وذلك عندما انتفض البوذيون في البلد على الدولة بدعم من الهند والتبت، قاد علي أرسلان

---

(١) سورة محمد. الآية:٧.

(٢) سورة الحج. الآية:٤٠.

(٣) بَلْخ: من أكبر مدن خراسان، وأكثرها خيرا وأوسعها غلة، تُحمل غلتها إلى جميع خراسان وإلى خوارزم، قيل: بناها إسكندر ذو القرنين، لذلك تسمى الإسكندرية قديما، بينها وبين ترمذ اثناعشر فرسخا، فتحها الأحنف بن قيس في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه. معجم البلدان، ج١/ص:٤٧٩-٤٨٠.

(٤) بوغراخانلا ته زكرىسي، ص:٢١-٢٢.

الجيش الإسلامي وهزم البوذيين شر هزيمة، وبعد انتهاء الحرب اغتاله البوذيون وهو يؤدي إحدى الصلوات في جانب ميدان الحرب[١].

ولم يتوقف الجهاد في عهد أيٍّ من الحكام القراخانيين، بل استمر إلى عهد آخر الملك في الدولة، وكان آخر جهادهم ضد الخطا الصيني، حيث قاد المعركة معهم في كاشغر، الخان أحمد بن الحسن، وفي سمرقند وفرغانة السلطان عثمان، حتى دحروا القراخطاي من البلاد رغم ما أصابهم من الضعف بسبب الانقسام الداخلي، وانتصروا على الكفار بفضل من الله، ثم بفضل شجاعتهم وحماستهم في الدفاع عن الدين[٢].

لقد أحسن من قال:

فِي فِتْيَةٍ مِنْ جُيُوشِ التُّرْكِ مَا تَرَكَتْ ... لِلرَّعْدِ كَرَّاتُهُمْ صَوْتًا وَلَا صِيتَا

قَوْمٌ إِذَا قُوبِلُوا كَانُوا مَلَائِكَةً ... حُسْنًا وَإِنْ قُوتِلُوا كَانُوا عَفَارِيتَا[٣].

٣- القدوة الحسنة.

يقصد بالقدوة الحسنة: «الداعية الذي ينظر إليه الناس فتجله أنظارهم وتحبه قلوبهم ويكون صالحا في نفسه، مصلحا لغيره، بالسيرة الحسنة والمسلك الطيب والأثر الحميد»[٤].

والقدوة في الحقيقة دعوة عملية للإسلام بكل ما يحمله من مبادئ وقيم تدعو إلى الخير وتحث على الفضيلة.

ولها دورٌ كبير في إعلاء الهِمم وإصلاح المسلمين، فمَن كان عالي الهِمَّة اقتَدى به غيره، فأصلَح نفسه وأصلَح غيره، لذلك نجد في القرآن الحث والترغيب على القدوة، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[٥].

حيث لَم يقل سبحانه وتعالى: على لسان عباده الصالحين "واجعَلنا في المتقين"، بل

---

(١) المرجع السابق، ص:٢٥.

(٢) الكامل، ج٩/ص:١١٧. وج١٠/ص:٢٥٨.

(٣) البداية والنهاية، ج١٦/٢٨٥.

(٤) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، ج٢/ص:٧٥١.

(٥) سورة الفرقان. الآية:٧٤.

قال: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ تربية للمؤمنين على أن يكونوا قدوة لغيرهم في الخير. كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: في معنى الآية، «وَاجْعَلْنَا أَئِمَّةً لِمَنْ يَقْتَدِي بِنَا»(١).

ودين الإسلام دين القدوة، وأعظم قدوة فيه هُم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى رأسهم نبيُّنا محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك جعَله الله لنا أُسوة نتأسى به، فقال ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾(٢). قال ابن كثير رحمه الله: «هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَصْلٌ كَبِيرٌ فِي التَّأَسِّي بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ.. دَائِمًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ»(٣).

وقد تأسى العلماء القراخانيون وحكامهم بالنبي صلى الله عليه وسلم حسب طاقتهم وصاروا قدوة في المجتمع، وهذا ما أدى إلى انتشار الدعوة الإسلامية في البلاد، أما العلماء فهم أشد الناس تأسياً بالقائد الأعلى صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم أتقى الناس لله وأخشاهم له، لتزكية الله تعالى إياهم بقوله: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾(٤).

ولهذا أضرب صفحاً عن ذكر النماذج منهم في القدوة، إذ السواد الأعظم من العلماء هم القدوة، آللهم إلا من شذَّ. وأما الملوك والحكام من القراخانيين فقيل: عن كثير منهم ما يقال: في العلماء الربانيين والصالحين، وكان لهم الدور القيادي في الجهاد، والعلم، والصلاح والورع، ومن النماذج على ذلك ما يلي:

أولا: القدوة في الجهاد.

استمر الجهاد في عهد الدولة القراخانية منذ تأسيسها إلى آخر عهدها، وأسهم كل من حكامها في هذا الميدان حسب طاقتهم، وبرز من هؤلاء الحكام أبطال عديم المثل، تحقق على أيديهم من النصر والفتوح ما لم يتحقق على يد غيرهم، ومن أبرزهم:

١- الأمير علي أرسلان خان.

---

(١) مجموع الفتاوى، ج٨/ص:٢١٠.

(٢) سورة الأحزاب. الآية:٢١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ج٦/ص:٣٩١.

(٤) سورة فاطر. الآية:٢٨.

يعدُّ الأمير علي أرسلان خان قائدا فذا في البطولة والشجاعة في الجهاد ضد الكفار، في الدولة القراخانية، حيث كان شديد الحماسة في حماية الدين والدفاع عنه، وكان سيف الله المسلول على البوذيين، ولم تعهد له هزيمة في جهاده للكفار. حتى عجز البوذيون عن مواجهته وخافوا منه خوفا عظيما، وتحيروا من حسن قيادته للجيش الإسلامي، وكثرة انهزامهم في المعركة معه، حتى توصلوا إلى طريقة قتله بواسطة العميل والجاسوس لهم، بعد علمهم بأنه لا يمكن قتله إلا في حال أداء الصلاة، فكادوا له كيدا وتربصوا حتى قام علي أرسلان خان لصلاة الفجر ومعه المجاهدون، شاء القدر أن يطيل الإمام القراءة في الصلاة، رغم إرادته بقراءة سورة من قصار المفصل، لكونهم في ميدان المعركة مع العدو، فبينما هم في الصلاة باغتهم العدو وقتلوا علي أرسلان خان وعددا من المجاهدين(١).

وكان رحمه الله أسدا من أُسد الله في الذود عن الدين والعقيدة الإسلامية الصحيحة. وجدير أن يقال فيه:

حَامِي الحَقِيْقِ تخالُهُ عِنْدَ الوَغَى ... أسدا بِبِيْشَةَ كاشِرَ الأَنْيابِ
أَسَدًا تَنَاذَرَهُ الرِفَاقُ ضُبارِمًا ... شَثْنُ البراثِنِ لاحِقَ الأَقْرابِ(٢)

٢- يوسف قدرخان.

وقد تحقق على يد هذا البطل الشَّهْمِ الهُمامِ ما لم يتحقق على يد غيره من الملوك، من الانتصار على العدو، والفتوح، وكان رحمه الله يقود الجيوش تحت إشراف علي أرسلان خان في حياته، وبعد وفاته أصبح القائد الأعلى للجيش الإسلامي، كان يُنتدبُ إلى ما استُعْصي من الأمور على الأمراء، فتنحل الأمور بتوفيق من الله، وَكَانَ رحمه الله — كما وصفه ابن

---

(١) بوغراخانلا ته زكرسي، ص:٢٥-٢٦.

(٢) شرح ديوان الخنساء، لأبي العباس أحمد بن يحيى بن سيار الشيباني النحوي، المعروف ب" ثعلب، تحقيق: د/ أنور أبو سويلم، دار عمار الأردن — عمان، ط: الأولى، عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ص:٢٣٥. شرح الغريب: الحقيق والحقيقة: ما يحق له أن يحميه من مال وولد ونساء، بيشة: واد من أودية تهامة. شثن البراثن: غليظ الأصابع. الضبارم: الشديد الخلق الموثق. الأقراب: الخواصر. اللاحق: الضامر. أي: مع ضخامة الجسم خفيف الحركة نشيط. المرجع نفسه.

الأثير:«وَكَانَ قَدْرُخان عَادِلًا، حَسَنَ السِّيرَةِ، كَثِيرَ الْجِهَادِ، وَكَانَ يُدِيمُ الصَّلَاةَ فِي الْجَمَاعَةِ»(١). وقال بعض المؤرخين: «إنه طَهَّرَ بلاد الترك من الكفر»(٢). وكان رحمه الله بطلاً مغواراً قائدا فذّاً شديدا الحماسة في حماية الدين، وقوي العزيمة في الجهاد ضد الكفار، وجدير أن يقال فيه:

وإنّ قَدْراً لَتَأتَمّ الهُداةُ بِهِ ... كَأنّهُ عَلَمٌ في رأسِهِ نارُ

جَلَدٌ جميلُ المحيَّا كاملٌ ورعٌ ... وَللحروبِ غداةَ الرَّوعِ مِسْعارُ

حَمّالُ ألوِيَةٍ هَبّاطُ أودِيَةٍ ... شَهّادُ أنْدِيَةٍ للجَيشِ جَرّارُ

نَحّارُ راغيةٍ مِلجاءُ طاغيةٍ ... فَكّاكُ عانِيَةٍ للعَظْمِ جَبّارُ(٣)

ثانيا: القدوة في العلم.

لم يكتف الملوك القراخانيون بتأييدهم العلماء ودعمهم فحسب، بل اعتزل بعضهم منصبه وتفرغ للعلم، من أجل ترغيب الناس وحثهم على تحصيل العلم الشرعي. ومن أبرزهم:

١- أَبُو عبد الله مجد الدّين الختني.

قد ترك أبو عبد الله إمارته لأخيه الأصغر ليتفرغ في طلب العلم ودعوة أهل بلده ونُصْحِهم، فتنقل بين سَمَرْقَنْد وبخارى وخراسان، طلبا للعلم والنصح للمسلمين، ثمَّ ورد إِلَى الشام طلبا للعلم، فولاه السُّلْطَان مَحْمُود بن زنكي إدارة الْمدرسَة الصادرية. ثمَّ ورد إِلَى الديار المصرية وتولى فيها إدارة الْمدرسَة السيوفية، وَهُوَ أَوَّلُ من درّس فيهَا وانتفع بِهِ جمَاعَة. فَلَمَّا رجع إلى بلده أَمر بِبُطْلَان مَا كَانَ حسنه لَهُ الطغاة، ورد الْمَظَالِم، ثم عَاد بعدها إِلَى مدرسته في مصر، وأقام فيها حتى تُوفِّي سنة (٥٧٦هـ/١١٨١م)(٤).

٢- نصر بن إبراهيم بن نصر السّلطان شمس الملك صاحب ما وراء النّهر.

---

(١) بوغراخانلا ته زكرسيي، ص:٢٤-٢٥. الكامل، ج٧/ص:٥٤٥، وص:٥٨٩، وص:٦٤٣.

(٢) المختصر في أخبار البشر، ج٢/ص:١٥٨.

(٣) البيت لخنساء رضي الله عنها، قالته في رثاء أخيها صخر، وتصرفت فيه. ديوان الخنساء رضي الله عنها، شرح وتعليق: حمدو طماش، دار المعرفة – لبنان، ط: الثانية: ١٤٢٥هـ، ص:٤٦.

(٤) الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، ج٢/ص:١٢٥-١٢٦.

تتلمذ شمس الملك على أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الشوماني البلخي الواعظ، الملقب بزين الصالحين، وكان من أفاضل الملوك علماً ورأياً وحزماً وسياسةً، وكان حسن الخط، كتب مصحفا ودرس الفقه في دار الجوزجانية، وأملى الحديث عَنْ حَمْدِ بن مُحَمَّدٍ الزُّبَيْرِيّ، وأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الشوماني البلخي، ورَوَى عَنْهُ: مُحَمَّدُ بنُ نَصْرٍ الخَطِيْبُ(١).

وهناك العديد من ملوك القراخانيين، لم يعتزلوا السلطة ليتفرغوا للعلم، لكنهم كانوا علماء، يتضح ذلك في تقديرهم للعلم واحترامهم للعلماء، وهذا كما قيل: إنما يعرف ذا الفضل من الناس ذووه(٢).

ومن النماذج على ذلك، الملك هارون بغراخان، قيل عنه: إنه كَانَ دَيِّنًا، خَيِّرًا، عَادِلًا، حَسَنَ السِّيرَةِ، مُحِبًّا لِلْعِلْمِ وَأَهْلِ الدِّينِ، مُكْرِمًا لَهُمْ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُكْتَبَ عَنْهُ: مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم(٣).

وقيل عن عمر بن قدر خان (أبو شجاع أرسلان خان) الملقب بشَرَف الدَّوْلَةِ، كَانَ دَيِّنًا، مُكْرِمًا لِلْعُلَمَاءِ وَأَهْلِ الدِّينِ، فَقَصَدُوهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، فَوَصَلَهُمْ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ(٤).

ثالثا: القدوة في الصلاح والزهد.

كان الملوك القراخانيون أهل دين وصلاح، ولم يرد في سيرتهم ما يسيء سمعتهم من خوارم المروءة، إلا من شذَّ عنهم، كما ذكر الكرديزي مضايقة يوسف قدرخان في مجلس محمود الغزنوي لما رأى فيه من المنكر، وقال: «وحينما قدم قدرخان أمر السلطان محمود فأعدوا خوانا كامل البهاء والجمال، وأكلا معاً على خِوانٍ واحدٍ، وحينما فرغوا من الخوان قدما إلى مجلس الطرب، وكان قد زيّن فبدا غاية في الروعة والبهاء، بأنواع من الورود

---

(١) الأنساب للسمعاني، ج٨/ص:١٧٥. سير أعلام النبلاء، ج١٩/ص:١٩٣.

(٢) شرح الشواهد الشرعية في أمات الكتب النحوية، محمد محمد حسن شُرّاب، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط: الأولى، عام ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م، ج٣/ص:٣١٧.

(٣) الكامل، ج٧/ص:٤٦٠.

(٤) المرجع السابق، ج٧/ص:٦٤٤.

والرياحين التي لم يرها إنسان.. وتحلى المجلس بصنوف الكئوس الذهبية والبلورية.. فتملك قدرخان العجب والحيرة من ذلك، وجلسا فترة ولم يحتس قدرخان الخمر، إذ لم تكن لملوك ما وراء النهر عادة احتساء الشراب .. ثم نهض»(١).

وقال بارتولد أيضا: «القراخانيون الأوائل أكثر تمسكاً بتعاليم الإسلام من محمود ومسعود.. ولم يكن الدين في أعين القراخانيين وسيلة للحفاظ على عرشهم فحسب، بل كانت تعاليمه تُطَبَّقُ على الجميع بما في ذلك الملوك، الذين أحجموا عن تناول الخمر لتعارضها مع الدين»(٢).

ومن أبرز هؤلاء الملوك الصالحين:

١- الملك الصالح الزاهد أحمد طغان خان.

كان طغان خان ملكا صالحا وزاهدا ربانيا، ومن صلاحه أنه لما ولي الملك بعد أخيه إيلك خان، صالح مع السلطان محمود الغزنوي، وصلحت الأحوال وامَّحَتْ آثار الفتنة في خراسان وما وراء النهر. وكان رحمه الله من مجابي الدعاء، وفي آخر عهده في ولايته، هاجم بلاده كفار الخطا الصينيون عددهم زهاء ثلاثمائة ألف، وهال المسلمين أمرهم، وكان طغان خان عليلا، فلمّا بلغه الخبر تضرّع لله أن يعافيه حتى ينتقم من هؤلاء الكفرة ويدفعهم عن البلاد، فاستجاب الله دعاءه، فاستنفر طغان خان طوائف المسلمين وغيرهم، واستقبلهم فهزمهم، وقتل منهم نحو مائة ألف وأسر مثلها، وهرب الباقون منهزمين. وكان رحمه الله محبا لأهل العلم والدين(٣).

٢- الملك الصالح العالم نصر بن إبراهيم بن نصر (شمس الملك).

كان شمس الملك من سلالة عريقة النسب معروف بالصلاح عن أبٍ وجدٍّ، حيث كان جده (نصر بن أيلك) أحكم قبضة الدولة القراخانية في بلاد ما وراء النهر، وَكَانَ زَاهِدًا

---

(١) ينظر: زين الأخبار للكرديزي، ص:٢٦٦.

(٢) ينظر: تركستان، لبارتولد، ص:٤٥٢.

(٣) ينظر: تاريخ ابن خلدون، ج٤/ص:٥١٥.

وَمُتَعَبِّدًا، وذكر بارتولد أنه كان من أصحاب الكرامات[١].

وبعد وفاة نصر تولى أولاده إمارة البلاد، فلما تعرضت الدولة القراخانية للانقسام، استولى أولاده على بلاد ما وراء النهر، وورث ابنه طفغاج خان مُلْكً أبيه، واقتفى أباه في الزهد والصلاح، وَكَانَ لَا يَأْخُذُ مَالًا حَتَّى يَسْتَفْتِيَ الْفُقَهَاءَ، ومن زهده عزم على ترك الملك، ثم تراجع بطلب من أهل الحل والعقد في البلاد[٢]. لكنه تنازل عن الملك في آخر حياته لابنه شمس الملك. وقد نال شمس الملك هذا الشهرة كحاكم عادل شأنه شأن أبيه، وكان يمنع جيشه من مدِّ أيديهم بسوء نحو الأهالي، ولم يكن أحد من عسكره ليجرؤ على البقاء بالمدينة بعد مغيب الشمس. ومن صلاح هذا الملك أنه اشترى ضياعا كثيرة بباب إبراهيم وأنشأ فيها بساتين في غاية الجمال، وعمر عمائر ومباني وأنفق الأموال الطائلة والخزائن في تلك العمارات وسماها "شمس آباد"[٣].

ووصفه بعض المؤرخين بأنه «أعظم السلاطين وأقواهم، وأن بلاده كانت تمتد إلى ما وراء خجندة، وأن منشآته العامة: من دور للضيافة وحمامات ومدارس وغيرها، قد ظلت جميعها قائمة من بعده لعدة قرون.. وظل أهل بخارى يذكرونه بالتعظيم كذلك»[٤].

ومن أجل صلاح حكام البلاد، صلحت البلاد وانتعشت الحياة فيها، وانتشرت الدعوة الإسلامية في أرجائها. فرحمة الله على الدعاة المصلحين والحكام العادلين في هذا العصر، وجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين كل خير، أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع.

---

(١) تركستان، لبارتولد، ص:٤٥٩.

(٢) ينظر: الكامل، ج٧/ص:٦٤٤.

(٣) ينظر: تركستان، لبارتولد، ص:٤٦٢-٤٦٣. وتاريخ بخارى للنرجشي، ص:٥١.

(٤) تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، أرمينيوس فامبري، ص:١٤٠.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشكره على ما يسر لي في إنجاز هذا البحث من المتطلبات، وأصلي وأسلم على هادي البشرية إلى سبل الخيرات، وعلى آله وأصحابه وأتباعه أولي الفضل والمكرمات. وبعد:

فقد اشتملت الخاتمة على: ملخص البحث، وأهم النتائج، والتوصيات.

أولا: الملخص.

الدولة القراخانية هي أول دولة تركية إسلامية تأسست في تركستان الشرقية عام (٣١٥هـ/٩٢٧م) وعاصمتها مدينة كاشغر، ثم وسعت رقعتها وضمت التركستان الغربية (بلاد ما وراء النهر) عام (٣٨٩م/٩٩٨م) على إثر سريان الوهن والتفكك في الدولة السامانية التي كانت تحكم المنطقة منذ عام (٢٦١هـ/٨٥٧م). فأصبحت الدولة القراخانية بهذا الاتساع دولة قوية عظيمة، يرهبها الأعداء ويهابها الجوار. واستغلت الدولة قوتها وسخرت نفوذها في نشر الإسلام والعقيدة الإسلامية الصحيحة في البلاد وخارجها، بالدعوة والتعليم والجهاد إلى آخر عهدها، ويمكن تلخيص تلك الجهود في النقاط التالية:

- تحويل نظام الدولة إلى النظام الإسلامي في عهد الملك المؤسس ستوق بغراخان، ودعوة الناس إلى الإسلام في آفاق البلاد.
- تطبيق الشريعة الإسلامية في عهد ملكها الثاني موسى بن ستوق بغراخان.
- نشر العلم في المجتمع، ببناء المدارس واستقدام العلماء من الخارج، ودعم العلماء واحترامهم واتخاذهم بطانة لهم، وتوليتهم المناصب العليا في الدولة.
- مواصلة الجهاد منذ تأسيسها إلى سقوطها، وقد قاتل القراخانيون مدة حكمهم كُلاً من البوذيين الذين وقفوا ضد نشر الدعوة، والمرتدين، والمعتدين على دولتهم من كفار القراخطاي والنايمان.
- مصالحتهم فيما بينهم في تولي السلطة، ومع الدول المجاورة المنافسة لهم، كالغزنوية والسلاجقة، حقنا لدماء المسلمين، ولكي يتفرغ الكل لدعوة الناس إلى الله، ومحاربة أعداء الدين.

واستمرت الدولة القراخانية في نشر الدعوة الإسلامية منذ نشأتها إلى سقوطها، عام (٦٠٩هـ/١٢١٢م) وتسببت في سقوطها عوامل عدة، منها:

- التفكك والانقسام الداخلي بين أفراد الأسرة المالكة، في عام (٤٣٤هـ/١٠٤٣م).
- هيمنة القوى الخارجية على الدولة، كالسلاجقة، والخوارزم شاه، وكفار القراخطاي،

حتى سقطت عام (٦٠٩هـ/١٢١٢م)، بقتل الخوارزم شاه السلطان عثمان القراخاني، بعد ما حكمت تركستان الشرقية والغربية قرابة ثلاثة قرون.

ثانيا: أهم النتائج.

وقد كشفت الدراسة عن جهود القراخانيين في الدعوة إلى الله في تركستان، وأدت إلى جملة من النتائج تتلخص في الآتي:

١-أن القراخانيين هم الأويغور وينتسبون إلى الترك، عاشوا واستقروا في تركستان منذ ما قبل الميلاد، أسسوا دولتهم الإسلامية في تركستان الشرقية أولا، ثم ضموا بلاد ما وراء النهر، ووحدوا تركستان مع قسمها الغربي، وخدموا الإسلام مدة حكمهم خدمة جليلة.

٢-لقد ساعدت الجهود الدعوية للدعاة القراخانيين في توفير بيئة مناسبة للدعوة الإسلامية في الدولة، وأدت إلى تقدم كبير في انتشار الدعوة بين القبائل التركية في أرجاء الدولة.

٣-برز خلال الدراسة أن العناية بموضوعات الدعوة من عقيدة وشريعة وأخلاق، أسهم إلى حد بعيد في تحقيق أهداف الدعوة الإسلامية، والوصول إلى ما ينشده الداعية من نجاحات وإصلاحات.

٤-اتضح في الدراسة أن الإسهام في المجال الدعوي ليس حكراً على العلماء والمصلحين، بل شارك فيه الملوك والوزراء والأمراء، وجهدهم كان أكثر فعالاً من جهد غيرهم، لرفعة مكانتهم بين رعيتهم.

٥- تبين في الدراسة أنه ينبغي للدعاة أن يوجهوا دعوتهم لكل أصناف المجتمع وطبقاته، وعدم التركيز على صنف دون الآخر، إذ الكل لهم الحقُّ في إيصال الحقِّ،

كما يلزم على الدعاة أن يتسلحوا بالعلم حتى يتمكنوا مخاطبة أطياف المجتمع كلهم بما يقتضي حالهم.

٦- عُلمَ من خلال الدراسة أهمية تنويع الأساليب واستخدام كافة الوسائل في الدعوة، إذ على الداعية أن يستخدم كافة الوسائل المشروعة في الدعوة حسب ما تقتضيه الحال والمكان، وليحرص على تنويع ميدان دعوته وعدم الاقتصار في مجال دون غيره.

٧-تبين أثناء دراسة الموضوع، أن أي دعوة إصلاحية لابد أن تتعرض على العوائق الخارجية والداخلية، تعيق نجاحها وتحد من تقدمها وانتشارها، وعلى الداعية أن يقاومها ويسعى للقضاء عليها كيلا تَحُوْلَ تلك المعوقات بينه وبين مهامه الدعوية.

٨-أوضحت الدراسة نتائج الدعوة الإسلامية في عصر الدولة القراخانية، والعوامل التي أدت إلى الانتشار وأسهمت في نجاحها، وهذا فيه دروس وعبر للداعية الحق الذي يحرص ويرجو جني ثمار دعوته.

ثالثا: أهم التوصيات.

أَوَدُّ في ختام هذه الدراسة أن أقدم بعضَ التوصيات التي أراها مناسبة بعد أن عشت فيها أكثر من مدة سنتين مع فصولها ومباحثها، وذلك كالتالي:

١-أوصي بأن تعنى الجامعات الإسلامية في العالم الإسلامي، بدراسة الدولة القراخانية تاريخياً ودعوياً، والتعرف على مسيرة الدعوة الإسلامية فيها؛ لأن في التاريخ ضوءا كاشفا يفيد الحاضر بما يحمله من تجارب ثرَّةٍ للعلماء والدعاة.

٢-أوصي دراسة جهود العلماء التركستانيين، وإبراز جهودهم في نشر الإسلام، عبر تخصصاتهم المختلفة، في العلوم الشرعية في عهد الدولة القراخانية.

٣-أقترح في موضوع الدعوة أن تكون هناك دراسة في أقسام الدعوة في كليات الجامعات الإسلامية، أو للبحوث المحكمة، في الموضوعات التالية:

أ. الدعوة الإسلامية في تركستان بعد سقوط الدولة القراخانية (في عهد المغول). من عام ٦١٥-٩٢٠هـ/١٢١٨-١٥١٤م) إلى سقوط دولة المغول في تركستان.

ب. جهود علماء الأويغور في إسلام المغول.

ت. جهود علماء الأويغور في الدعوة إلى الله في عهد الدولة السعيدية، من عام (٩٢٠-١٠٩٠هـ/١٥١٤-١٦٧٩م).

ث. تآمر الصوفية في إسقاط الدولة الإسلامية السعيدية في تركستان الشرقية، (آفّاقْ غوجا أنموذجا).

ج. الدعوة الإسلامية في تركستان الشرقية في عهد الخوجات (الدويلات الصغيرة) من عام (١٠٩١-١٢٩٢هـ/١٦٧٩-١٨٧٥م.

ح. الدعوة الإسلامية في تركستان الشرقية بعد احتلال الإمبراطور الصيني المنشوري، من عام (١٢٩٢-١٣٢٩هـ/١٨٧٥-١٩١١م).

خ. الدعوة الإسلامية في تركستان الشرقية في عهد الحكومة الصينية الوطنية، (١٣٢٩-١٣٦٨هـ/١٩١١-١٩٤٩م).

د. الدعوة الإسلامية في تركستان الشرقية في عهد الشيوعية (١٣٦٨هـ/١٩٤٩م)، إلى أحداث الحادي سبتمبر، (١٤٢١هـ/٢٠٠١م).

ذ. الدعوة الإسلامية في تركستان الشرقية في ظل سياسة الصين (مبدأ الصين الواحدة ودمج الأقليات المسلمة مع عرقية الهان). أو في عهد الثورة العرقية للشيوعية ضد الأقلية الأويغورية.

ر. جهود العلامة عبد الحكيم مخدوم الكاشغري (المتوفى:١٩٩٣م) في نشر العلم وتصحيح العقيدة في تركستان الشرقية.

ز. جهود العلامة محمد صالح الأرتوجي (المتوفى:٢٠١٨م) في الدعوة إلى الله في تركستان الشرقية.

س. جهود علماء التركستانيين المغتربين في نشر الدعوة الإسلامية في بلدهم في ظل التحديات المعاصرة.

وفي الختام، أسأل الله العلي القدير أن يتقبل مني هذا الجهد ويجعله لي ذخرا ﴿يَوۡمَ لَا

يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[١]. كما أسأله سبحانه أن يوفقني –كما وفق أسلافي– لخدمة الدين ونشر الدعوة الإسلامية في بلدي وغيره، لأكون مع ركب الدعاة إلى الله يوم ألقاه، إنه ولي ذلك والقادر عليه. ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[٢].

تم بحمد الله

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

سَيَبْقَى الخَطُّ بَعْدِي فِي الكِتَابِ ... وَتَبْلَى اليَدُ مِنِّي فِي التُّرَابِ

فَيَا لَيْتَ الَّذِي يَقْرَا كِتَابِي ... دَعَا لِي بِالخَلَاصِ مِنَ الحِسَابِ

(١) سورة الشعراء:٨٨–٨٩.

(٢) سورة هود:٨٨.

الفهارس

وتشتمل على:

فهرس الآيات.

فهرس الأحاديث.

فهرس الآثار.

فهرس الأعلام.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات

الأية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾	البقرة٦٧	٢٥٦
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً﴾	البقرة١٤٣	١١٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾	البقرة١٧٢	١١٤
﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾	البقرة١٨٨	١٢٦
﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾	البقرة١٩٠	١٤١
﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾	البقرة٢٠١	١١٥
﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾	البقرة٢١٣	١٣١
﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾	البقرة٢١٣	١٣١
﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	البقرة٢١٦	٢٠٥
﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ﴾	البقرة٢١٧	٢٤٤
﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾	البقرة٢٥٦	٢١٧
﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾	البقرة٢٦٩	١٦٧
﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾	البقرة٢٨١	٢٢١

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾	آل عمران٧	١٦٣
﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾	آل عمران١٤	١٦٣
﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾	آل عمران:١٠٣	٢٢٦
﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾	آل عمران١٠٣	٢٢٦
﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	آل عمران١٠٤	٢٣٧
﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾	آل عمران١٤٦	١٤٢
﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾	النساء٤٩	١٢١
﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾	النساء٤٩	١٢١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ﴾	النساء٥٨	١٧٦
﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا﴾	النساء٦٦	١٧٦
﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا	النساء١٢٨	١٩٨

جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًاۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌۗ﴾		
﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ﴾	المائدة٤٨	٢٩٠
﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾	الأنعام٣٥	٢٥٦
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾	الأنعام٨٢	٢٤٢
﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾	الأعراف٣١	١٢٦
﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	الأعراف٣٢	١١٤
﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	الأعراف٦٢	١٨٣
﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾	الأعراف٧٩	١٨٣
﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾	الأعراف١٣٦	١٦١
﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾	الأعراف١٣٨	٢٥٦
﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ	الأعراف١٧٥-١٧٦	٢٦٣

يَلۡهَثۚ..﴾		
﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾	الأعراف٢٠٥	١٦١
﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾	الأنفال٣٩	١٤٣
﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ﴾	الأنفال٦٠	٢٤٥
﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾	الأنفال٦١	٢٠٠
﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾	التوبة٩١	١٨٣
﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾	التوبة١٠٣	١٢٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ﴾	التوبة١٢٣	١٤١
﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَٱخۡتَلَفُواْۚ﴾	يونس١٩	١٣١
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ* أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾	يونس٧-٨	١٦٢
﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾	يونس٩٢	٢٩٠
﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾	يونس١٢٨	١٥٨
﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾	هود٤٦	٢٥٦
﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾	هود٨٨	٢٦٦

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾	إبراهيم٢٤-٢٥	١٧٦
﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾	الحجر٤٩-٥٠	١٨٨
﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾	النحل٣٣	١٦٢
﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾	النحل٣٦	١٠٣
﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾	النحل١١٦	١١٤
﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾	النحل١٢٥	١٧٦
﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾	النحل١٢٥	
﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾	النحل١٢٥	
﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾	النحل١٢٥	
﴿وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا﴾	الإسراء٢٦-٢٧	١٢٦
﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾	الإسراء٣٢	١٥٨
﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾	الإسراء٣٦	٢٣٠

﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾	الإسراء٥٧	١٨٨
﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾	الإسراء:١٠٦	٤٧
﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾	الكهف٢	١٨٨
﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾	الكهف٢٨	٢٦٤
﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾	الكهف٢٩	٢١٧
﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ﴾	مريم١٣	١٢٠
﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾	طه٤٣-٤٤	١٧٣
﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾	طه ١١٤	٢٣٠
﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾	طه١٢١-١٢٢	١٥٧
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾	الحج٣٩	٩٩
﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾	الحج٤٠	٢٩١
﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾	المؤمنون٣٢	١٣١
﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ﴾	المؤمنون ٧١	٢٦٣
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن	النور٥٥	٢٩٠

قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾		
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ﴾	الفرقان ٥٤	٢٠٦
﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾	الفرقان ٧٤	٢٩٣
﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾	الشعراء ٨٨-٨٩	٢٦٦
﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾	الشعراء ١٣٧	١١٦
﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾	النمل ٣٥	٢٢٣
﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾	النمل ٥٥	٢٥٦
﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾	القصص ١٥	١٤٨
﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾	الروم ٤-٦	٢٧٣
﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾	الروم ٣٠	١٢١
﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ..﴾	الأحزاب ١٨	٢٥٤
﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾	الأحزاب ٢١	٢٩٣

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾	فاطر١٨	١٢٢
﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ﴾	فاطر٢٨	٢٩٣
﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾	فاطر٣٢	١٥٧
﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾	الصافات٨٣	١٤٨
﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾	الصافات١١٦	١٠١
﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾	الزمر٦٤	١٥٩، ٢٥٦
﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾	غافر٥٨	١٦٣
﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾	الجاثية٢٣	٢٦٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾	محمد٧	٢٩١
﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم﴾	محمد١٤	١٦٤
﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾	محمد١٩	٢٣٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ۚ﴾	الحجرات١٣	٢٠٦
﴿أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾	الحجرات٦	٢٥٦
﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	الذاريات٥٥	١٧٧

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	الذاريات٥٦	٢٣٧
﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾	النجم١-٤	٢٦٣
﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾	النجم٣٢	١٢٠
﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ﴾	الحديد٢٣	١٢٥
﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾	المجادلة١١	٢٣٠
﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	الصف٨	٩٩
﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾	الجمعة٢	١١٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾	التحريم٩	١٥٣
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	القلم٤	١١٧
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾	نوح٨-٩	١٧٠
﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾	النازعات١٨-١٩	١٧٣
﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾	النازعات٤٠-٤١	٢٦٢

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾	الشمس٩	١٢٠
﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾	العلق١–٥	٢٣٠
﴿وَٱلْعَصْرِ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾	العصر ١–٣	١٨٣

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: المصادر الأصيلة.

١- آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني، (المتوفى:٦٨٢هـ)، دار صادر – بيروت، ط: بدون، عام ١٤٢٥هـ.

٢- الأحكام السلطانية، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: أحمد جاد، دار الحديث – القاهرة، ط: الأولى، عام ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٣- الأحكام السلطانية، للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، تعليق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط: الثانية: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٤- إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المنهاج – السعودية جدة، ط: الأولى، عام ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٥- أخبار الدولة السلجوقية، صدر الدين أبي الحسن علي بن ناصر بن علي الحسيني، تصحيح: محمد إقبال، الناشر: كلية بنجاب لاهور – باكستان، ط: الأولى، عام ١٩٣٣م.

٦- أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي، دار مكتبة الحياة، عام ١٩٨٦م.

٧- الأدب المفرد محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية- بيروت، ط: الثالثة عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٨- أسماء الكتب، عبد اللطيف بن محمد بن مصطفى رياض زاده الحنفي، تحقيق: د/ محمد التونجي، دار الفكر – دمشق السورية، ط: الثالثة، عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٩- أصول الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط: الثالثة، عام ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.

١٠- الأضداد، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، تحقيق: محمد

أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ط: بدون، عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١١- الاعتصام لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي (المتوفى:٧٩٠هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان السعودية، ط: الأولى، عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١٢- الإعجاز والإيجاز لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، دار الغصون بيروت – لبنان، ط: الثالثة: عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٣- الإنباء في تاريخ الخلفاء، محمد بن علي بن محمد العمراني، تحقيق: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية القاهرة، ط: الأولى، عام ١٤٢١هـ.

١٤- الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، (المتوفى:٥٦٢هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الهند، ط: الأولى، عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

١٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، عام ١٤١٨هـ.

١٦- إيضاح المكنون ذيل كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط: بدون، عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

١٧- البحر الزخار (مسند البزار) أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن وآخرون، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ط: الأولى، عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٨- البدء والتاريخ، للمطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد. بدون تاريخ.

١٩- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (المتوفى:٧٧٤هـ)، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر،

ط: الأولى، عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٢٠- بغية الطلب في تاريخ حلب، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم، (المتوفى:٦٦٠هـ)، تحقيق: د/سهيل زكار، دار الفكر، بدون تاريخ.

٢١- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (المتوفى:٩٩١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، بدون تاريخ.

٢٢- تاريخ إربل، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي، المعروف بابن المستوفي، (المتوفى:٦٣٧هـ)، تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، ط: بدون، عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٢٣- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين الذهبي، (المتوفى:٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي بيروت – لبنان، ط: الثالثة، عام ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٢٤- تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا، باللغة التركية، تعريب: عدنان محمود سلمان، مؤسسة فيصل للتمويل إسطنبول – تركيا، ط: الأولى، عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢٥- تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري، (المتوفى:٣١٠هـ) دار التراث، بيروت، ط: الثانية، عام ١٣٨٧هـ.

٢٦- تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان (المتوفى:١٩٥٦م)، تعريب: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط: الخامسة، ١٩٦٨م.

٢٧- تاريخ بخارى لأبي بكر محمد بن جعفر النرجشي، (المتوفى:٣٤٨هـ) تعريب: د/ أمين عبد المجيد البدوي ونصر الله مبشر الطرازي، دار المعارف – القاهرة، ط: الثالثة، عام١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٢٨- تاريخ بغداد وذيوله، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى:٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، عام ١٤١٧هـ.

٢٩- تاريخ بيهق، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي،

(المتوفى:٥٦٥هـ)، تعريب: دار اقرأ، دمشق، ط: الأولى، عام١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

٣٠- مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، قوام الدين الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصبهاني (المتوفى:٦٤٣هـ)، مطبعة الموسوعات بمصر، عام ١٣١٨هـ/١٩٠٠م.

٣١- تاريخ فاتح العالم جهان كشاي، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين بن محمد الجويني، تعريب: محمد السباعي، المركز القومي للترجمة – القاهرة، ط: الأولى، عام ٢٠٠٧م.

٣٢- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى:٧٤٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية – بولاق، القاهرة، ط: الأولى، عام ١٣١٣هـ.

٣٣- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، (المتوفى:٤٢١هـ) تحقيق: أبو القاسم إمامي، الناشر: سروش، طهران، ط: الثانية، عام ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٣٤- تحفة الأحوذي، أبو العلاء محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى:١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون تاريخ.

٣٥- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة (المتوفى:٧٣٣هـ)، تحقيق: محمد بن مهدي العجمي، دار البشائر الإسلامية – بيروت لبنان، ط: الثالثة، عام ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٣٦- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى:٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت لبنان، ط: الأولى، عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٣٧- تفسير البحر المحيط لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، (المتوفى:٧٤٥هـ)، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط: الأولى، عام ١٤٢٠هـ.

٣٨- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، (المتوفى:١٣٥٤هـ)، الهيئة

المصرية العامة للكتاب، بدون ط: عام ١٩٩٠م.

٣٩- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد بن عاشور التونسي (المتوفى:١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٤٠- تفسير القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (المتوفى:٧٥١هـ)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط: الأولى، عام ١٤١٠هـ.

٤١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى:١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٤٢- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النميري، (المتوفى:٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى أحمد وآخرون، الناشر: وزارة الأوقاف الإسلامية – المغرب، عام ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م.

٤٣- تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، (المتوفى:٩١١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى- مصر، ط: بدون، عام ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

٤٤- تهذيب الكمال يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، (المتوفى:٧٤٣هـ)، تحقيق: د/ بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٤٥- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري، (المتوفى:٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط: الأولى، عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٤٦- جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري (المتوفى:٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، عام ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٤٧- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين عبد

الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن الحنبلي، (المتوفى:٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: السابعة، عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٤٨- الجامع لأحكام القرآن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري شمس الدين القرطبي (المتوفى:٦٨١هـ)، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية، عام ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٤٩- جهار مقالة (المقالات الأربع في الكتابة والشعر والنجوم والطب) أحمد بن عمر بن علي النظامي السمرقندي، (المتوفى:٥٥٠هـ)، ترجمة: عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة – مصر، ط: الأولى، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

٥٠- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، (المتوفى:٧٧٥هـ)، مير محمد كتب خانه- كراتشي، بدون تاريخ.

٥١- حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي، تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول، دار المنهاج- جدة، ط: الأولى، عام ١٤١٩هـ.

٥٢- حدائق السحر في دقائق الشعر، رشيد الدين محمد عمري الوطواط، (المتوفى:٥٧٣هـ)، بالفارسية، تعريب: إبراهيم أمين الشورابي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط: الأولى، عام ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٥٣- حدود العالم من المشرق إلى المغرب، لمؤلف مجهول، (المتوفى:٣٧٢هـ)، تعريب وتحقيق: السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر – القاهرة. ط: الثانية، عام ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٥٤- دائرة المعارف الإسلامية، دار المعرفة بيروت لبنان، بدون تاريخ.

٥٥- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، (المتوفى:٤٥٨هـ)، تحقيق: د/ عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى، عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٥٦- ديوان إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي أبي إسحاق الألبيري الأندلسي،

(المتوفى:٤٦٠هـ) تحقيق: د/ محمد رضوان الداية، دار الفكر – دمشق، ط: الأولى، عام ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٥٧- ديوان الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الربعي، أبو فراس الحمداني، (المتوفى:٣٥٧هـ)، شرح الدكتور خليل الدويهي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثانية، عام ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٥٨- ديوان حسان بن ثابت ﷺ، تحقيق وتعليق: عبدأ علي مهنا، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط: الثانية، عام ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٥٩- ديوان الخنساء رضي الله عنها، شرح وتعليق: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط: الثانية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٦٠- ديوان الشاعر الجاهلي صلاءة بن بن عمور بن مالك اليمني المعروف بـ"الأفوه الأودي"، (المتوفى:٥٧٠م) شرح وتحقيق: د/ محمد ألتونجي، دار صادر – بيروت، ط: الأولى، ١٩٩٨م.

٦١- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون الإشبيلي، (المتوفى: ٨٠٨هـ) تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر بيروت، ط: الثانية، عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٦٢- ديوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه، (المتوفى:٤٠هـ)، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار ابن زيدون – القاهرة بدون تاريخ.

٦٣- ديوان لغات الترك، محمود بن حسين الكاشغري (المتوفى:٤٩٨هـ)، دار الخلافة العلية، إسطنبول، ط: الأولى، عام ١٣٣٣هـ/١٩١٥م.

٦٤- ذم الهوى، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (المتوفى:٥٩٧هـ)، تحقيق وتعليق: خالد عبد اللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٦٥- راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، محمد بن علي بن سليمان الراوندي، (المتوفى:٥٩٩هـ)، ترجمه من الفارسية إلى العربية، إبراهيم الشواربي

وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، مصر – القاهرة، ط: الأولى، عام ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

٦٦- رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز بن عابدين الدمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ)، دار الفكر-بيروت، ط: الثانية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٦٧- رسالة المسترشدين، أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، (المتوفى:٢٤٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية- حلب سوريا، ط: الثانية، عام ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

٦٨- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان البستي، أبو حاتم، (المتوفى:٣٥٤هـ)، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٣٩٧هـ/١٧٧م.

٦٩- زين الأخبار، لأبي سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود جرديزي، (المتوفى: ٤٤٣هـ) تعريب: أ. د/عفاف السيد زيدان، ص:٣٧٥، الناشر: المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة، ط: الأولى، عام ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٧٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، (المتوفى:١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف – الرياض، ط: الأولى، عام ١٤١٥هـ.

٧١- السلوك في طبقات العلماء والملوك، بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي الكندي، (المتوفى:٧٣٢هـ)، تحقيق: محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد- صنعاء، ط: بدون، عام ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٧٢- سنن أبي داود، أبو داود سليمان الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى:٢٧٥هـ)، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، بدون تاريخ.

٧٣- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى الترمذي، (المتوفى:٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط: الثانية، عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٧٤- السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، (المتوفى:٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب – سوريا، ط: الثانية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٧٥- سياست نامه (سير الملوك) تأليف: الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، الملقب بـ نظام الملك الطوسي، (المتوفى:٤٨٥هـ)، ترجمة وتحقيق: د/ يوسف بكار، دار الثقافة قطر، ط: الثانية، عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٧٦- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، (المتوفى:٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٧٧- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب بن محمد الزرقاني، (المتوفى:١١٢٢هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت، ط: الأولى، عام ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٧٨- شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، تأليف: أبي علي أحمد محمد بن الحسن المرزوقي، (المتوفى:٤٢١هـ)، تعليق: فريد الشيخ، وإبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٧٩- شرح ديوان الخنساء، لأبي العباس أحمد بن يحي بن سيار الشيباني النحوي، المعروف بـ" ثعلب، (المتوفى:٢٩١هـ)، تحقيق: د/ أنور أبو سويلم، دار عمار الأردن – عمان، ط: الأولى، عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

٨٠- شرح صحيح البخاري لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، (المتوفى:٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – الرياض، ط: الثانية، عام ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٨١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، (المتوفى:٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط: الرابعة، عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٨٢- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي أبو عبد الله البخاري، (المتوفى:٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٨٣- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف — الرياض، ط: الخامسة، بدون تاريخ.

٨٤- صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي — بيروت، بدون تاريخ.

٨٥- صحيح السيرة النبوية، محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية عمان — الأردن، ط: الأولى، بدون تاريخ.

٨٦- صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسباوري (المتوفى:٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي — بيروت، بدون تاريخ.

٨٧- صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، (المتوفى: ٣٦٩هـ) دار التراث — بيروت، ط: الثانية، ١٣٨٧هـ.

٨٨- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن القيم الجوزية، (المتوفى:٧٥١هـ)، تحقيق: د/ علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة — الرياض، ط: الثالثة، عام ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٨٩- العقد الفريد أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، (المتوفى:٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية — بيروت، ط: الأولى عام ١٤٠٤هـ.

٩٠- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، (المتوفى:٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، بدون تاريخ.

٩١- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي

موفق الدين أبو العباس ابن أبي أصيبعة، (المتوفى:٦٦٨هـ)، تحقيق: د/ نزار رضا، دار مكتبة الحياة- بيروت، ط: بدون، عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٩٢- غريب الحديث، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (المتوفى:٥٩٧هـ) تحقيق: د/عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٩٣- غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، (المتوفى:٢٢٤هـ) تحقيق: د/حسين محمد محمد شرف، مراجعة: عبد السلام هارون، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ط: الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٩٤- الفائق في غريب الحديث والأثر، محمود بن عمر الزمخشري، (المتوفى:٥٣٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة لبنان، ط: الثانية، بدون تاريخ.

٩٥- فتوح البلدان، أحمد بن يحى بن جابر بن داود البلاذري، (المتوفى:٢٧٩هـ)، دار ومكتبة الهلال — بيروت، ط: بدون، عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٩٦- فرق الشيعة، أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي، (المتوفى:٣٠٠هـ)، تعليق: هبة الدين الشهرستاني، منشورات الرضا، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٩٧- الفروسية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سسعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (المتوفى:٧٥١هـ)، تحقيق: مشهور بن حسن، دار الأندلس — السعودية، حائل، ط: الأولى، عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٩٨- الفروق اللغوية أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيي بن مهران العسكري، (المتوفى:٣٩٥هـ)، تحقيق وتعليق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة — مصر، عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٩٩- الفِصَلْ في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري (المتوفى:٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي- القاهرة، بدون.

١٠٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل

العسقلاني الشافعي، (المتوفى:٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، وتعليق: ابن باز، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

١٠١- الفهرست، لأبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم، (المتوفى:٣٨٤هـ)، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت – لبنان، ط: الثانية، عام ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

١٠٢- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى:٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط: الثامنة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٠٣- قصة الحضارة، وِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت، (المتوفى:١٩٨١م)، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت - لبنان، عام ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

١٠٤- القند في ذكر علماء سمرقند، نجم الدين عمر بن أحمد النسفي، (المتوفى:٥٣٧هـ)، تحقيق: يوسف الهادي، الناشر: مرآة التراث – طهران، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٠٥- الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط: الأولى، عام ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

١٠٦- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، (المتوفى:١٧٠هـ)، تحقيق: د/ مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون تاريخ.

١٠٧- كتاب الكليات - معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، (المتوفى:١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: بدون، عام ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

١٠٨- كتاب المحن، تأليف: أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التيمي، (المتوفى:٣٣٣هـ)، تحقيق: د/ يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط: الثالثة، عام ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

١٠٩- الكتاب لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي الملقب سيبويه (المتوفى:١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط: الثالثة، عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١١٠- لباب الألباب، سديد الدين محمد عوفي، (المتوفى:٦٣٠هـ)، بالفارسية، تعريب وتحقيق: إدوارد براون، عام ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، بدون ناشر.

١١١- لسان العرب محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الإفريقي (المتوفى:٧١١هـ)، دار صادر -بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

١١٢- لسان الميزان أحمد بن حجر العسقلاني، (المتوفى:٨٥٢هـ)، تحقيق: دائرة المعارف النظامية - الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، ط: الثانية، ١٣٩٠هـ /١٩٧١م.

١١٣- مجمع الآداب في معجم الألقاب، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد بن المعروف بابن الفوطي الشيباني، (المتوفى:٧٢٣هـ)، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر – إيران، ط: الأولى، عام ١٤١٦هـ.

١١٤- مجموع الفتاوى لأبي العباس تقي الدين أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، (المتوفى:٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة المنورة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١١٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، (المتوفى:٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية –بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١١٦- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، (المتوفى:٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى،

عام ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١١٧- المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، (المتوفى:٧٣٢هـ) المطبعة الحسينية المصرية، ط: الأولى، بدون تاريخ.

١١٨- مدارج السالكين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن القيم الجوزية، (المتوفى:٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط: الثانثة:١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

١١٩- مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (المتوفى:٣٤٦هـ) المطبعة العصرية بيروت – لبنان. ط: الأولى، عام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

١٢٠- المسالك والممالك، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري، (المتوفى:٣٤٦هـ)، دار صادر – بيروت، ط: بدون، عام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١٢١- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن حمدويه بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، (المتوفى:٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، عام ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

١٢٢- معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، (المتوفى:٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط: الأولى، عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

١٢٣- المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، (المتوفى:٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، ط: الثانية، عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٢٤- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (المتوفى:٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر- بيروت، ط: بدون، عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٢٥- معرفة علوم الحديث لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النسابوري (المتوفى:٤٠٥هـ)، تحقيق: السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الثانية، ١٣٧٩هـ/١٩٧٧م.

١٢٦- المغازي لأبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي، (المتوفى:٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعظمي – بيروت، ط: الثالثة: عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

١٢٧- المغني لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، (المتوفى: ٦٢٠هـ)، مكتبة القاهرة، ط: بدون، عام ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

١٢٨- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد – مكة المكرمة، ط: الأولى، عام١٤٣٢هـ.

١٢٩- مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم – دمشق بيروت، ط: الأولى، عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١٣٠- الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، (المتوفى:٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي، بدون تاريخ.

١٣١- منازل السائرين، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، (المتوفى: ٤٨١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٣٢- مناقب الإمام أحمد، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (المتوفى:٥٩٧هـ)، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط: الثانية، عام ١٤٠٩هـ.

١٣٣- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (المتوفى:٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى، عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١٣٤- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف

النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثانية، عام ١٣٩٢هـ.

١٣٥- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، (المتوفى:٨٧٤هـ)، تحقيق: د/ محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون تاريخ.

١٣٦- الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد الحمي الغرناطي، الشهير بالشاطبي، (المتوفى:٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الخبر – المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

١٣٧- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، (المتوفى:٨٧٤هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، بدون تاريخ.

١٣٨- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، (المتوفى:٧٣٣هـ)، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط: الأولى، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

١٣٩- النهاية في غريب الحديث، مجد الدين أبو الساعادات المبارك بن محمد بن .. عبد الكريم الشيباني الجزري، (المتوفى:٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطانجي، المكتبة العلمية – بيروت، عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٤٠- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، (المتوفى:١٣٩٩هـ)، وكالة الأنباء المعارف الجليلة إستانبول عام ١٩٥١م.

١٤١- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، (المتوفى:٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث– بيروت، عام ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١٤٢- الوفيات "معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين" أبو العباس أحمد بن حسين بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسطنطيني، (المتوفى:٨٠٩هـ)، تحقيق:

عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط: الرابعة عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

ثالثا: المصادر الحديثة.

١٤٣- أتراك الأويغور، أركن آلبتكين، الناشر: وقف تركستان الشرقية، إسطنبول، ط: الأولى، ٢٠١٢م.

١٤٤- الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ. د/ عبد الرحيم بن محمد المغذوي، دار الحضارة للنشر والتوزيع — الرياض، ط: الثانية، عام ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

١٤٥- الإسلام في آسيا الوسطى (بين الفتحتين العربي والتركي) د/حسن أحمد محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: بدون، عام ١٩٧٢م.

١٤٦- الإسلام والأديان (دراسة مقارنة) د/ مصطفى حلمي، دار الكتب العلمية بيروت — لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ.

١٤٧- أصول الحوار وآدابه في الإسلام، للشيخ صالح بن حميد، إمام وخطيب مسجد الحرام، دار المنار- جدة، ط: الأولى، عام ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

١٤٨- أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط: التاسعة، عام ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

١٤٩- أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية- عرض ونقد، ناصر بن عبد الله القفاري، رسالة الدكتوراه من جامعة أم القرى، ط: الثانية، ١٤١٥هـ.

١٥٠- أطلس الأديان، تأليف: سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، مكتبة عبيكان، ط: الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.

١٥١- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة — بيروت، ط: الأولى، عام ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.

١٥٢- الأعلام خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، (المتوفى:١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت —لبنان، ط: الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.

١٥٣- الإعلام لبعض رجالات تركستان، محمد أمين تركستاني، بدون الناشر، مكة المكرمة عام ١٤٢٩هـ.

١٥٤- أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه، د/ علي بن نفيع العلياني، رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى من قسم العقيدة بمكة المكرمة، عام ١٤٠٤هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع — الرياض، ط: الثانية، عام ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

١٥٥- البحث العلمي حقيقته ومصادره ومناهجه..، د/ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن علي الربيعة، مكتبة العبيكان، ط: السادسة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

١٥٦- تاريخ الأتراك في آسيا الوسطى وحضارتهم، تأليف: تورغون آلماس باللغة الأويغورية، تعريب: د/محمد جاد وآخرون، بإشراف الأستاذة الدكتورة ماجدة مخلوف، دار تكلماكان الأويغوري، إسطنبول تركيا، ط: الأولى، عام ٢٠١٨م.

١٥٧- تاريخ الصين، تأليف: جياو جيان، دار مجلة "بناء الصين" بكين، ط: الأولى، ١٩٨٦م.

١٥٨- تاريخ بخارى منذ أقدم العصور إلى العصر الحاضر، تأليف: أرمنيوس فامبري، ترجمة وتعليق: د/ أحمد الساداتي ويحيى الخشاب، مكتبة نهضة الشرق- القاهرة، بدون تاريخ.

١٥٩- تاريخ تركستان الشرقية، محمد قاسم أمين تركستاني، مطابع بهادر- مكة المكرمة، ط: الأولى،١٤٢٩هـ.

١٦٠- التربية القيادية، د/ منير الغضبان، دار الوفاء مصر - المنصورة، ط: الرابعة، عام ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٦١- تركستان الشرقية تحت الاحتلال الصيني، تأليف: بولاتْ تورفاني، باللغة التركية، تعريب: د/ إسلام صلاح عبد الفتاح، دار اليسر- القاهرة، ط: الأولى، عام ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

١٦٢- تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، فاسيلي فلاديمر وفتش بارتولد، باللغة الروسية، تعريب: صلاح الدين هاشم، اللجنة الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط: الأولى، ١٤٠١هـ/١٩٨م.

١٦٣- التركستانيون من هم، فوزية عبد القادر إسلام تركستاني، المكتبة المكية بمكة المكرمة، ط: الأولى، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

١٦٤- التصوف. المنشأ. والمصادر، إحسان إلهي ظهير الباكستاني، إدارة ترجمان السنة، لاهور- باكستان، ط: الأولى، عام ١٤٠٦/١٩٨٦م.

١٦٥- تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قازان وبلغار وملوك التتار، تأليف: محمد مراد الرمزي، تعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٦٦- جغرافية العالم الإسلامي، د/ محمد خميس الزوكة، دار المعرفة الجامعية- القاهرة، ط: بدون، عام ٢٠٠٠م، ص:٢٠٤.

١٦٧- الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز الحاضر والمستقبل، تأليف: أ.د/ أحمد فؤاد متولي، والدكتور هويدا محمد فهمي، مركز الدراسات الشرقية –جامعة القاهرة، ط: الأولى، عام ٢٠٠٠م.

١٦٨- الجمهوريات الإسلامية من الظلمات إلى النور، عابد قاري محمد جان، جمعية أتراك السعودية – جدة، عام ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

١٦٩- حاشية الطوطم والحرام، سيغموند فرويد الألماني، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت، عام١٩٦٥م.

١٧٠- الحسبة في الإسلام، أ.د/ عبد الرحيم محمد المغذوي، مكتبة الرشد، الرياض، بدون تاريخ.

١٧١- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، تأليف: علماء نجد الأعلام، الناشر: الدرر السنية، ط: السادسة، عام ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

١٧٢- دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، د/ هدى درويش، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية- مصر، ط: الأولى، ٢٠٠٤م.

١٧٣- رائد علم الفلك البيروني، تأليف: عاطف محمد، دار اللطائف للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: الأولى، عام ٢٠٠٣.

١٧٤- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة، دار القلم – دمشق، ط: الثامنة: عام ١٤٢٧هـ.

١٧٥- الشامانية للباحث مرسيا إيلياد، ترجمة: صفا محمد، منشورات أكاديمية ريكي زن، ط: السادسة، بدون تاريخ.

١٧٦- الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، (المتوفى:١٤٢١هـ) دار ابن الجوزي، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ/١٤٢٨م.

١٧٧- شرح الشواهد الشرعية في أمات الكتب النحوية، محمد محمد حسن شُرّاب، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط: الأولى، عام ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.

١٧٨- الشيعة في التاريخ، السيد عبد الرسول الموسوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط: الأولى، عام٢٠٠٢م.

١٧٩- الشيعة والتشيع- فرق وتاريخ، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة لاهور – باكستان، ط: العاشرة، عام ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

١٨٠- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، دار القلم- دمشق، ط: الرابعة، عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

١٨١- الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها، تأليف: الشيخ فريد الدين آيدن، دار العبر للطباعة والنشر إسطنبول- تركيا، ط: الأولى، ١٩٩٧م.

١٨٢- الطوطم والتابو، تأليف: سيغموند فرويد، ترجمة: بوعلي ياسين، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية- اللاذقية، ط: الأولى، ١٩٨٣م.

١٨٣- الطوطمية أشهر الديانات البدائية علي عبد الواحد وافي، دار المعارف – مصر، عام١٩٥٩م.

١٨٤- فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية- القاهرة، ط: السابعة ١٣٧٧هـ.

١٨٥- الفتوحات الإسلامية لبلاد الهند والسند وتاريخ الدولة الإسلامية في المشرق حتى الغزو المغولي، سعد بن محمد الغامدي. بدون ناشر، الرياض، عام ٢٠٠٠م.

١٨٦- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د/ غالب بن

علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، ط: الرابعة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٨٧- في أصول الحوار، إعداد: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط: الخامسة عام ١٤١٩هـ.

١٨٨- القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، لسعدي أبو حبيب، دار الفكر، دمشق- سورية، ط: الثانية: عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٨٩- القراخانيون، دراسة في أصولهم التاريخية، تأليف: أ.د/ سعاد هادي حسن إرحم الطائي، دار صفحات سورية – دمشق، ط: الثانية، عام ٢٠١٦م، ١م.

١٩٠- قضية تركستان الشرقية، عيسى يوسف آلب تكين، باللغة التركية، تعريب: إسماعيل حقي شن كولر، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام- مكة المكرمة، بدون تاريخ.

١٩١- ماني والمانوية، تأليف: جيو وايد نفرين، ترجمة: د/سهيل زكّار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق – سوريا، ط: الأولى، ١٤٦هـ.

١٩٢- المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، د/ صالح بن حمد العساف، مكتبة العبيكان، ط: الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص:٢٠٦.

١٩٣- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية- القاهرة، عام ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م.

١٩٤- معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية) عمر بن رضا كحالة، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط: الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

١٩٥- معجم المؤلفين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافة للتأليف والترجمة والنشر، بيروت- لبنان، ط: الثالثة: ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

١٩٦- المعجم الوسيط، تأليف: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة – مصر. بدون تاريخ.

١٩٧- المغول في التاريخ، فؤاد عبد المعطي الصياد، دار النهضة العربية بيروت- لبنان، ط: بدون، ١٩٨٠م.

١٩٨- ملخص ألفيتين من تاريخ التركي، باللغة التركية، تأليف: سليمان سيدي، تعريب: عبد القادر عبد اللي، وزارة الثقافة والسياحة لجمهورية تركيا، أنقرة، ط: بدون، عام٢٠١٤.

١٩٩- مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، ط: الثالثة، ١٩٧٧م، وكالة المطبوعات – الكويت.

٢٠٠- موجز تاريخ التبادلات الثقافية بين الصين والعالم العربي، تأليف: سون غشيان باللغة الصينية، تعريب: د/ حسانين فهمي حسين، دار جامعة الملك سعود للنشر – الرياض، ط: الأولى ١٤٣٧هـ.

٢٠١- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط: الثانية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٢٠٢- الموسوعة العربية الميسرة، لمجموعة من المؤلفين، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ط: الثالثة، ٢٠٠٩م.

٢٠٣- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط: الرابعة، ١٤٢٠هـ.

٢٠٤- موسوعة تاريخ الأديان، فراس السواح، دار التكوين للنشر، دمشق- سوريا، ط: الرابعة، ٢٠١٧م.

٢٠٥- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، تأليف: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، بدون تاريخ.

٢٠٦- نقود القراخانيين في آسيا الوسطى، أ.د/عاطف منصور محمد رمضان، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة – مصر، ط: الأولى، ٢٠١٥م.

٢٠٧- الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) عبد الله بن عبد الحميد الأثري، زوارة الشئون الإسلامية والأوقاف – المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٠٨- وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية، مناع خليل القطان، مركز البحوث في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض، ط: الأولى، عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

رابعا: البحوث العلمية.

٢٠٩- أساليب دعوة العصاة، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية، أ. د/ عبد الرب نواب الدين آل نواب، العدد: ١٢٣، عام١٤٢٤هـ.

٢١٠- حتمية تطبيق شرع الله في الأرض، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية، الصادرة عن الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، د/ صالح بن غانم السدلان، عام ١٤١٠هـ، العدد:٢٩.

٢١١- الحركة الفكرية في عهد الدولة القراخانية، بحث منشور في مجلة دراسات الصادرة عن عمادة البحث العلمي في الجامعة الأردنية عمان، عام١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٢١٢- علاقات القراخانيين بتركستان وبلاد ما وراء النهر بالدول الإسلامية المجاورة، ودورهم في نشر الإسلام، بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى، د/ مسفر بن سالم الغامدي، العدد: الخامس، عام ١٤١١هـ.

٢١٣- القراخانيون وجهودهم في نشر الإسلام، بحث منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د/ علي بن صالح المحيميد، العدد: ١٦، عام١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٢١٤- قيام دولة القراخطاي واتساعها في آسيا الوسطى، بحث منشور في مجلة آداب جامعة ذي قار، العراق، د/ فاضل كاظم صادق، العدد: الأول، سنة ٢٠١٠م.

خامسا: المصادر الأجنبية.

٢١٥- بوغراخانلا ته زكرسي، تأليف: موللا هاجي، تحقيق: عبد الرحيم سابت، قه شقه ر خه لق نه شرياتي، ط: الأولى، عام ١٩٨٨م.

٢١٦- تاريخمزدكي خاقانلا، تأليف: نور الله مؤمن يولغون، شنجاڭ خه لق نه شرياتي، ط: الأولى، ٢٠٠٥م.

٢١٧- تاريخي شه خسله ر هه قققده هكاية، يوسف خاص حاجب أنموذجا،

تأليف: يارمحمد طاهر توغلوق، شنجاڭ خه لق نه شربياتي، ط: الأولى، عام٢٠٠٣م.

٢١٨- تور كي تللا ديواني، محمد فيضي وأحمد ضيائي، شنجاڭ خه لق نه شربياتي، أرومجي، ط: الأولى، عام ١٩٨١م.

٢١٩- سوتوق بوغراخان، (رواية تاريخية) باللغة الأويغورية، تأليف: سيف الدين عزيزي، مكتبة شينخوا بكين — الصين، ط: الثانية: ١٩٨٨م.

٢٢٠- شنجاكدا ئوتكه ن ئسلام خانلقلرننك قسقجه تاريخي، تأليف: لي جننشن، باللغة الصينية، ترجمه إلى اللغة الأويغورية عبد الأحد نور الدين وآخرون، دار الشعب للنشر شنجيانغ — الصين، ط: الأولى، ٢٠٠٣م.

٢٢١- شنجاڭديكي مىلله تله ر نيگ تاريخي" (تاريخ الأمم في شنجيانغ) تأليف: أنور بايتور، وخير ىنسا سديق، الناشر: مىلله تله ر نه شربياتي، شنجاڭ، ط: الثانية، ١٩٩٩م.

٢٢٢- شه رقي توركستان تاريخي، محمد أمين بغرا، ط: الخامسة أنقرة — تركيا عام ١٩٨٩م بدون ناشر.

٢٢٣- شنجاكدىكي ئازسانلىق مىلله تله ر تىل ئه ده بياتي هه قىقده ته تقىقات ئىلمي ما قاليله ر توبلىمي، ئابدو كيريم ره همان، وئارسلان ئابدوللا، الناشر: جامعة شنجيانغ- مدينة أورومجي، ط: الأولى عام ٢٠٠١م، عنوان المقال: فن الكتابة والخط في الدولة القراخانية، للباحث تورسون قوربان.

٢٢٤- عتبة الحقائق، أحمد بن محمود يوكنكي، (المتوفى:١١٨٠م)، تحقيق: خه مت تومور، وتورسون ئايوب، مىلله تله ر نه شربياتي، شنجاڭ، ط: الأولى، ١٩٨٠م.

٢٢٥- غه ربىي يورت تاريخىمىزديكي خاقانلا، تأليف: نور الله مؤمن يولغون، شنجانك خه لق نه شربياتي، ئورومچي، ط: الأولى، ٢٠٠٥م.

٢٢٦- قاراخانىلانىك دوله ت ته شكىلاتي، تأليف: رشات كنج، باللغة التركية، ترجمه: إلى الأويغورية، تورسون هوشور، وتورسون ئاي ساقي، شنجاڭ خه لق نه شربياتي، عام ١٩٩٠م.

٢٢٧- قه دىمكي ئويغور مه دنىيتي، تأليف: ئىمىن تورسون، شنجاڭ خه لق نه شرىياتي، ط: الأولى، ٢٠٠٠م.

٢٢٨- قه دىمكي يىپه ك يولىدىكي مه دىنيه ت، (الثقافة في عهد طريق الحرير القديم)، الناشر: شنجاڭ كوزه ل سه نئه ت نه شرىياتي، عام ١٩٩٤م.

٢٢٩- قه ديمكي ئويغورلا وه قاراخانيلا (قدامى الأويغور والقراخانيون)، المؤلف: هاجي نور هاجي، الناشر: شنجاڭ خه لق نه شرىياتي، ط: الأولى، ٢٠٠٩م.

٢٣٠- قه شقه رنىڭ ييقنقي وه هازىرقي زامان مائارىپ تارىخي، تأليف: عبد الرحيم توختي، قه شقه ر ئويغور نه شرىياتي، ط: الأولى، عام ١٩٨٦م.

٢٣١- قوتادغو بىلىك، يوسف خاص حاجب، تحقيق: لجنة تحقيق قوتادغوبىلىك، شنجاڭ خه لق نه شرىياتي، عام ١٩٨٣م.

٢٣٢- محمود كاشغري، په رهات جىلان، شنجاڭ خه لق نه شرىياتي، ط: الأولى، ٢٠١١م.

٢٣٣- مه شهور يُوزْ ئويغور. تأليف: محمد تورسون أحمد أويغور، دار ستوق بغراخان للنشر، إسطنبول تركيا، ط: الأولى، ٢٠١٧م.

٢٣٤- ئىسلام دىنىنىڭ خوته نگه كىرىشي وه ئىسلامغا قارشي ئوروش، موللا نياز هاجي، الناشر: أكادمية الفنون الاجتماعية وبحث الأديان، شنجانغ – الصين، ط: الأولى، عام ١٩٨٨م.

٢٣٥- ئورخون ئويغور خانلىقىنىڭ قىسقىچه تارىخي، ص:٥١، (موجز تاريخ مملكة أورخون الأويغورية) تأليف: أحمد سليمان قوتلوق. دار الشعب شنجيانغ – الصين، ط: الثانية عام ٢٠٠٦م.

٢٣٦- ئويغور مائارىپي تارىخي، بدون ناشر وتاريخ.

٢٣٧- ئويغور نامه، تأليف: ثابت عبد الرحمن ئويغوري، دار ناشمير، ئالماتا كازاخستان، عام ٢٠٠٥م.

٢٣٨- ئويغور يىلنامىسي، محمد تورسون زنون ئوقيا، باللغة الأويغورية، (التسلسل الزمني

لتاريخ الأويغور) مركز بحوث اللغة الأويغورية لندن –بريطانيا، ط: الأولى، ٢٠١٧م.

٢٣٩- ئويغورلا، تأليف: تورغون ئالماس، المؤتمر العالمي للأويغور في ميونخ –آلمانيا، ط: الأولى، عام ٢٠١٧م.

٢٤٠- ئويغورلارنك قسقچه تاريخي، تأليف: عزيز يوسف وتورسون پالتا، شنجانك خه لق نه شرياتي، ئورومچي، ط: الأولى، ١٩٨٩م.

(234)Skrine. And Ross: The Heart of Asia.Newyork, arno Press, 1973.

(235) Prof.Dr.Muharrem Ergin, TurkDilbilgisi .Istanbul 1972م.

(236) Agah Sirri Levend, Turk Dilinde Sadeleşme Evreleri. Ankara ١٩٧١م.

سادسا: مواقع الإنترنت:

١- الموسوعة الحرة: نت.

٢- تركستان تايميز.

فهرس الموضوعات

الموضوع .... الصفحة